

ديوان الخليل

بن هويدي

نظم

خليل مطران

هويدي

الجزء الأول

هويدي

مترجم النشر

دار المعارف

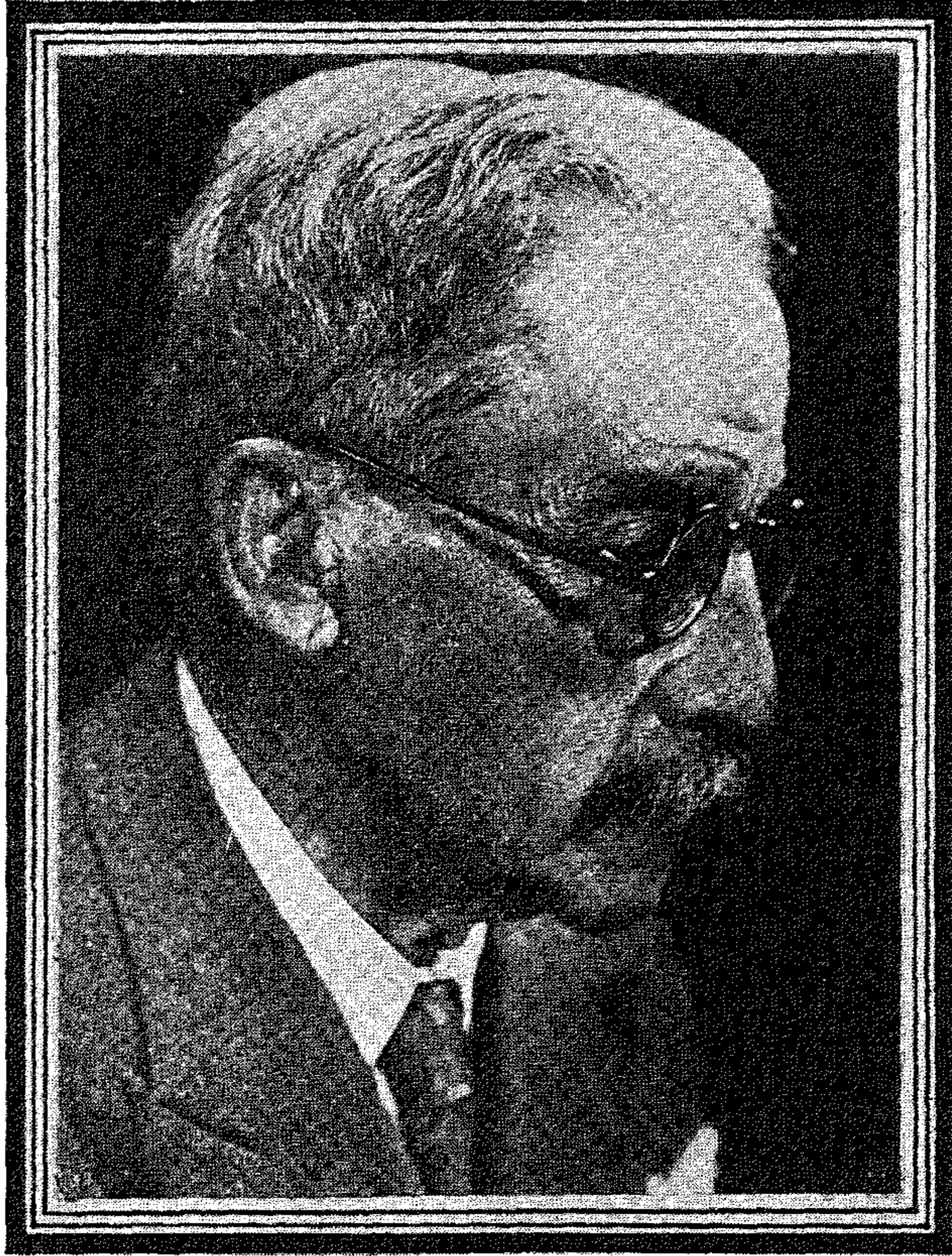
بالقاهرة

تولت طبع

دار الهلال

بالقاهرة

عنيت بافراجه وطبعه
لجنة تكريم
خليل مطران بك



خليل مطران

ديوان الخليل

نظمه

خليل مطران

الجزء الأول

المعروف في إعادة الطبع محفوظ للناظم

مطبعة دار الهلال

سنة ١٩٤٩ - مصر

طبع للمرة الأولى في سنة ١٩٠٨

أعيد طبعه في شهر مارس سنة ١٩٤٩

مقدمة الطبعة الأولى

أبي عليّ فريق من الأصفياء والمشراء ، الا أن يكون لي ديوان كسائر الشعراء . فلئن صح لدى أولئك النفر الأفاضل من إخواني ، أن أمثال هذه الكلم المقتاة جديرة بأن تسمى في مجموعها ديواناً ، لقد استعنت الله ، وهذا ديواني

الناظم

بيان موجز

ليست هذه الكلم القلائل كل ما نظمته إلى الساعة . بل هي منه كبقايا السفينة الفريقة ، أو كالقطع السائلة من الآثار العتيقة . فقد استخدمت الروى ولم أشب عن طفولة الروية . فرأيت في الشعر المألوف جموداً وبدالى تطريز الأقلام على الصحف البيضاء ، كتطريس الأقدام في تيه البيداء . فأنكرت طريقته ، لجهلى حقيقته . وقضيت سائر أيام الصبي ، وأوائل ليالى الشباب ، وأنا لا أوى عليه . حتى دعت بعض مداعى الحياة فعدت إليه .

عدت إليه وقد نضج الفكر . واستقلت لى طريقة فى كيف ينبغي أن يكون الشعر . فشرعت أنظمه لترضية نفسى حيث أتخلى . أو لترية قومى عند وقوع الحوادث الجلى مهمتاً عرب الجاهلية فى مجارة الضمير على هواه . ومراعاة الوجدان على مشتاه . موافقاً زمانى فيما يقتضيه من الجرأة على الألفاظ والتراكيب . لا أخشى استخدامها أحياناً على غير المألوف من الاستعارات والمطروق من الأساليب . ذلك مع الاحتفاظ جهدى بأصول اللغة وعدم التفريط فى شىء منها إلا ما فاتنى علمه . ولم أكن مبتكراً فيما صنعت . فقد فعل فصحاء العرب قبلى ، ما لا يقاس إليه فعلى .

فانهم توسعوا في مذاهب البيان توسع الرشد والحزم . وجاريتهم في تصريف الكلام
على ما اقتضاه هذا العهد من أساليب النظم .

قال بعض المتمنتين الجامدين ، من المتنطسين الناقدين . ان هذا «شعر عصرى»
وهموا بالابتسام .

فيا هؤلاء ! نعم . هذا شعر عصرى . وفخره أنه عصرى . وله على سابق الشعر ،
مزية زمانه على سالف الدهر .

هذا شعر ليس ناظمه بعينه . ولا تحمله ضرورات الوزن أو القافية على غير
قصده . يقال فيه المعنى الصحيح ، باللفظ القصيح . ولا ينظر قائله إلى جمال البيت
المفرد ، ولو أنكر جاره وشاتم أخاه ودابر المطلع وقاطع المقطع وخالف الختام . بل ينظر
إلى جمال البيت في ذاته وفي موضعه ، وإلى جملة القصيدة في تركيبها وفي ترتيبها وفي
تناسق معانيها وتوافقها ، مع تدور التصور وغرابة الموضوع ومطابقة كل ذلك للحقيقة
وشفوفه عن الشعور الحرّ وتحرى دقة الوصف واستيفائه فيه على قدر .

كذلك حاولت أن أصنع شعرى ، وأعرف أنني لست من العلم واقتدار الفكر
في المكان الذى يبلغنى منه أدنى المرام . ولكننى تيقنت أن ما أردته به من
الأغراض قد نفذ إلى قلوب قارئيه ، وأحدث فيها ما ابتغيته من الأثر . وكفى بذلك
سروراً لى ورضى ، إلى أن يجيء في زمانى أو بعدى من يدرك من طريقتى الشأوالذى
قصرت عنه ، ويصل إلى المقام الذى لم أدنُ منه .

على أتى أصرح ، غير هائب ، أن شعر هذه الطريقة - ولا أعنى منظوماتى

الضعيفة - هو شعر المستقبل لأنه شعر الحياة والحقيقة والخيال جميعاً . وللدلالة على صعوبة الوصول إلى الاتقان في مثل هذا النوع من النظم ، نشرت في هذا الديوان القصيدة الأولى من شعر الصبي وعدة قصائد أخرى كان في وسعي أن أضرب عنها صفحاً وأن أكتفى بما أستجيده من قولي ولا آخذ على نفسي فيه شيئاً . غير أنني آثرت أن يدارجني القارئ مدارجة على كونها غاية في الإيجاز تمثلني لديه تمثيلاً إجمالياً في كل حال مررت بها من أحوال هذه الطريقة . وليس أكثر شعري هذا بين الطرس والمداد إلا مدامع ذرفتها ، وزفرات صعلتها ، وقطع من الحياة بددتها ، ثم نظمتها فتوهمت أنني استعدتها .

وقد عرض لي أن أبقيت في هذا الديوان خليطاً من المذهب القديم ، ولكنني لم أفعل إلا وقد طاوعت ضميري وسأيرت اعتقادي فيما هو جدير بالبقاء على الدهر .

على أنني لم أدخل إلى الآن شعري من كل ما خالفت فيه السابقين بسيرى على هذه الطريقة الفطرية الصحيحة . ولكنني أرجو أن أقدم على ذلك في المستقبل إن كان في الأجل فسحة .

وغاية ما أتمناه لدى القراء من الجزاء على هذه العبر المروية ، والفرائب المحكية ، والنوادر المثلثة ، والصور الخييلة - التي نظمت أكثرها مسارقة من وقتي بين سفري وحضري ، وبين مذاهي إلى أعمالى ، ومتاركاتي لشواغلي واشغالي - أن يشاركوني في وجداني في أثناء مطالعتهم لهذا الكتاب . فيرضوا عن التفضيلة كما رضيت ، ويأسوا من الرذيلة كما أسيت . وأن يستفيدوا من مناصحاتي ، ويتخذوا أدوية لجراحاتهم من جراحاتي .

لذلك عملت ، وذلك منتهى ما أمّلت . فان الناس رَكِبَ شقاء . وسَفَر هِباء .
فما أسعد حادِيهم - وهو الشاعر - إذا حدا ، أن يحسَّ لنفحاته عند إخوانه في المسير
رنةً وصدى .

مقدمة الطبعة الثانية

هذا ما قلته في الطبعة الأولى من هذا الجزء وما زال
هو اليوم قولى

فليل مطران

القاهرة

في أول مارس سنة ١٩٤٩

القصة

كتبت هذه القصيدة في صباى ، وهى كل ما استبقته من منظومات كثيرة أقتت بها تلالا من الطروس ، وكنت إذ ذاك أحرص عليها حرص الضنين على كنوزه . ثم جلت أعيد النظر عليها ، فأطرح منها صحيفة صحيفة حتى لم تبق منها إلا هذه . وقد همت مراراً بالحاقها بأخواتها ، ثم أرعيت عليها لما كان عندى من الكلف الخاص بها إذ كنت آتوهم في ذلك الوقت أننى أتيت بها معجزة . ولهذا توليت تنقيحها قليلا ، ونشرتها على علاتها ، أتسم نسمات صباى من خلال سطورها ، وأعتبر بما تنتهى إليه خيلاء النفس وهى فى شبيبتها وغرورها

أما الرقمان اللذان هما عنوانها ، فإشارة إلى السنة التى انتصر فيها نابليون الأول على الألمان فى معركة يانا ودخل برلين ، وإلى السنة التى انتصر فيها الألمان على نابليون الثالث وولجوا فيها باريس

مَشَّتِ الْجِبَالُ بِهِمْ وَسَالَ الْوَادِي	وَمَضَوْا مِهَادًا سِرَّنَ فَوْقَ مِهَادٍ ^(١)
يُحْدَى بِهِمْ مُتَطَوِّعِينَ كَأَنَّهُمْ	عَيْسٌ وَلَكِنَّ الْقَنَاءَ الْخَادِي
لِلَّهِ يَوْمٌ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ	فِيهَا وَظَلَّ يَرُوعُ كُلُّ فُوَادٍ
يَوْمٌ تَجِفُّ لِدِكْرِهِ أَنْهَارُهَا	خَوْفًا وَيَجْرِي قَلْبُ كُلِّ جَمَادٍ
وَإِذَا قَرَأْنَا وَصْفَهُ فَكَأَنَّهُ	بِدَمٍ زَكِيٍّ خُطَّ لَا بِمِدَادٍ
وَنَكَادُ نَسْمَعُ لِلْقِتَالِ دَوِيَّهُ	وَتَرَى الْقَوَارِسَ فِي لَقَاً وَطِرَادٍ
«لِبُرُوسِيَا» فِي أَرْضِ «يَانَا» عَسْكَرُ	تَجْرُ شَدِيدُ الْبَأْسِ وَافِي الزَّادِ ^(٢)
وَخِيَامُهُ فِي الْأَفْقِ مَائِلَةٌ عَلَى	تَرْتِيبِ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْأَطْوَادِ

(١) مهاد : السهول (٢) بحر : جزار

نَفَرَتْ طَلَائِعُ خَيْلِهِ مُنْذَ الضَّحَى
فَاتُوا كَمَا يَجْرِي الْأَتَى مُسْعَبًا
وَكَانَ « نَابِلِيُونَ » فِي إِشْرَافِهِ
الْمَجْدُ رَهْنُ إِشَارَةٍ بِبَيْمِينِهِ
وَالْفَخْرُ فِي رَايَاتِهِ مُتَمَثِّلٌ
قَهَبًا الْأَلْمَانُ لِاسْتِقْبَالِهِ
وَعَلَا هَتَافٌ مَارَجَتْهُ غَمَافٌ
وَرَيْنُ آلَاتٍ تَكَادُ تَنْظُمُهَا
حَتَّى إِذَا كَلَّ الْعَتَادُ تَقَادَفُوا
شُهْبٌ ضِيخَامٌ آتِيَاتٌ وَالرَّدى
تُلْقِي الرِّجَالَ عَلَى الثَّرَى قَتْلَى كَمَا
لِلَّهِ دَرَاهِمٌ وَقَدْ حَمَى الْوَعَى
تَدْعُو الْجِرَاحَةُ أُخْتَهَا بِصُدُورِهِمْ
وَإِذَا التَّقَى بَطْلَانٍ لَمْ يَتَجَنَّدَلَا
وَإِذَا جَوَادٌ خَرَّ فَارِسُهُ دَعَا
وَالْمَوْتُ فِي الْجَيْشَيْنِ غَيْرُ مُجَامِلِ
يَطْوِي الصُّفُوفَ وَيَتْرُكُ الدَّمَ إِثْرَهُ
تَتَرَقَّبُ الْأَعْدَاءُ بِالْمِرْصَادِ
فِي غَيْرِ مَجْرَى مَائِهِ الْمُعْتَادِ (١)
عَلَّمَ عَلَى عِلْمِ الزَّعَامَةِ بَادِ (٢)
وَالنَّصْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالْمُنْقَادِ
وَطَلَائِعُ الْعُقْبَانِ فِي تَرْدَادِ
كَالْحَائِطِ الْمَرْصُوصِ مِنْ أَجْسَادِ
مِنْ سَلِّ أَسْلِحَةٍ وَرَكْضِ جِيَادِ
مُتَجَاوِبَاتِ الْعَرْفِ بِالْإِيْعَادِ
بِالنَّارِ ذَاتِ الْبَرْقِ وَالْإِرْعَادِ (٣)
بِمَسِيرِهِنَّ وَمِثْلُهُنَّ غَوَادِ
يُلْقِي السَّنَابِلَ مِنْجَلُ الْحَصَادِ
قَهَبًا جَمُوعًا كَتَهَاجِمِ الْأَسَادِ
وَالسَّيْفُ يَتَلَوُّ السَّيْفَ فِي الْأَجْيَادِ
إِلَّا مَعَا مِنْ شِدَّةِ الْأَحْقَادِ
بِصَهْبِهِ ذَا حَاجَةٍ بِجَوَادِ
يَمْتَنَحُ بِالْأَزْوَاجِ وَالْأَفْرَادِ
فَكَأَنَّهُ فُلُكٌ يَبْحُرُ عِبَادِ

(١) الأتى : السيل (٢) علم (الثانية) : جبل (٣) العتاد : الاستعداد

مَا زَالَ يَفْتِكُ وَالنُّفُوسُ زَوَاهِقُ
 حَتَّى تَوَلَّى الذُّعْرُ جَيْشَ «بُرُوسِيَا»
 فَسَعَى الْفَرَنْسِيُّونَ فِي آثَارِهِمْ
 يَسْتَكْبِرُ الضُّفْلُوكُ مِنْهُمْ دَائِسًا
 وَاسْتَفْتَحُوا «بَرْلِينَ» وَهِيَ مَنِيعَةٌ
 وَأَقَامَ أَصْحَابُ الْبِلَادِ مَا تَمَّا
 نَاحَتْ عَرَائِسُهُمْ عَلَى أَزْوَاجِهَا
 وَاشْتَدَّ حُزْنُهُمْ، وَلَمْ يَكُ مُجْدِيًا،
 الْحُزْنُ يُحْمَدُ وَالْمَذَّةُ بَجْرَةٌ
 عَادَ الرَّبِيعُ لَهُمْ كَسَالِفِ عَهْدِهِ
 يَا حُسْنَهُ بَلَدًا خَصِيبًا طَيِّبًا
 تَتَبَسَّمُ الْأَزْهَارُ فِيهِ حَيْثُمَا
 يَا خَجَلَةَ الْأَخْرَارِ مِنْ مَوْتَانُمُ
 فَاسْتَعْصَمُوا بِالصَّبْرِ، ثُمَّ تَكَاتَفُوا
 وَتَاهَبُوا لِلثَّارِ وَالْأَحْقَادُ فِي
 حَتَّى إِذَا اشْتَدُّوا وَضَاقَ عَدُوُّهُمْ
 وَكَأَنَّ تِلْكَ هُنَيْهَةُ الْمِيْعَادِ
 فَتَفَرَّقُوا بَيْنَ الْقِفَارِ بَدَادِ
 بِعَزَائِمٍ لَا يَنْثَلِمَنَّ حِدَادِ^(١)
 فِي أَضْلَعِ الْأَبْطَالِ وَالْقُوَادِ
 وَقَضَوْا بِهَا الْأَيَّامَ كَالْأَعْيَادِ
 وَكَسَوْا عَلَى الْقَتْلِ ثِيَابَ حِدَادِ
 وَالْأُمَّهَاتُ بَكَتْ عَلَى الْأَوْلَادِ
 مِنْ بَعْدِ فَقْدِ أَحِبَّةٍ وَبِلَادِ
 لَا تَنْطَفِي إِلَّا بِسَيْلِ جَسَادِ^(٢)
 يَزْهُو عَلَى الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ
 لَكِنَّهُ نَهَبُ الْغَرِيبِ الْعَادِي
 عَبَسَ الْحَمَامُ بِهَالِكِ الْأَجْنَادِ^(٣)
 يَثْوُونَ حَيْثُ الْمَالِكُونَ أَعَادِي
 وَتَحَرَّرُوا مِنْ رِقِّ الْإِسْتِعْبَادِ
 أَنْكَبَادِهِمْ كَالْبَيْضِ فِي الْأَعْمَادِ^(٤)
 ذَرَعًا بِهِمْ أَضْلُوهُ حَرْبَ جِهَادِ

(١) بعزائم لا ينثلمن حداد : أى عزائم ماضية كحدود السيوف غير أنها لا تقل
 (٢) جساد : دم (٣) الحمام : الموت (٤) البيض : السيوف

وَبَنَوْا رَجَاءَهُمْ عَلَى اسْتِعْدَادِهِمْ ، لَا خَيْرَ فِي أَمَلٍ بِلَا اسْتِعْدَادٍ
 هَدَمُوا مَعَالِمَهُ ، وَرَوَّوْا رَدْمَهَا بِدِمَاهُ ، فَاخْتَلَطَا دَمًا بِرِمَادٍ
 وَاسْتَفْتَحُوا بَارِسَ فَاسْتَوْفَوْا بِهَا أَوْتَارَهُمْ وَشَفَوْا صَدَى الْأَكْبَادِ (١)
 كُلٌّ بِمَسْأَهُ يَفُوزُ وَمَنْ يَنْبُ عَنْهُ الْحَوَادِثُ لَمْ يَفُزْ بِمِرَادٍ

الى الصديق الكريم

على المنزلاوى بك

إِذَا مَا رَمَى مِصْرًا بِضَعْفٍ وَحِطَّةٍ غَلَاةٌ مِنَ الْأَعْدَاءِ أَوْ جُهْلَاءِ
 فَكُنْ يَا «عَلِيٌّ» الْخَيْرِ أَعْدَلِ شَاهِدٍ لِقِتِيَّةِ «مِصْرٍ» أَنَّهُمْ نُبَلَاءِ

(١) أوتارهم : شاراتهم . صدى : عطر

نصيحة

لحسنة أهملت زيتها بدعوى مرض وهمي

لِيَبْسِمَ فِي مُحْيَاكِ الرَّجَاءِ وَيُبْرِقَ فِي أَسْرَتِكَ الْهَنَاءِ
 وَطِيبِي بِالشَّبَابِ كَمَا يُرْجَى عَمَافِكَ وَالطَّهَارَةَ وَالْإِبَاءِ
 وَقَرِّىْ أَعْيُنًا بِبَنِينِ غُرِّ وَبَعْلِ مِنْ مَحَامِدِهِ الْوَفَاءِ
 وَحَلِّ الرَّأْسِ مَفْخَرَةً بِتَاجٍ يُضِيءُ بِهِ جَلَالُكَ وَالْبَهَاءِ
 وَلَا تَنْسَى نِظَامَ الشَّعْرِ فِيهِ كَأَحْسَنِ مَا تَنْظُمُهُ الذِّسَاءِ
 فَمَا الْإِكْلِيلُ لِلْحَسَنَاءِ وَقَرِّ وَلَا تَصْفِيْفُ وَفَرَّتْهَا عَنَاءِ (١)
 وَلَكِنْ يَصْدَعُ الرَّأْسُ اشْتِغَالَ بِمَا تَأْتِي الْمَلَاَحَةُ وَالْفَتَاءِ (٢)
 وَيُنْقَلُهُ اهْتِمَامٌ غَيْرُ مُجْدٍ بِمَا فِي حُكْمِهِ الدُّنْيَا سَوَاءِ

عَلَّتْ شَمْسُ الصُّحَى وَالرَّوْضِ زَاهٍ وَفِيهِ نَضَارَةٌ وَسَنَى وَمَاءِ
 فَهَبِّي لِلصُّبُوحِ وَبَادِرِيهِ سَلَاَفَتُهُ النَّزَاهَةُ وَالضِّيَاءِ (٣)
 وَشَادِي الصَّادِحَاتِ فَإِنَّ أَسْمَى بَيَانَ لِلنَّفُوسِ هُوَ الْغِنَاءِ
 وَحَاكِي الزَّهْرِ تَسْلِيًا وَلَهْوًا فَمَا لِلْهَمِّ فِي حُسْنِ ثَوَاهِ (٤)

(١) وفر : تقل . وفرتها : شعرها (٢) الفتاء : الشباب
 (٣) الصبوح : شرب الصباح (٤) ثواء : مكان للاقامة

في تشييع جنازة

خرجت صباحاً من منزلي بمصر . وإذا نعش مكسو بالياض ،
محلّ بالزهر ، يتبعه رهط من الفتيان الافرنج . فسألت أحدهم
عن ذلك الفقيد . فأجابني انه شاب اتحر غراما فخرجوا يشيعونه .
فشيعته معهم على غير معرفة به وطفقت أرثيه بهذه الآيات

قَرَّبْتُهُ فَمَا ارْتَوَى وَجَفَّتُهُ فَمَا ارْعَوَى
غَادَةً ، مَنْ سَعَى إِلَى غَايَةٍ عِنْدَهَا عَوَى
جُنٌّ فِيهَا ، وَقَبْلَهُ جُنٌّ قَيْسٌ مِنَ الْهَوَى
وَقَضَى خَالِدُ النَّوَى يَتَدَاوَى مِنَ النَّوَى (١)
فَدَفَّنَاهُ ، بَرَدَ الْفَيْثُ قَبْرًا بِهِ ثَوَى (٢)
مَنْ قَضَى هَكَذَا شَهِيدًا فَمِنْ أَهْلِنَا هُوَا
كُلُّ نَاجٍ إِلَى مَدَى لَاحِقٌ بِالَّذِي ثَوَى (٣)
فَالشُّجَاعُ الَّذِي مَضَى قَبْلَنَا يَحْمِلُ اللُّوَا
وَالجَرِيءُ الَّذِي اقْتَنَى وَالبَطِيءُ الَّذِي نَوَى

(١) النوى : البعد (٢) الفيث : الطر (٣) ثوى : مات

المرأة الناظرة

أوعين الأم

كنت في حديقة الجزيرة أصيل يوم هبت فيه ريح السموم ،
فرايت فتاة تنظر في عيني أمها وتصلح شعرها

عَاجَتْ أَصِيلًا بِالرِّيَاضِ تَطُوفُهَا كَمَلِيكَةٍ طَافَتْ مَعَاهِدَ حُكْمِهَا
حَسَنَاءُ أَمْرَهَا الْجَمَالَ فَأَنْشَأَتْ فِي أَيْنِكِهَا الْأَطْيَارُ تَخْطُبُ بِأَسْمِهَا
وَالْحَسَنُ أَكْمَلُ مَا يَكُونُ شَبِيبَةً فِي بَدْنِهَا ، وَمَلَاخَةٌ فِي تَمِيمِهَا
سَتَرْتُ بِأَخْضَرِ سُنْدُسِي جِيدَهَا فَحَكَى الْحَيَا وَرَدَّةً فِي كَيْمِهَا
وَتَمَايَلْتُ فِي ثَوْبِ خَزٍّ مُورِقٍ غُضْنَا ، وَهَلْ لِلْفُضْنِ نَضْرَةٌ جِسْمِهَا؟^(١)
فَإِذَا دَنَتْ فِي سَيْرِهَا مِنْ زَهْرَةٍ ، هَمَّتْ بِأَخْذِ ذُبُولِهَا وَبِلَثْمِهَا
أَوْ جَاوَرَتْ فَرَعًا رَطِيبًا لَيْثًا ، أَلْوَى بِمِعْطَفِهِ وَمَالَ لِضَمِّهَا^(٢)
وَتَمَفُّ أُنْصَارٍ بِهَا فَيَخِزْنَهَا بِحَيَاتِهَا ، وَيَشْكُنَهَا فِي وَهْمِهَا^(٣)
كَالنَّخْلِ طَفَنَ بِزَهْرَةٍ فَلَسَعَهَا وَرَشَفْنَ مِنْهَا مَا رَشَفْنَ بِرَغْمِهَا
حَتَّى إِذَا حَلَّى الْعِيَاءَ جَبِينَهَا بِنَدَى ، وَأَخَذَ بَجَمْرَةٍ مِنْ عَزْمِهَا^(٤)
جَلَسْتُ تُقَابِلُ أُمَّهَا وَكَأَنَّهَا كَلَّتَاهَا جَلَسْتُ قِبَالَ رَسْمِهَا

(١) خز : حرير (٢) ألوى : مال من عل (٣) يخزنها : من الوخز وهو الألم الذي
تحدثه رؤوس الإبر . يشكنها من ألم الشوك (٤) العياء : التعب

لَكِنَّ عَاصِفَةً أَغَارَتْ فَجَاءَةً بِالهُوجِ مِنْ لَدَدِ الرِّيَّاحِ وَقُتْمِهَا
فَاهْتَزَّتِ النَّبْرَاءُ حَتَّى صَافَحَتْ عَذَبَاتِ سَرْحِيهَا مَنَابِتُ نَجْمِهَا (١)
وَتَنَازَرَتْ ضُفْرُ الْفَتَاةِ عَمَامًا سَتَرَتْ عَنِ الْأَبْصَارِ طَلْعَةَ نَجْمِهَا
فَتَحَيَّرَتْ فِيهَا تُحَاوِلُ وَهِيَ قَدْ أَعْيَتْ بِلَا مِرَاتِيهَا عَنْ نَظْمِهَا
فَدَنَتْ تُحَاذِي أُمَّهَا وَتَنَازَرَتْ بِعِيُونِهَا وَجَلَّتْ سَحَابَةٌ هَمَّهَا
وَكَذَا الْفَتَاةُ إِذَا ابْتَغَتْ مِرَاتِيهَا فَتَعَذَّرَتْ، نَظَرَتْ بِعَيْنِي أُمَّهَا

الهريرة

في هدية لون من الطعام يدعى الهريرة

أَتَتْ بِلَا وَعْدٍ وَيَا حُسْنَهَا هَرِيرَةً طَابَتْ لِهَرَّاسِ
يَنْدُرُ أَنْ تُطَهَى فَأَيَّامُهَا مِنْ بَهْجَةِ أَيَّامِ أَعْرَاسِ
لَوْ قَدْ رَأَيْتَ الشَّحْمَ وَاللَّحْمَ فِي أَيَّةِ حَالٍ بَيْنَ أَضْرَاسِ
سَمِعْتَ مِنْ أُنْشُودَةِ الْحَمْدِ مَا تُنْشِدُهُ أَنْيَابُ فَرَّاسِ

(١) نجمها : النجم من النبات ما نجم على غير ساق

بدر و بدر

حَسَنَاهُ لَكِنْ نَفُورُ بَادٍ عَلَيْهَا الْفُتُورُ
 إِذَا رَنَتْ غَارَ مِنْهَا فِي الْحَىِّ عَيْنٌ وَحُورُ^(١)
 وَإِنْ تَمَسَّ قَالِيهَا مَنِ النَّفُوسِ تَطِيرُ
 لَا تَكْسِرُ الْجَفْنَ إِلَّا وَقَلْبُ صَبٍّ كَسِيرُ
 وَلَا تَبَسُّ إِلَّا وَجَفْنُ بَاكِ يَمُورُ^(٢)
 وَلَا تَلَفَّتْ إِلَّا وَجِيرَةُ الْحَىِّ صُورُ^(٣)
 يَا قَرَّةَ لَعِينِي فِي الصَّدْرِ مِنْهَا سَعِيرُ
 كَمْ جِثْمِكُمْ مُسْتَزِيرًا وَطَيْفِكُمْ لَا يَزُورُ^(٤)
 إِنْ كَانَ صَبْرِي قَلِيلًا فَإِنَّ وَجْدِي كَثِيرُ
 لَيْسَ الْحَبُّ صَدُوقًا فِي الْحَبِّ وَهُوَ صَبُورُ
 يَا بَدْرُ سُمِّيتَ بَدْرًا وَأَيْنَ مِنْكَ الْبُدُورُ؟
 أَيْنَ الْجَمَادُ مُنِيرًا مِنْ ذِي حَيَاةٍ يُنِيرُ؟
 أَيْنَ الصَّبَاخَةُ فِيهِ وَأَيْنَ مِنْهُ الشُّعُورُ؟
 أَيْنَ السَّنَى وَهُوَ شَيْبُ مِنَ الصَّبِيِّ وَهُوَ نُورُ؟

(١) رنت : نظرت . حور : الحور ذوات العيون الجميلة (٢) يمور : يسيل
 (٣) صور : مائة أعناقهم (٤) مستزيراً : طالباً الزيارة

لَمْ أَنْسَ حِينَ التَّقِينَا وَالرَّوْضُ زَاهٍ نَضِيرُ
إِذِ الْعَيْونُ نِيَامُ وَاللَّيْلُ رَاءَ حَسِيرُ^(١)
نَشْكُو الْغَرَامَ دِعَابًا وَرُبَّ شَاكٍ شَكُورُ
وَفِي الْمَوَاءِ حَنِينُ مِنْ الْمَوَى وَزَفِيرُ
وَاللِّمَيَّاهِ أَنْيْنُ
وَالنَّسِيمِ حَدِيثُ عَلَى الْمَرْوَجِ يَدُورُ
وَاللَّزَاهِرِ فِكْرُ يَرْوِيهِ عَنْهَا الْعَبِيرُ
وَالْبَدْرِ فِي الْغَيْمِ يَخْفَى أَنَا وَأَنَا يَثُورُ
بِيضُ الْغَيْومِ جَوَارِ لَدَيْهِ وَهُوَ أَمِيرُ
تَدْنُو إِلَيْهِ فَتُلْقِي تَحِيَّةً وَتَسِيرُ
مَنَاظِرُ رَائِعَاتُ مِرَاتِمُنَّ الْغَدِيرُ
يَدَا بِنِّ مَبْتَدَعَاتِ وَدَابُّهُ التَّصْوِيرُ
لَهْنِي عَلَيْهِ زَمَانًا وَلِي فَوَلَّى الشُّرُورُ
مَضَى قَصِيرًا وَلَكِنْ لِلسَّعْدِ عَهْدٌ قَصِيرُ

(١) والليل راء حسير : أراد به الليل الذي رقت ظلمته فشتت عن ضياء ضئيل كرؤية الأحسر
ذي النظر الضعيف

فاجعة

في هزل

جرت هذه الحادثة في قرية بلبان وذكرها للشاعر بعض شهودها

كَانُوا ثَمَانِيَةَ مِنَ الثَّمَاءِ مُتَالِفِينَ كَأَحْسَنِ الرُّقَاءِ
فِي مَجْلِسِ حَجَبِ الشَّبَابِ بِأَمْرِهِمْ أَنْوَابُهُ إِلَّا عَلَى السَّرَاءِ
مُتَحَدِّثِينَ وَلَا يَطِيبُ لِمِثْلِهِمْ إِلَّا حَدِيثُ الْحَسَنِ وَالْحَسَنَاءِ
حَتَّى إِذَا اعْتَكَرَ الظَّلَامُ وَمُرَّتْ أَحْشَاؤُهُ فَدَمِينٍ بِالْأَضْوَاءِ (١)
وَتَنَاقَلَتْ أَشْبَاحُهُمْ وَتَخَفَّتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ نَشْوَةِ الصَّبَاءِ
أَضْفَوْا لِقَوْلِ فَتَى جَرِيٍّ مِنْهُمْ غَضُّ الشَّبِيبَةِ جَامِحِ الْأَهْوَاءِ
يَا أَيُّهَا الْإِخْوَانُ أَسْمِعْ نِسْوَةَ بِجِوَارِنَا فِي حَفَلَةٍ وَغِنَاءِ
فَهَلُمَّ نَحْتَلْ حِيَلَةً فَيَجِئْنَا، لَا خَيْرَ فِي أَنْسٍ بغيرِ نِسَاءِ
قَالُوا: فَمَا هِيَ، قَالَ: أَرْقَدُ مُوَهَّمًا أَنِّي قَضَيْتُ مُعَاجَلًا بِقَضَاءِ
فَإِذَا انْتَحَبْتُمْ جِئْنَاكُمْ، فَبَرَزْتُ مِنْ كَفَنِي وَفَزْنَا بِاجْتِمَاعِ صَفَاءِ
فَنَعَاهُ نَاعٍ رَاعِهِنَّ فَجِئْنَ فِي هَرَجٍ لِتَوَدِيعِ الْفَقِيدِ النَّائِي
وَبَكَيْنَهُ حَتَّى إِذَا أُدْرِكْنَ مَا كَادُوا لَهْنًا، وَثَبْنَ وَثَبَ ظِبَاءِ
يَضْحَكْنَ أَشْبَاهَ الشُّمُوسِ تَأَلَّقَتْ عَقِبَ الْحَيَا وَضَاءَةَ اللَّالَاءِ

(١) دمين : سالت دماؤها

وَحَقْلَنَ حَوْلَ سَرِيرِهِ يَنْهَرْتَهُ
 فَرَفَعْنَ عَنْهُ غَطَاءَهُ فَوَجَدْنَهُ
 عَاجِلْنَهُ جُهْدَ الْعِلَاجِ وَلَمْ يَكُنْ
 حَتَّى إِذَا دُعِيَ الطَّبِيبُ فَجَاءَهُمْ
 فَتَبَدَّلَتْ أَفْرَاحُهُمْ فِي لَحْظَةٍ
 وَأَبَاتَهُمْ هَذَا الْمِرَاحُ مِنَ الرَّدَى
 لَوْ عَاشَ صَاحِبُهُمْ لِعَاشَ رَهِينَةً
 وَكَذَا الْحَقِيقَةُ جِدُّهَا وَمِرَاحُهَا
 لَكِنْ أَحَطْنَ بِصَخْرَةٍ صَمَاءَ
 بِالْمَيْتِ أَشْبَهَ مِنْهُ بِالْأَحْيَاءِ
 شَيْءٌ لِيُوقِظَهُ مِنَ الْإِعْمَاءِ
 رَاعِ الْقُلُوبَ بِنَفْسِ كُلِّ رَجَاءِ
 بِمَنَاحَةٍ ، وَسُرُورُهُمْ بِبُكَاءِ
 فِي شَرِّ مَا يُبْكِي مِنَ الْأَرْزَاءِ
 مِنْ بَعْدِهَا لِلْمَجْعَةِ السَّوْدَاءِ
 سِيَّانٍ فِي الْإِشْقَاءِ وَالْإِفْنَاءِ

إلى أرب

بلغ الستين

يَا بَالِغَ السُّتَيْنِ مِنْ عُمْرِهِ
 دُمٌ رَافِعًا بَيْنَ مَنَارِ الْمُدَى
 مِنْ فَحَمَاتِ اللَّيْلِ تَجَلُّو الضُّحَى
 وَمِنْ طَوَايَا النَّاسِ تُبْدَى بِمَا
 نَوْدُ لَوْ بُلَّغْتَ فِيهِ الْمُنِينَ
 مَنَارَةَ الْمَشْرِقِ فِي الْعَالَمِينَ
 وَظُلُمَاتِ الرَّيْبِ تَجَلُّو الْيَقِينَ
 خَيْرَتَ مِنْهُمْ كُلِّ كَنْزٍ دَفِينِ

جواب

بعث الى الناظم صديق من الاسكندرية يدعى حبيباً بقصيدة مداعبة، وصف له فيها معاهد كانا مختلفان اليها، وبالغ على الخصوص في وصف فتاة كانت آية في الجمال من غير تسمية لها ولا إشارة ظاهرة إليها. فأجابه عليها بمثل تلك المداعبة

وَإِنِّي الْكِتَابُ فَأَخْبِي قَلْبَ الْمَشُوقِ الْكَثِيبِ
بِنَظْرَةٍ مِنْ صَدِيقٍ عَنِّ أَعْيُنِي مَحْجُوبِ
وَرَجَّعِ صَوْتِ رَقِيقِ حُرْمَتُهُ فِي الْمَغِيبِ
كَأَنَّكَ أَنْتَ فِيهِ مَخَاطِبِي عَنِّ قَرِيبِ

أَذْكَرْتَنِي، غَيْرَ نَاسٍ، يَوْمَ الْفَتَاةِ اللَّعُوبِ
بَيْنَ الْأَوَانِسِ وَالْثَرْبِ حَبُّ الْقُلُوبِ
فِي مَسْرَحِ ضَاقِ رَحْبًا بِكُلِّ غَاوٍ أَدِيبِ
تُوحِي الْمَحَاسِنُ فِيهِ مُقَدَّمَاتِ الذُّنُوبِ

أَدْمَاءُ كَالشَّمْسِ تَبْدُو وَالْوَقْتُ بَعْدَ الْغُرُوبِ
مَلِيكَةٌ، ذَاتُ وَجْهِ تَمَحَّجٍ، وَطَرْفٍ مُذِيبٍ (١)
بِالنُّورِ تُنْزَلُ آيَاتُ حُكْمِهَا الْمَرْهُوبِ

(١) طرف : عين

مِثْلَهَا مِنْ ضَمِيرِي فِي مَقْدِسِ حَجُوبِ
مُسَيِّجٍ مِنْ غَرَامِي وَغَيْرَتِي بِلَهَيْبِ
يَجْتُو فُؤَادِي فِيهِ بَيْنَ اللَّظَى الْمَشْبُوبِ (١)
وَيَعْبُدُ الطَّيْفَ مِنْهَا فِي مَأْمَنِ مِنْ رَقِيبِ

لَكِنْ أَغَارُ عَلَيْهَا مِنْ ذِي دَهَاءِ أَرِيبِ
أَخِي مِزَاحٍ وَرَفِيقِ مُسْتَلْطَفِ التَّشْبِيبِ (٢)
وَمَا عَنَيْتُ « حَبِيبًا » حَاشَا وَقَاءِ « حَبِيبِ »

زعم

على أحياء

فِي زَهْرَةِ الْعُمُرِ قَتَى نَابِهِ أَعْصَاهُ سَهْمٌ لِلرَّدَى طَاشَا
أَتَكَلَّ أَهْلًا لَا عَزَا لَهُمْ وَأَوْسَعَ الرَّفْقَةَ إِجَاشَا
مَا إِنْ جَنَى الْمَوْتُ عَلَيْهِ كَمَا جَنَى عَلَيَّ مَنْ بَعْدَهُ عَاشَا

(١) اللظى : الضرام (٢) التشبيب : المغازلة

مشاكاة

بينى وبين النجم

أرى مثل سُهْدِي فِي الْكَوْكَبِ أَحَلَّ بِهِ مِثْلُ مَا حَلَّ بِي ؟
يَهْمُ هَيَامِي مِنْ وَجْدِهِ وَيَهْرُبُ مِنْ مَهْدِهِ مَهْرَبِي
وَنَجْتَازُ هَذَا الْفَضَاءَ رَحِيبًا فَأَمَّا بِنَا فَهَوَ لَمْ يَرْحُبِ
إِذَا سِرْتُ بَحْرًا أَرَاهُ بِهِ أَنْيْسِي عَنْ جَانِبِ الْمَرْكَبِ
وَإِنْ سِرْتُ بَرًّا يُجَارِي خُطَايَ، فَنِي الشَّرْقِ أَنَا وَفِي الْمَغْرِبِ
رَفِيقَ الشَّرَى فِيكَ بَجْرٌ يُدَيْبُ وَإِنْ سَالَ كَالْدَمْعِ الصَّيْبِ
أَمِيرٌ هَوَاكَ إِلَى صَاحِبِ يُوْأَخِيكَ فِي هَمِّكَ الْمُنْصِبِ (١)
أَمَا كُلُّ ذِي كَلْفٍ مُتْعِبٌ شَرِيكَ لَدَى الْكَلْفِ الْمُتْعِبِ؟ (٢)

فَيَا لَكَ مِنْ صَامِتٍ نَاطِقِي وَيَا لَكَ مِنْ مُعْجَمٍ مُعْرَبِ
أَنْيْسِي عَلَى مَا بِهِ مِنْ أَسَى شَجِيءٍ التَّبَسُّمِ مُسْتَعْدَبِ
مَشُوقٍ إِلَى الشَّمْسِ طَلَابُهَا مُجِدِّ عَلَى شِقَّةِ الْمَطْلَبِ
إِذَا كَلَّ جَهْدًا فَأَغْضَى بَدَتْ وَإِنْ هَبَّ يَرْقُبَهَا تَمْتَحِنِي

(١) المنصب : التعب (٢) كلف : غرام

عَذِيرُكَ مَنْ أَنْتَ مِرَاتُهُ بِحُبِّكَ وَالْأَمَلِ الْأَخْيَبِ

وَبِي مِثْلُ مَا بِكَ مِنْ شَاغِلٍ وَبِي مِثْلُ مَا لَكَ مِنْ مَأْرَبِ
فَتَاةٌ كَصَوْعِ الضِّيَاءِ إِلَيْهَا تَنَاهَتْ مَنِي قَلْبِي الْمَوْصَبِ^(١)
مِنَ الْخَوْرِ دَانَ فُوَادِي بِهَا وَوَحَّدَهَا الْحُبُّ فِي مَذْهَبِي
فَإِنْ كُنْتَ يَا نَجْمُ طَالَعْتَهَا وَقَدْ سَفَرْتُ لَكَ فِي مَرْقَبِ
فَأَنْتَ إِذَنْ فِي الْهَوَى عَادِرِي وَأَنْتَ لِسُهْدِي بِمُسْتَفْرَبِ

قال في سيرة زانت رأسها بطافة فل

أَدَلْتُ مِنَ الرَّأْسِ فُلًّا فَوْقَ الْجَبِينِ فَحَلَّى
مَا كَانَ عَهْدِي قَبْلًا بِالْوَرْدِ يَحْمِلُ فُلًّا

(١) الموصب : المرض

زفاف

أم جنازة

قيلت في جنازة جعلت على شكل موكب زفاف لفتاة اسمها « نمس »
توفيت في ريعان شبابها وكانت مخطوبة لرئيس جند من الفرسان

عَزِيزٌ غُرُوبُ الْبِكْرِ فِي بُكْرَةِ الْعُمُرِ كَعَيْبَةِ شَمْسِ الْأَفُقِ فِي طَلْعَةِ الْفَجْرِ
فِيَا شَمْسُ سَرَّعَانُ الْقَضَاءِ تَهَجُّمًا عَلَيْكَ وَلَمْ يُمِهْلِكَ فِي السَّبْعِ وَالْعَشْرِ
خَطِيبَةُ شَهْرِ سَابِقِ الْمَوْتِ بَعْلَهَا إِلَيْهَا ، فَأَغْوَاهَا وَلَكِنْ عَلَى طَهْرِ
أَتَاهَا عَلَى غَيْرِ ارْتِقَابٍ بِجَذْرِهَا سَرِيعًا خَفِيفًا خَارِقَ الْحُجُبِ كَالْفِكْرِ
وَقَبْلَهَا فَاسْتَلَّ جَوْهَرَ رُوحِهَا وَأَبْقَى عَلَى رَسْمِ كَبَعَضِ الدُّمَى الْغُرْمِيِّ (١)
كَذَلِكَ نِيرَانُ الصَّوَاعِقِ تَنْشِي عَنِ التُّرْبِ إِعْرَاضًا ، وَتَأْخُذُ بِالتَّبْرِ

فَلَمَّا نَعَوْا تِلْكَ الْفِتَاةَ لِأُمَّهَا أَلَمَّ بِهَا سُكْرٌ وَمَا هِيَ فِي سُكْرِ
عَرَاهَا خِبَالٌ فَهِيَ تَرْقُصُ تَرْحَةً وَتَنْشُدُ أَصْوَاتَ الشُّرُورِ وَلَا تَدْرِي (٢)
وَتَهْدِي مِنَ الْحَمَى بِمَا شَاءَ ثُكْلُهَا وَيَنْهَلُ مِنْ أَجْفَانِهَا الدَّمْعُ كَالْفَطْرِ

« بِنِيَّةٍ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنَ الرَّدَى فَإِنَّكَ فِي أَمْنٍ لَدَى بَعْلِكَ الْخُرِّ »

(١) الدى : التمايل (٢) الحبال : شبه جنون

عُرُوسٌ يُفَدِّيهَا بِمُهْجَتِهِ فَتَى
 فَيَا أَفْرَسَ الْفُرْسَانِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
 تَمَخِّذْنَاكَ بَعْدَ اللَّهِ حَامِيَ دَارِنَا
 فَكَيْفَ يَنَالُ الْمَوْتُ مَنْ أَنْتَ عَاصِمٌ
 لِمَنْ تَسْتَعِدُّ السَّيْفَ ؟ كُنْتُ أَوْدُهُ
 أَعِدُّوْا لَهَا ثَوْبَ الزَّفَافِ مُرْصِعًا
 وَلَا تُنْكِرُوا هَذَا السُّكُونَ بِنَوْمِهَا ،
 وَدَمْعِي دَمْعُ الْأُمِّ فِي عُرْسِ بِنْتِهَا
 لَهَا أَرْخَصَ الدُّرَّ الْفَوَالِي فِي الْمَهْرِ
 إِذَا سَالَتِ الْأَسْيَافُ بِالْأَنْفُسِ الْحَمْرِ (١)
 وَلَيْسَ لَنَا عَوْنٌ سِوَاكَ عَلَى الضَّرِّ
 فَيَخْطِفُهَا مِنِّي وَيَسْلُمُ مِنْ وَثْرِ؟ (٢)
 يُرَوِّى الثَّرَى الظَّمَانُ مِنْ مُهْجَةِ الدَّهْرِ
 وَصُوغُوا لَهَا الْحَلِيَّ الثَّمِينِ مِنَ الدُّرِّ
 أَلَيْسَ كَذَا نَوْمُ الْمُحَصَّنَةِ الْبِكْرِ؟
 فَلَا تُنْكِرُوهُ لَيْسَ فِي الدَّمْعِ مِنْ نُكْرٍ»

لَكَ اللَّهُ مَا أَبْهَى زَفَاكَ إِنَّهُ
 وَلَكِنْ لِمَ الْأَيْدِي تُلْقِي فَوْقَهَا
 يَضْمُكَ نَعْسٌ أَمْ أَرِيكَ زَفَةً؟
 أَلَا إِنَّ هَذَا مَوَكِبُ الْمَوْتِ زَانَهُ
 وَأَمُّكَ لَا يَكْفِي التَّفَجُّعَ قَلْبَهَا
 تَفَرَّدَ مَا بَيْنَ الْمَوَاكِبِ فِي «مِصْرِ»
 مُوسِدَةً وَالصَّاحِبَاتُ بِلَا عِطْرِ؟
 وَيَجْفِلُ قَوْمٌ لِلشُّرُورِ أَمْ الْأَجْرِ؟
 لَكَ الْأَهْلُ بِالطَّرْزِ الْأَنِيقِ وَبِالزَّهْرِ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي صُورَةِ السَّعْدِ وَالْبِشْرِ

فَيَا شَمْسَ حُسْنِ بَكْرَتِ فِي زَوَاهَا
 بَكْرَتِكَ لَا أُنِي عَرَفْتُكَ إِذَا
 لَمَّا غَبَّتِ فَالزُّهْرُ الثَّوَابِتُ فِي الْإِثْرِ
 نَلْطِيبُكَ هَذَا كُلُّ نَاضِبَةٍ تَجْرِي (٣)

(١) الوعى : ميدان القتال (٢) وتر : انتقام (٣) ناضبة : عين جف ماؤها

الزهر

أهديت الى إحدى عقائل المجد من السيدات المحسنات في باريس

آذنتِ الشَّمْسُ بِالتَّوَارِي وَقَدْ طَوَّتْ رَايَةَ الْأَصِيلِ
وَأَقْبَلَتْ زِينَةَ الدَّرَارِي تَشْفِي بِبِلَالِئِهَا الْغَلِيلِ

كَمْ كَوَكَبٍ فِي الظَّلَامِ يَبْدُو لَكِنَّهَا رَبَّةُ النُّجُومِ
لَهَا جَوَارٍ مِنْهَا وَجُنْدُ كَجَوْهَرٍ حَوْلَهَا نَظِيمِ
هَوَاؤُهَا عَنَبْرٌ وَنَدُّ غِذَاؤُهَا النُّورُ وَالنَّعِيمِ
تَسْرَحُ مَنْشُورَةَ الرِّدَاءِ فِي مَسْرَحِ اللَّهْوِ وَالذُّهُولِ
خَائِضَةً أَبْحَرَ الْمَنَاءِ فِي نَسَمِ كُلِّهَا قَبُولِ

لَكِنَّهَا غَادَةٌ غَيُورُ - وَأَيُّ حَسَنَاءَ لَا تَفَارُ - ؟
فَرُبَّمَا سَاءَ مَا نَظِيرُ تَرَى غَدِيرًا بِهِ اسْتِنَارُ
فَكَادَ مِنْ لِحْظِهَا يَثُورُ نَبْعٌ طَفُورٌ مِنَ الشَّرَازِ
مَنْ يَخْلُ مِنْ شَاغِلِ الْعَنَاءِ فَوَهْمُهُ الشَّاغِلُ الثَّقِيلِ
رَسْمُكَ هَذَا فِي حَوْضِ مَاءِ يَا مَنْ تَزَهَّتْ عَنْ مَثِيلِ

هَوَاكِ عَذْبُ بِلَا عَذَابِ وَمِنْكَ تَمَحُّو لَنَا الشُّجُونُ
وَفِيكَ ضَوْءُ بِلَا أَتِهَابِ تَقْرَأُ مِمَّا صَفَا الْعُيُونُ
وَحَبِّدَا أَنْتِ فِي اضْطِرَابِ وَحَبِّدَا أَنْتِ فِي سُكُونِ
كَلْمَعَةِ السَّعْدِ فِي الشَّقَاءِ كَدَمَعَةِ الْوَجْدِ فِي الْمَسِيلِ
كَالْبِكْرِ بِالْحَسَنِ وَالْحَيَاءِ وَغَضُّهَا طَرْفَهَا الْكَحِيلِ

الوردتان

اطلعت على الموشحة الآتفة آتسة شرقية من أوانس البيوتات المشهورة .
فبدا للناظم أنها تمنى أن ينظم مثلها ويهديها إليها . فأجابها الى ما تمت

تَبَارَكَ اللهُ فَهَوَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُبْدِعَ الْكِيَانَ
أَبْدَاهُ فِكْرُهُ ، وَلَمَّا يَقُلْ لِمَا شَاءَ كُنْ فَكَانَ

فَجَاءَ ذَا الْعَالَمِ الْعَظِيمِ لَفْظًا لِفِكْرِ تَصَوَّرَهُ
الْشَّمْسُ وَالْأَرْضُ وَالنُّجُومُ مِنْ مُظْلِمَاتٍ وَمُبْصِرَةٍ
كَأَحْرِفٍ سَفَرُهَا الرَّقِيمُ مُذْهَبَةً أَوْ مُحَبَّرَةً (١)
جَمِيعُهَا اسْمٌ وَهُوَ الْمُسَمَّى فِي سَعَةِ الْخَلْقِ وَالزَّمَانِ
وَكُلُّ حَرْفٍ حَوَى لَهُ اسْمًا يَضِيقُ عَنْ ضَمِّهِ الْمَكَانِ

وَنَوَّرَ اللهُ بِابْتِسَامِ تَمَثِيلُهُ الْبَاهِرُ الْبَدِيعِ
وَرَانَ مَا فِيهِ مِنْ نِظَامِ بِكُلِّ ضَرْبٍ مِنَ الْبَدِيعِ
فَعَقَّبَ الشَّمْسَ بِالظَّلَامِ وَدَبَّجَ الْعَامَ بِالرَّبِيعِ
وَأَنْهَضَ الشَّاهِقَ الْأَسْمَاءَ وَأَقْعَدَ الْغَوْرَ فَاسْتَكَانَ (٢)

(١) سفرها الرقيم : كتابها فضاء السماء
اللتطامن من الأرض

وَمَدَّ مَاءَ جَرَى خِضْمًا وَتَحْتَهُ النَّارُ فِي أَمَانٍ (١)

بَارَبُّ أَعْظَمَ بِمَا وَضَعْنَا فِي السَّكُونِ مِنْ آيِكَ الْعِظَامَ (٢)
أَدَقُّ شَيْءٍ مِمَّا صَنَعْنَا كَجُمْلَةِ الْخَلْقِ بِالتَّمَامِ
وَكُلُّ جُزْءٍ بِهِ جَمَعْنَا عَجَائِبَ الْكُلِّ حَيْثُ قَامَ
ثَرَتْ ثَرًا فَجَاءَ نَظْمًا بَدِيعُهُ حَلِيَّةُ الْبَيَانِ
وَكُلُّ بَيْتٍ مِنْهُ اسْتَمْتَمًا قَصِيدَةٌ تَخْلُبُ الْجَنَانَ (٣)

لَكِنَّ فِي صُنْعِكَ الْجَلِيلِ أَحَبُّ شَيْءٍ لَنَا الزَّهْرُ
خَلَقْتَهُ بِهَيْجَةِ الْعُقُولِ وَمَرْتَعِ النَّخْلِ وَالْفِكْرِ
نَكَادُ مِنْ خَلْقِهِ الْجَمِيلِ نَسْتَجْمِعُ النَّفْسَ فِي الْبَصْرِ
عَبِيرُهُ لَا يُمَلُّ شَاءً يُرَوِّحُ الْقَلْبَ وَهُوَ عَانَ
وَنُورُهُ قَدْ يُخَالُ فِهْمًا لِمَا يُرَى فِيهِ مِنْ مَعَانٍ

طَوَائِفُ هَذِهِ الْأَزَاهِرِ وَكُلُّ حِزْبٍ لَهُ أَمِيرٌ
مَلِيكُهَا الْوَرْدُ لَمْ يُكَابِرْ مُنَاطِرٌ فِيهِ أَوْ نَظِيرٌ
تَقَلَّدَ التَّاجَ مِنْ جَوَاهِرِ وَقَامَ لِلْحُكْمِ فِي السَّرِيرِ

(١) خضما : بمرأ (٢) آيك : آياتك (٣) تخلب الجنان : تعثر القلب

لَكِنْ يَقُولُونَ جُرْتِ ظُلْمًا فِي الزَّهْرِ يَا وَرْدَةَ الْجِنَانِ
لَأَنْتِ أُنْهَى وَأَنْتِ أَسْمَى مِنْ أَنْ تُقِيمِي لِلْعَدْلِ شَانَ

خُلِقْتِ بَيْضَاءَ كَالرَّجَاءِ فَهَامَ فِي حُبِّكَ النَّسِيمُ
فَرَاخَ مَذْ دَارَ فِي الْفَضَاءِ مَقْبَلًا تَفْرِكِ الْوَسِيمُ
فَبِتُّ فِي مُحْرَةِ الْحَيَاءِ لِذَلِكَ الْمُنْكَرِ الْجَسِيمُ
ذَنْبٌ تَحَلَّلْتُمَاهُ قِدْمًا فَلَبِثَ الْوَرْدُ وَهُوَ قَانُ (١)
كَذَلِكَ جَاءَتْ حَوَاهُ إِثْمًا فَعُوقِبَ النَّسْلُ غَيْرُ جَانُ

فَدَتِكَ مَهْمَا كَسَبْتَ وَرَرًا أَزَاهِرُ الرَّوْضِ وَالْحِجَالِ (٢)
أَلَا فَتَاةً أَجَلَ قَدْرًا كَرِيمَةً أُلْخِطِي وَالْخِلَالَ
تَبَّرُهُ بِالْبَائِسِينَ بَرًّا وَتَشْتَرِي أَنْفُسًا بِمَالِ
كَلْتَا كَمَا وَرْدَةٌ تُسَمَّى لَكِنَهَا وَرْدَةٌ الْحِسَانِ
وَأَفْضَلُ الْوَرْدَتَيْنِ حُكْمًا بَحِيمَةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ

(١) قان : أحر (٢) كسبت وزرراً : جنيت ذنباً . الحجال : مقصورات النساء

قضية

بين القلب والعين

مداعبة مقتبسة عن تخيل بعض الغزليين من شعراء العرب

عرض القضية

بَيْنَ قَلْبِي وَمُقَلَّتِي حَمَلَةٌ تُوهِنُ الْقُوَى
وَزِرَاعٌ بِفَصْلِهِ حَكَمًا قَاضِيَ الْهُوَى

الدفاع عن العين

إِنَّمَا الْعَيْنُ أَبْصَرَتْ فَصَبَا الْقَلْبُ وَاكْتَوَى
عَرَضًا أَبْصَرَتْ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا لِمَنْ نَوَى

الدفاع عن القلب

وَهوَ لَوْلَا طَمُوحُهَا لَمْ يَبْتَ شَاكِي الْجَوَى
مُسْتَمِرًّا خُفُوقَهُ كَلَّمَ نَسَمَ الْهُوَا
يَتَلَطَّى وَمَا لَهُ مِنْ نَدَى الدَّمْعِ مُرْتَوَى

الحكم الابتدائي

قَالَ قَاضِي الْغَرَامِ مِنْ سُدَّةٍ فَوْقَهَا اسْتَوَى
إِنْ تَكُ الْعَيْنُ أَذْنَبَتْ حَسْبَهَا الشَّهْدُ وَالنَّوَى
كَيْفَ تُجْزَى وَمَا غَوَتْ وَسِوَاهَا الَّذِي غَوَى
فَعَلَى الْقَلْبِ غُرْمُهُ هِيَ لَمْ تَجْنِ بَلْ هُوَا

حكم الاستئناف

بَلْ هِيَ الْعَيْنُ سَبَبَتْ وَهُوَ جَارِي فَمَا ارْعَوَى
فَلْيُعَاقَبْ كِلَاهُمَا فَهَمَا فِي الْهَوَى سَوَا

النقض والابرام

أَلْقُلُوبُ وَالْقَلُّ هُنَّ لِلْهَوَى رُسُلٌ^(١)
رَبُّهَا وَأَمْرُهَا يَقْتَضِي فتمثِلُ
حَاكِمٌ مَشِيئَتُهُ لَا تَرُدُّهَا الْجَيْلُ
أَلْوَجُودُ دَوْلَتُهُ أَرْضُنَا بِهَا عَمَلٌ^(٢)
الْأَمِيرُ خَادِمُهُ وَالْحَكِيمُ وَالْبَطَلُ

(١) القل : العيون (٢) عمل : ولاية

لَنَجُومُ فِي يَدِهِ تَنْتَحِي وَتَنْتَقِلُ
الْحَيَاةُ مَوْطِنُهُ وَالْخَلَائِقُ السُّبُلُ
الدَّوَامُ مَبْدُوهُ وَالنَّهْيَةُ الْأَزَلُ
السَّنَى تَبَسُّمُهُ وَهُوَ ضَاحِكٌ جَدِيلٌ^(١)
وَالدُّجَى غُبُوسَتُهُ وَالْخَطُوبُ وَالْوَهْلُ^(٢)
الشَّرُورُ فِي فَمِهِ وَالْعَذَابُ وَالْأَجَلُ
مَنْ يُطِيقُ حَمَلَتَهُ مَنْ لَهُ بِهَا قَبْلُ^(٣)
عَيْنِكَ الَّتِي نَظَرْتَ مِنْهُ جَاءَهَا الْمَيْلُ^(٤)
وَالْفُؤَادُ طَاوَعَهَا وَهُوَ مُنْكَرَةٌ وَجِلُ
فَالْمَسِيءُ غَيْرُهُمَا مَا إِلَيْهِ مُتَّصِلُ
إِنَّمَا الْعِقَابُ لَهُ لَوْ تَعَابَ الْعِلْلُ

(١) السنى . النور
(٢) الدجى : الظلام . الخطوب والوهل : الصائب والخوف
(٣) قبل : قدرة
(٤) الميل : الانحراف

نابوليون الأول

وجندى يموت

أَمَاتَ أَوْلِيكَ الْجُنْدُ الْكِرَامُ وَلَمْ يَثْبُتْ لَهُمْ أَثَرٌ مُقَامٌ ؟
سِوَى قَوْلِ الرُّوَاةِ حَيُّوَا لِيَقْضُوا مَنَى رَجُلٍ كَبِيرٍ ثُمَّ نَامُوا
تَفَانُوا فِي بِنَاءِ اسْمٍ عَظِيمٍ وَمَا أَسْمَاؤُهُمْ إِلَّا الرَّغَامُ^(١)
يُسَخَّرُ رَبُّكَ الدُّنْيَا لِفَانٍ وَفِي الدُّنْيَا وَفِيهِ لَهُ رَامٌ
فِيَلْتَقِي مِنْ مَحَبَّتِهِ عَلَيْهِ وَتُوشِكُ أَنْ تُوَحِّدَهُ الْأَنَامُ

كَذَلِكَ أَحَبَّ « نَابُلْيُون » جُنْدُ ثُمَّ بِفَخَارِهِ نَهَضُوا وَقَامُوا
أَبَالِسُ لَا تُرَدُّ وَلَا تُلَاقَى مَلَائِكُ لَا تُصَدُّ وَلَا تُضَامُ
أَعِزَّةُ يَوْمٍ « أُسْتَرِلْتَس » كَانُوا قَلِيلًا وَالْعِدَى كَثْرٌ ضِيخَامُ
تَلَاقُوا مُقْبِلِينَ عَلَى اشْتِيَاقٍ وَلَكِنْ لَا وِدَادَ وَلَا سَلَامُ
وَكَانَتْ قُبْلَةُ الْأَشْوَاقِ فِيهِمْ ضِرَامًا لَا تَقْرَأُ عَلَيْهِ هَامُ
وَطَالَ وَمَا شَفَى لَهُمْ غَلِيلًا مِنْ الْوَجْدِ التَّعَانُقِ وَاللِّزَامُ

قَلَمَ يَكُ مُجْدِي الرُّوسِ التَّفَانِي وَلَا الْخُلَفَاءِ بَأْسٌ وَاقْتِحَامُ

(١) الرغام : التراب

وَلَا عَصَمَ الصَّقِيعُ وَكَانَ مِنْهُ مَعَاقِلُ خَلْفَهَا لَهُمْ اِعْتِصَامٌ^(١)
 وَقِيَّضَ لِلْفَرَنْسِيِّينَ نَصْرٌ أَتَاهُمْ فَوْقَ مَا ظَنُّوا وَرَأَمُوا
 فَطَابُوا فِي الْغُبُوقِ بِهِ نَفُوسًا وَرَاقَ لَهُمْ مَعَ الظَّفَرِ الْمُدَامُ^(٢)
 وَحَدَّثَ قَوْمَهُ الصُّعْلُوكُ مِنْهُمْ بِمَا كَانَتْ وَقَائِعُهُ الْجِسَامُ

وَكَانَ فَتَى لَهُ سِيَا زَعِيمٌ يُنْكِرُهُ التَّفَرُّدُ وَالظَّلَامُ
 عَرِيضُ الْجِبْهَةِ الْفَرَاءُ يَبْدُو بِهَا شَعْرٌ كَمَا رَقَّ النَّمَامُ
 حَدِيدُ النَّاطِرِينَ إِذَا أُثِيرَا فَمِضْبَاحَاتٍ مَلُؤُهُمَا ضِرَامُ^(٣)
 تَرَاهُ الْعَيْنُ جِبَارًا عَظِيمًا لِهَيْبَتِهِ وَإِنْ قَصَرَ الْقَوَامُ
 يَمُرُّ بِهِمْ وَقَدْ تَمَلُّوا افْتِخَارًا وَإِعْيَاءَ فَكُلُّهُمْ نِيَامُ
 إِذَا تَعَبَ الْجُنُودُ فَلَيْسَ بِدُعٍ بِأَنَّ لَا يَتَعَبَ الْمَلِكُ الْهَمَامُ
 فَطَافَ بِهِمْ وَبِالْجُرْحَى افْتِقَادًا وَكَانَ مَبْرَّةً مِنْهُ اللَّامُ^(٤)
 وَفَارَقَهُمْ إِلَى حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ مِنَ الْقَتْلِ الْجَمَاجِمُ وَالْعِظَامُ
 يُشَاهِدُ مَا جَنَاهُ قَرِيرَ عَيْنٍ وَلَا حَرَجٌ عَلَيْهِ وَلَا مَلَامُ
 فَمَا اسْتَرَعَاهُ إِلَّا صَوْتُ عَانٍ بِجَانِبِهِ يُصَارِعُهُ الْجَمَامُ
 دَنَا لِيُغِيثَهُ فَأَمَالَ رَأْسًا لَهُ عَنَتِ الْقِيَاصِرَةُ الْعِظَامُ

(١) الصقيع : الجليد (٢) الغبوق : شرب المساء وهو خلاف الصبوح
 (٣) حديد : حاد (٤) اللام : الافتقاد

وَأَلْقَى رُكْبَتَيْهِ عَلَى صَعِيدٍ يُمَارِجُ تُرْبَهُ الدَّمُ وَالْحُطَامُ (١)
 عَتِيٍّ مَا جَنَّا لِلَّهِ إِلَّا وَمَرَكَهُ عَلَى عَمَدٍ يُقَامُ
 فَحَلَّ عَنِ الْفَتَى ثَوْبًا خَضِيبًا كَانَ ثُقُوبَهُ فِيهِ كَلَامُ (٢)
 وَأَبْصَرَ فِي تَرَائِبِهِ صُدُوعًا عَلَى دَخَلٍ يَعْرِزُ لَهَا التِّثَامُ (٣)
 فَلَمَّا ثَابَ لِلْعَانِي شُعُورٌ نَفَاهُ الضَّعْفُ عَنْهُ وَالسَّقَامُ (٤)
 وَأَدْرَكَ مَنْ بِجَانِبِهِ تَرَائِي بِطَرْفَيْهِ الْكَلِيلَيْنِ اضْطِرَامُ
 أَرَادَ إِبَانَةً عَمَّا تَنَادَتْ جَوَارِحُهُ بِهِ فَغَصَى الْكَلَامُ
 فَغَضَّ الطَّرْفَ ثُمَّ رَنَّا فَأَلْقَى مُفَاضَّتَهُ يُضِيءُ بِهَا وَسَامُ
 فَجَمَعَ مَا تَبَقِيَ مِنْ قُوَاهُ وَأَسْعَدَهُ عَلَى النُّطْقِ الذَّمَامُ
 فَصَاحَ: «فِدَاكَ يَا مَلِكِي حَيَاتِي» وَمَاتَ وَفِي مُحْيَاةٍ ابْتِسَامُ

(١) صعيد: أرض . حطام: ما تكسر من اليبس (٢) كلام: جراح
 (٣) ترائب: عظام الصدر . دخل: غش (٤) تاب: رجع

تهنئة

لسمو الخديو عباس الثاني على أثر فتح السودان

وكان سموه قد جال الأمصار في أوروبا وعاد سالماً غانماً

أَلْنَيْلُ عَبْدُكَ وَالْمِيَاهُ جَوَارِي (١) بِالْيَمَنِ وَالْبَرَكَاتِ فِيهِ جَوَارِي (١)
 أَمْنَتُهُ بِمَعَاقِلِ وَجَوَارِي (٢) وَجَعَلْتَهُ مُنْكَأً عَزِيزَ جَوَارِي (٢)
 أَنْظَرُ سَفَائِنِكَ الَّتِي سَيَّرْتَهَا فِيهِ كَأَطْوَادِ عَلَى التِّيَّارِ
 وَأَنْظَرُ جُنُودَكَ فِي الْفَلَاةِ تَحْمَلُوا شَرَّ الْعِقَابِ لِأُمَّةٍ أَشْرَارِ
 حَصَرُوا الْعَدُوَّ فَمَا وَقَّتَهُ حُصُونُهُ مِنْ بَأْسِهِمْ وَكَثَافَةُ الْأَسْوَارِ
 يَفْنَى بِمَقْدُوفَاتِهِمْ حَرَقًا كَمَا تَفْنَى الْفَرَائِسُ وَالسَّبَاعُ ضَوَارِ
 وَيُدْمَرُ النَّسْفُ شَمَّ قِلَاعِهِ فَيُشِيرُهَا مَنْشُورَةً كَقُبَارِ
 وَبَدُوكُ مِنْ شُوسِ الرِّجَالِ مَعَاقِلًا فَيَظَلُّ شَكْلُ الْمَوْتِ شَكْلَ دَمَارِ (٣)
 مَنْ لَمْ يُبَدِّ بِالسَّيْفِ مِنْهُمْ وَالْقَنَا فِهَلَاكُهُ بِالْمَاءِ أَوْ بِالنَّارِ
 قَوْمٌ بَغَوْا فَجَنَوْا ثِمَارَ فَسَادِهِمْ بِالْمُوبِقَاتِ ، وَتِلْكَ شَرُّ ثِمَارِ
 وَلَوْ الزَّمَانُ أَرَادَ ، عَادُوا خُضْعًا لِجَمِيلِ رَأْيِكَ عَوْدَ الْاسْتِغْفَارِ
 لَكِنَّ أَبِي لَكَ أَنْ تَفُوزَ مُسَالِمًا وَقَضَتْ بِذَلِكَ حِكْمَةُ الْأَقْدَارِ

(١) جوارى : حوادم (٢) جوارى : سفن (٣) شوس : أبطال

فَسَقَيْتَ صَادِئَةَ النَّصَالِ دِمَاءَهُمْ
بِالْأَمْسِ كَانُوا دَوْلَةً مَعْدُودَةً
بِالْأَمْسِ كَانُوا سَادَةً وَالْيَوْمَ هُمْ
بِالْأَمْسِ يَمْلِكُ فِي الرَّقَابِ أَمِيرُهُمْ
صَغُرُوا لَدَيْكَ فَلَمْ تَسِرْ لِقِتَالِهِمْ
وَمَضَيْتَ تَمْلِكُ أَمْرَهُمْ مِنْ قَبْلِمَا
تَجْرِي «بِسَيْدِ مِصْرَ» فَلِكُ ضَمَّهَا
سَيَّارَةٌ جُنْحَ الظَّلَامِ مُنِيرَةٌ
أَوْ يَسْتَقِلُّ بِهِ مُغِيرٌ مُنْجِدٌ
تَتَقَدَّفُ النَّيْرَانُ مِنْهُ كَأَنَّهُ
سِرٌّ كَيْفَ شِئْتَ لَكَ الْقُلُوبُ مَنَازِلُ
وَأَطْوَى لِلنَّغَارِبِ خَافِيًا لَوْ أَنَّهَا
وَتَلَقَّ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ مُشْرِفًا
وَأَرْجِعْ إِلَى الدَّارِ الَّتِي أَوْحَشْتَهَا
وَاهِنًا بِأَبْهَجِ مُلْتَقَى مِنْ أُمَّةٍ
حَلَّتْ سَرَائِرُهُمْ سَوَادَ عُيُونِهِمْ
أَهْلًا بِرَبِّ النَّيْلِ وَالْوَادِي بِمَا
وَكَفَيْتَ خَيْلَكَ دَاءَ الْاسْتِقْرَارِ
وَالْيَوْمَ هُمْ خَيْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ
بَعْضُ الْعَبِيدِ بِصُورَةِ الْأَحْرَارِ
وَالْيَوْمَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ بِفِرَارِ
وَهُمُ الْكِبَارُ رَمَيْتَهُمْ بِكِبَارِ
شَبَّ النَّزَالُ وَأَذَنُوا بِبَوَارِ
فَلِكُ مِنَ الدَّمَاءِ غَيْرُ مُدَارِ
فِي الْأَفْقِ مِثْلَ الْكَوْكَبِ السَّيَّارِ
جَوَابُ آفَاقِ كِبَرِيٍّ وَارِي
أَسَدٌ مُثَارٌ فِي طِلَابَةِ ثَارِ
أَنِّي انْتَقَلْتُ فَمِصْرُ فِي الْأَمْصَارِ
تُخْنِي عُلَاكَ مَطَالِعُ الْأَنْوَارِ
مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ وَمِنْ إِكْبَارِ
عَوْدَ الرَّبِيعِ إِلَى رُبُوعِ الدَّارِ
تَهْوَاكَ فِي الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ
شَوْقًا إِلَيْكَ قَتْرُنَ فِي الْأَبْصَارِ
فِيهِ مِنَ الْأَرْيَافِ وَالْأَقْطَارِ

بِالْعَازِمِ الْعِزْمَاتِ وَهِيَ صَوَادِقُ
بِالْفَاتِحِ الْبَانِي لِمِضْرٍ مِنَ الْعُلَى
وَمُعَقَّبِ الْفَخْرِ التَّلِيدِ بِطَارِفِ
فَخْرُهُ تَحْوَلُ مَهْدُهُ لِحَدَا لَهُ
وَمُعَاقِبِ الظُّلُمَاتِ بِالْأَسْحَارِ
صَرِحًا يُرَكِّي شَاهِدَ الْآثَارِ
لَوْلَاهُ كَادَ يَكُونُ سَبَّةَ عَارِ
زَمَنًا وَعَادَ الْيَوْمَ مَهْدَ فَخَارِ

نصيحة

للصديق الفاضل يوسف أفتيموس افندى المهندس

هَبْ أَنْ قَلْبَكَ عَبْدُ رِقَّتِهِ
وَلِكُلِّ شَيْءٍ بَادِيءٌ أَجَلٌ
وَاعْلَمْ ، حَمَاكَ اللَّهُ ، أَنْكَ لَمْ
تُنْسِنِي ، وَيُفْقِرُكَ الْجَمِيلُ فَكَمْ
فَارَحَمَ وَأَعْتَقَهُ مِنْ الرِّقِ
حَتَّى النَّدَى وَاللُّطْفِ وَالرَّفْقِ
تُرْسَلُ كَفَيْلَ مَصَالِحِ الْخَلْقِ
تَجْنِي عَلَيْكَ مَكَارِمُ الْخَلْقِ

الى

جميلة أدبية

يَا عُيُونًا تَسْقِي الْعُيُونَ الرَّحِيقًا وَاصِلِي مُدْمِنًا أَبِي أَنْ يُفِيقًا^(١)
أَسْكِرِينِي عَلَى الدَّوَامِ وَأَفِينِي مُهَجَّتِي أَدْمَعًا وَعَزْمِي حَرِيقًا
تِلْكَ حَمْرُ الْحَيَاةِ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا مَرَّةً لَيْسَ بِالْحَيَاةِ خَلِيقًا
وَهِيَ حُسْنُ الْحَيَاةِ سَعْدًا وَبُؤْسًا وَاضْطِبَاحًا لِشَرْبِهَا وَغَبُوقًا^(٢)
أَنْتِ يَا مَنْ سَقَتْ فُؤَادِي مِنْهَا حَرًّا وَجَدًّا وَلَوْعَةً وَخُفُوقًا
إِظْلَمِينِي مَا شَاءَ ظُلْمِكَ وَأَنْهِي أَمْرَ الْحُسْنِ أَنْ يَكُونَ شَفِيقًا
عَذَّبْتَنِي قَدْ جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَأَمْسَيْتُ بِالْعِقَابِ حَقِيقًا
فَلِهَذَا الْعِقَابِ عَاوَدْتُ حُبِّي وَلِلْإِقْدَانِ خُنْتُ عَهْدًا وَثِيقًا

رُبَّ لَيْلٍ مُحَيَّرُ النَّجْمِ غَضُّهُ فِيهِ لَا يَهْتَدِي الضَّلُولُ طَرِيقًا
ضَمَّنِي مُتَقَلًّا بِهَمِّي كَبْخَرٍ ضَمَّ فِي جَوْفِهِ الْبَعِيدِ غَرِيقًا
أَحْسِبُ الشُّرْجَ فِي حَشَاءِ قُرُوحًا وَأَرَى الشُّهْبَ فِي سَمَاءِ حُرُوقًا
فِيهِ نَامَتْ «سُعَادُ» نَوْمًا هَنِيقًا وَتَسَهَّدَتْ مُسْتَهَامًا مَشُوقًا

(١) الرحيق : الخمر . مدمناً ، المدمن : دائم السكر (٢) شربها : شاربها . الاصطلاح
والاغتياب : شرب الصباح وشرب المساء

حَيْثُمَا وَارْتَنِي دُجَاهُ غُرُوبًا أَبْصَرْتَنِي عَيْنُ الصَّبَاحِ شُرُوقًا
 قَدْ تَلَقَّيْتُهُ وَكَانَ كَثِيفًا ثُمَّ وَدَّعْتُهُ وَكَانَ رَقِيقًا
 رَقًّا فَانْحَلَّ فَاثْتَفَى غَيْرَ مُبْقِي لِي مِنْهُ إِلَّا خَيَالًا دَقِيقًا
 ظَلَّ فِي جَانِبِي نَحِيلًا نُحُولِي كَالشَّقِيقِ الْأَبْرُّ يَرْعَى شَقِيقًا

أَيُّهَا النَّائِمُونَ يَهْنِيكُمُ النَّوْمَ مَ وَلَا زَالَ حَظِّي التَّارِيقَا
 إِنْ يَكُ السَّاهِرُونَ مِثْلِي كَثِيرًا « فَسَعَادٌ » أَسْمَى وَأَسْنَى عَشِيقَا ^(١)
 فَاتَنِي مِنْ جَمَالِهَا الْوَجْهُ طَلْقًا لَا يُبَاهِي ، وَالْقَدُّ لَدَنَا رَشِيقَا
 فَاتَنِي عَقْلُهَا الَّذِي يُبْدِعُ الْخُلَا طِرَ رُوحًا وَهَيْكَلًا وَعُرُوقَا
 فَاتَنِي نَظْمُهَا الْقَرِيضَ كَمَا تَنْظُمُ عِقْدًا فِي جِيدِهَا مَدْسُوقَا ^(٢)
 فَاتَنِي لُطْفُهَا الَّذِي يُنْعِشُ الْوَجْدَ وَلَوْ شَاءَ أَنْعَشَ التَّوْفِيقَا
 وَيُقِيمُ الْأَمَالَ فِي النَّفْسِ كَالنُّورِ رِ يُحِيلُ الْبُدُورَ زَهْرًا أَنْيَقَا ^(٣)
 قَتْنٌ قَبِدَتْ بَيْنَ فُوَادِي ، وَأَرَانِي - إِذَا شَكَّوتُ - عَقُوقَا
 كُلُّ مُسْتَأْسِرٍ يَوْدٌ انْطِلَاقًا وَشَقَائِي بِأَنْ أَكُونَ طَلِيقَا

(١) عشيقاً : معشوقه (٢) القرية : الشعر (٣) أنيقاً : جيلاً

يوسف افندى

حكاية تسمية بعض البرتقال بهذا الاسم في مصر

خَرَجَتْ «هِنْدُ» ذَاتَ يَوْمٍ «فَوْزٌ» وَ «سُعَادٌ» يَهْمَنَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ (١)
يَتَهَادَيْنَ فِي الرِّيَاضِ أُصَيْلًا لِأَعْبَاتِ تَوَارِكًا كُلِّ جِدٍّ (٢)
فَرِحَاتٍ يَرَيْنَ مَا أَلْفَتْهُ كُلُّ عَيْنٍ كَحَادِثٍ مُسْتَجِدٍّ

كَانَ فَضْلُ الْخَرِيفِ وَالْوَقْتُ أَضْفَى مَا يَكُونُ اعْتِدَالُ حَرٍّ وَبَرْدٍ
تَبَعْتُ الشَّمْسُ بِأَهْرَاتِ شِعَاعٍ تَفْتَدِي فِي انْحِدَارِهَا شِبَهَ رُبْدٍ (٣)
غَمَى فِي الْأَفْقِ تَارَةً مَسْحَاتٌ مِنْ بَهَارٍ ، وَتَارَةً نَثْرٌ وَرْدٍ
وَهَى بَيْنَ الْغُصُونِ نَسْجٌ دَقِيقٌ مِنْ نُضَارٍ يَشْفُ عَنْ لَازُورِدٍ (٤)

شَارَفَتْ «هِنْدُ» رَوْضَةً ثُمَّ قَالَتْ وَهَى تَفْتَرُ عَنْ جَوَاهِرِ عِقْدٍ : (٥)
أَنْظُرَاهَا ، خَلِيلَتِي ، أَلَيْسَتْ شِبَهَ بَيْتِ كَثِيرِ أَهْلِ وَوُلْدٍ ؟
حَبْدًا هَذِهِ الثَّمَارُ الرَّضِيْعَا تُ تَعَلَّقْنَ : كُلُّ طِفْلِ بِنَهْدٍ
وَيَجِدِّي شَيْخٌ مِنَ الدَّوْحِ صُلْبٌ هُوَ ثَرْتَارَةٌ عَبُوسٌ كَجَدِّي (٦)

(١) يهمن : يسرن بلا قصد (٢) يتهادين : يتمايلن (٣) ربد : سمراء سنجاية
(٤) نضار : ذهب (٥) تفتد : تتبسم (٦) مجدى : أفدى مجدى . الدوح : الشجر العظيم

فَتَصَاحَكُنْ مِنْ مَقَالَةِ « هِنْدٍ » وَتَمَّيَلُنْ عَنْ أَفَانِينَ رُنْدٍ^(١)

عَجَبًا كَانَ لِلصَّوَابِ مَرَأَى كُلُّ هَذَا وَكَانَ مَأْلُوفُ عَهْدِ
قَمَادِينَ فِي الْمَسِيرِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَمَا شَعَرْتَ بِكَدِّ
صَافِيَاتِ الْأَفْكَارِ مِنْ كُلِّ هَمٍّ خَالِيَاتِ الْقُلُوبِ مِنْ كُلِّ وَجْدِ

لَمَحَتْ « فَوْزٌ » لَمَحَةً أُعْجِبُهَا فَأَشَارَتْ إِلَى « سُعَادَ » وَ « هِنْدٍ » :
مَا تُرَى هَذِهِ الثَّارُ الْبُوَادِي كَشْمُوسٍ صَغِيرَةٍ عَنْ بُعْدٍ؟^(٢)
هِيَ كَالْبُرْتُقَالِ لَوْلَا شِفَاهُ قَدَمَهَا لِلْعُودِ بُغِيَّةَ وَرْدٍ^(٣)
قَالَتْ: لَا نَدْرِي. قَالَتْ: أَعُونَا؟ مِنْكُمَا إِنْ عَلِمْتُمَا مَا بُوَدِي؟
حَبْدًا الْإِثْمُ لَوْ لَطَفْنَا إِلَيْهَا سَارِقَاتٍ. أَخَافُ أَفْعَلُ وَخَدِي

وَإِذَا حَارِسٌ بَدَا مِنْ خَفَاءِ كَثَرَأَى الشَّيْطَانِ فِي شَكْلِ عَبْدِ
قَهْيَبْنَهُ ، فَحَيًّا بِشَوْشًا عَنْ وَمِيضٍ فِي حَالِكِ مُسَوِّدٍ^(٤)
قُلْنَ: يَا حَارِسَ الْمَكَانِ أَفِدْنَا لِمَنِ الْبَيْتُ؟ إِنَّهُ بَيْتُ مُجْدِ
قَالَ: بَيْتُ الْأَمِيرِ يُوسُفَ هَذَا. فَحَمِدَنَ الزُّنْجِيَّ أَحْسَنَ حَمْدِ
وَتَرَاجَعْنَ هَيْبَةً صَامِتَاتٍ ، لَيْسَ مِنْهُنَّ مَنْ تُعِيدُ وَتُبْدِي

(١) رند: أغصان (٢) البوادي: الظاهرة (٣) بغية ورد: طلباً للشرب

(٤) وميض: برق

آسِفَاتٍ عَلَى مُنَى شَائِقَاتٍ فُرْنَ مِنْهَا بِمُخَيَّبَةٍ وَبِصَدِّ (١)
 نَاطِرَاتٍ إِلَى الشُّمُوسِ اللَّوَاتِي عُدْنَ عَنْهَا بِمِثْلِ أَعْيُنِ رُمْدٍ
 يَتَصَوَّرْنَهَا عَبِيرًا ذِكِيًّا ، وَشَرَابًا عَذْبًا ، وَطَعْمًا كَشْهْدٍ
 كَانَ هَذَا لَمُنَّ هَمًّا . وَهَلْ فِي حَالَةٍ بَعْدَهُ مَطْنَةٌ سَعْدٍ ؟

نَعَمْ ذَاكَ الزَّمَانُ ! كَانَ ، عَلَى مَا أَفْسَدَ الْجَهْلُ فِيهِ ، أَطْيَبَ عَهْدٍ
 يَوْمَ تِلْكَ الثَّارُ أَنْفَسُ شَيْءٍ عِنْدَهُمْ «الْأَمِيرُ» فِيهِمْ «أَفَنْدِي»

رأى الناظم على باب حسناء في إحدى القرى
 ورقة خضراء نابتة بين حجرين متلازمين ، فقال :

كُلُّ لَدَيْكَ رَقِيقٌ إِذَا قَسَا الْقَلْبُ أَوْ رَقُ
 وَلَيْسَ فِي ذَاكَ بَدْعٌ فَالصَّخْرُ عِنْدَكَ أَوْ رَقُ

(١) منى : مشتبهات

لغز

في الضمير أنتِ

وفي اسم « أنتِ »

أَعْرِفُ يَا سَيِّدَتِي غَادَةً ذِكْرُ اسْمِهَا يُغْنِي عَنِ النَّعْتِ
لَمَّا مُحَيًّا كُحَيًّا الضُّحَى أَوْ كَمُحَيَّاكِ إِذَا بِنْتِ
وَقَدَّهَا الْعَادِلُ فِي مَيْلِهَا كَقَدَّكَ الْعَادِلِ ، إِنْ مِلْتِ
أَوَّلُ حَرْفٍ مِنْ حُرُوفِ اسْمِهَا أَوَّلُ حَرْفٍ قَدْ تَعَلَّمْتِ
وَحَرْفُهُ الثَّانِي كَنَقَطِ النَّدَى مُنْعَقَدَ النَّجْرِ مِنَ النَّبْتِ
وَحَرْفُهُ الثَّلَاثُ ، إِنْ شِئْتِ ضَمِيرَ وَضَلِ ، كَانَ مَا شِئْتِ
فَمَا الَّذِي أَلْغَزْتُ فِيهِ وَمَنْ فِي ذَلِكَ الْوَصْفِ تَبَيَّنْتِ ؟
قَالَتْ الْخُودُ وَقَدْ رَابَهَا : لِأَنْتِ أَدْرِي . قُلْتُ : بَلْ « أَنْتِ » (١)

(١) الخود : المرأة الحسنه الخلق الشابه أو الناعمة

تبرئة

لَعَيْنَيْكَ مِنْ جَارَةٍ جَائِرَةٍ شَقَائِي وَأَمَالِي الْعَائِرَةُ !
أَتْنَانٍ عَنِّي وَتَجْفِينِي لِإِرْضَاءِ طَائِفَةٍ مَا كَرِهَ ؟

بَرِئْنَا إِلَى الْحَبِّ لَا ذَنْبَ لِي وَلَا لِحَبِيبَتِي الْهَاجِرَةَ
وَلَكِنَّهُمْ عَلَّمُوهَا الْجَفَاً ، وَخَطُّوا لَهَا خُطَّةَ الْقَاصِرَةِ
وَأَضْعَفُوا إِلَى قَوْلٍ وَاشٍ بِهَا ، وَحَاشَ لَهَا أَنَّهَا وَازِرَةٌ
أَذَاكَ الْجَبِينُ وَبَلَوْرَةٌ يُمَثِّلُ فِكْرَتَهَا انْخَاطِرَةٌ ؟
أَتَلِكَ الْعَيُونَ وَأَنْوَارَهَا مَرَاءً لِأَخْلَاقِهَا الْبَاهِرَةِ ؟
أَتَلِكَ الشِّفَاهُ وَمَا قَبَلَتْهَا سِوَى الْأُمِّ وَاللِّدَّةِ الزَّائِرَةِ ؟
أَذَاكَ الْقَوَامُ وَمِنْ حُسْنِهِ تَمِيلُ الْغُصُونُ لَهُ صَاحِرَةٌ ؟
أَتَلِكَ الطُّقُولَةَ وَهِيَ سِيَا حُجِّ لِرَوْضٍ بِهِ نَفْسُهَا طَائِرَةٌ ؟
أَذَاكَ الْعَفَافُ وَمِمَّا صَفَا تَقَرُّ بِهِ الْمَقَلُّ النَّاطِرَةُ ؟
مَحَاسِنُ بَغْيٍ وَأَخْلَاقُ إِيْمٍ وَزِينَةُ عَاطِلَةٍ فَاجِرَةٌ

لَعَمْرِي إِنَّهُمْ أَتَمُّوْا كِ بِمَا فِي نَفُوسِهِمُ الْخَاسِرَةَ
وَإِنَّ الَّذِي عَابَ مِنْكَ السُّفُوْرَ رَكَمْنَ قَالَ لِلشَّمْسِ يَا سَافِرَةَ

وَإِنِّي أَهْوَاكِ مِْلَ عِيُو نِي وَمِْلَ حُشَاشَتِي الصَّابِرَةَ
 وَمِْلَ الزَّمَانِ ، وَمِْلَ الْمَكَآ نِ ، وَدُنْيَايَ أَجْمَعَ وَالْآخِرَةَ
 فَإِن يَسْتَمِلكِ إِلَى الْهُوَى ، وَعَيْنُ الْعَفَافِ لَنَا خَافِرَةٌ
 أَلَيْسَ الْهُوَى رُوحَ هَذَا الْوُجُو دِ كَمَا شَاءَتِ الْحِكْمَةُ الْفَاطِرَةُ ؟
 فَيَجْتَمِعُ الْجَوْهَرُ الْمُسْتَدَقُّ بِآخِرَ ، بَيْنَهُمَا آصِرَةٌ ؟ (١)
 وَيَأْتِلِفُ الذَّرُّ وَهُوَ خَفِيٌّ فَيَمْتَلُ فِي الصُّورِ الظَّاهِرَةِ ؟
 وَيَحْتَضِنُ التُّرْبُ حَبَّ الْبِذَا رِ فَيَرْجِعُهُ جَنَّةَ زَاهِرَةٍ ؟
 وَهَذِي النُّجُومُ أَلَيْسَتْ كَدُرِّ طَوَافٍ عَلَى أَمْجَرٍ زَاخِرَةٍ ؟
 عُقُودٌ مُنْتَرَةٌ بِانْتِظَا مِ عَلَى نَفْسِهَا أَبَدًا دَائِرَةٌ
 يَقِيدُهَا الْحَبُّ بَعْضًا وَكُلُّ إِلَى صِنُوهَا صَائِرَةٌ

فَيَا « هِنْدُ » أَنْتِ مَنِي مُهَجَّتِي وَنَاهِيَةُ الْقَلْبِ وَالْأَمِرَةِ
 إِلَيْكِ أَمِيلُ وَإِيَّاكِ أُنْبِئِي بِعَاطِفَةٍ فِي الْهُوَى قَاهِرَةِ
 وَمَا نَمَّ عَيْبٌ نَعَابُ بِهِ مَعَاذَ صَبَابَتِنَا الطَّاهِرَةِ

(١) آصرة : رابطة وقرابة

إن من البيان لسحرا

حكاية شاعر في إحدى قبائل البادية

سَرَ الْعَذَارَى مُنِيٌّ عَنْ شَاعِرٍ لِلْحَيِّ زَائِرٌ
فَقَصَدَنهُ وَسَخِرَنَ مِنْ زَجْرِ الْأُمَيْمَاتِ الزَّوَاجِرِ (١)
لِيرَيْنَ فِتْنَتَهُ الَّتِي تُغْوِي الْعَفِيفَاتِ الْحَرَائِرُ
فَوَجَدَنهُ رَجُلًا مَلِيحًا خَلَقَهُ ، حَسَنَ الظَّوَاهِرِ
لَا شَيْءَ يَفْتَضِحُ النَّهْيُ فِيهِ كَمَا ادَّعَتِ النَّوَاهِرُ (٢)
وَلَعَلَّ فِي مَنْظُومِهِ آيَاتِهِ الْكُبْرَى السَّوَاحِرِ
فَسَأَلْنَهُ إِشَادَةَ شَيْءٍ مِنْ بَدَائِعِ الْخَوَاطِرِ
فَأَطَاعَهُنَّ ، وَمَنْ تَرَى بَعْضِي الْجَمِيلَاتِ الْأَوَامِرِ ؟
فَعَقَدَنَ فِيهَا حَوْلَهُ عِقْدًا فَرِيدًا مِنْ جَوَاهِرِ
وَتَنَاوَلَ الرَّجُلُ الرَّبَابَ وَفِكْرُهُ فِي الْغَيْبِ نَاطِرُ
وَأَثَارَ فِي الْأَوْتَارِ تَغْرِيدًا كَأَنَّ الْعُودَ طَائِرُ
ثُمَّ انْبَرَى يَرْوِي رِوَايَتَهُ وَتَتَبَعُهُ الْخَوَاطِرُ

كَانَ الْأَمِيرُ « مَهْنَدٌ » بَطْلًا شَهِيرًا فِي الْعَشَائِرِ

(١) اشتهر عن نساء العرب أنها تمنع العذارى من مقابلة الشعراء

(٢) النواهر : الأمهات اللواتي نهين عن رؤية الشاعر

مِنْ آلِ « بَدْر » الْبَاسِلِيِّنَ الْبَازِلِينَ ذَوِي الْمَفَاخِرِ ^(١)
 يَنْظُمُ تَحْتَ لَوَائِهِ أَلْفٌ مِنَ الْأَسَدِ الْقَسَاوِرِ
 رَجُلٌ كَمَا تَهْوَى الْحَا مِدُّ خَلْقُهُ، وَأُلْحَلُّ بِأَهْرِ
 ذُو صَوْلَةٍ مَشْهُورَةٍ بَيْنَ الْبَوَادِي وَالْحَوَاضِرِ
 وَشَجَاعَةٍ فِي الْقَلْبِ تُخْفِيهَا الْعُدُوبَةُ فِي النَّوَاطِرِ
 تَخْشَى اللَّيْثُ لِقَاءَهُ وَتَوَدُّ رُؤْيَتَهُ الْجَاذِرِ ^(٢)
 يَهْوَى فِتَاةً مِنْ بَنِي « سَحَد » الْكِرَامِ ذَوِي الْمَأْمِرِ
 لَكِنَّ بَيْنَ أَبِي الْفِتَاةِ وَبَيْنَهُ نَارٌ لِنَارِ ^(٣)
 فَسَعَى لِيَخْطُبَهَا عَلَى صُلْحٍ فَعَادَ بِسَعْيِ خَاسِرِ
 عَصَمَتْ حَمِيَّتُهُ بِهِ نَاهِيكَ بِالصَّبِّ الْمَخَاطِرِ
 فَمَزَّاهُمْ بِرِجَالِهِ وَبِكُلِّ ذِي نَارٍ يُضَافِرِ ^(٤)
 وَتَقَاتَلُوا يَوْمَيْنِ لَمْ يَظْهَرَ مِنَ الْجَيْشَيْنِ ظَاهِرِ ^(٥)
 حَتَّى اغْتَدَى ذَاكَ الْعِرَا كُ كَانَهُ بَعْضُ الْمَجَازِرِ
 فَدَعَا « مُهَنْدٌ » لِلْبِرَا زِ وَقَدْ تَمَحَّدَى كُلُّ حَاضِرِ

مَا جَالَ إِلَّا جَوْلَتِي أَسَدٍ يُبْرِرُ وَهُوَ زَائِرُ

- (١) هذه النعوت وأمثالها من مألوفات شعر البادية (٢) الليوث : الأسود . الجاذر : الغزلان (٣) نأر لنأر : نأراً لطلبه (٤) يضافر : يساعد (٥) لم يظهر من الجيشين ظاهر : لم يظلب أحدهما

حَتَّىٰ انْبَرَىٰ مِنْهُمْ فَتَىٰ مُتَلَمِّمٌ ضَافِي الْغَدَاثِ
 فَتَجَاوَلَا وَكِلَاهُمَا مُتَقَمٌّ كَالصَّقْرِ كَاسِرٍ
 مَرَّعَانَ مَا حَطَمَا الرِّمَاحَ فَأَعْمَلَا بِيضَ الْبَوَاتِرِ
 وَتَوَاتِبَا مَهَالِكَيْنِ كِلَاهُمَا جِلْدٌ مُكَابِرٌ
 وَكِلَاهُمَا مُتَخَضَّبٌ بِدَمٍ وَلَكِنْ لَا يُحَازِرُ
 كَانَ اللَّئِمُّ لَا يُنَا لِسُ مَقْتَلًا يَمُنُّ يَنْفِرُ
 بَلْ يَبْتَغِي إِجْهَادَهُ لِيَنَالَ مِنْهُ وَهُوَ خَائِرُ
 مُتَحَرِّزًا حَتَّىٰ تَحْيِيَنَّ نُهْرَةَ اللَّبِقِ الْمُدَاوِرِ
 فَسَطًا عَلَيْهِ مُبَادِرًا وَالْفَوْزُ أَخْلَقُ بِالْمُبَادِرِ
 وَعَلَاهُ فَهْوٌ مُرَوِّعٌ كَالشَّاةِ تَحْتِ رِكَابِ نَاحِرِ
 قَالَ « الْأَمِيرُ » : غَلَبْتَنِي أَفَلَسْتَ تَعْفُو عَفْوَ قَادِرٍ ؟
 فَأَجَابَهُ مِنْ فَوْرِهِ : أَبْشِرْ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ ظَافِرُ
 وَنَضًا اللَّثَامَ فَأَشْرَفَتْ شَمْسٌ أَشْعَهَا ضَفَائِرُ^(١)
 كَانَتْ حَبِيبَتَهُ الَّتِي خَاضَ الرَّدَىٰ فِيهَا يُخَاطِرُ
 فَيَعَاهِدَا وَتَعَاقِدَا بِدِمَاهُمَا لَا بِالنَّاصِرِ
 وَتَصَالِحَ الْقَوْمَانِ فِي عُرْسٍ صَفَتْ فِيهِ السَّرَائِرُ

(١) نضا : أزال

مَرَّتْ مَوَارِدُهُمْ وَلَكِنْ بَعْدَهَا حَلَّتِ الْمَصَادِرُ^(١)

فَأَطَافَتِ الْفَتَيَاتُ فِي فَلَكٍ مِنَ الْأَفْكَارِ دَائِرُ
وَشَهِدْنَ تِلْكَ الْحَادِثَاتِ كَأَنَّ مَاضِيَهُنَّ حَاضِرُ
وَكَانَهُنَّ رَائِيْنَ بِالْأَبْصَارِ مَا رَأَتِ الْبَصَائِرُ
ثُمَّ اسْتَزَدْنَ فَرَادَ مَا خَلَبَ الْعُقُولَ مِنَ النَّوَادِرِ
حَتَّى إِذَا هَبَطَ النَّهَارُ رُكِحَتْ رَاحِلَةَ الْمَسَافِرِ
خَمَّ الْكَلَامَ بَيْنَ حَدِيثِ هَوَاهُ فِي الْأَمْثَالِ سَارُ
أَذْكَى وَأَبْلَغَ مَنْ عَرَّتْهُ جِنَّةٌ لِهَوَى مُخَامِرِ
أَوْلَى وَلِيٍّ أَنْ يُقِيمَ الْعَاشِقُونَ لَهُ شِعَارُ
« قَيْسٌ » ، وَمَنْ كَفُوْهُ لَهُ بَيْنَ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ ؟
وَأَفَاضَ فِي وَصْفِ « الْمَلُوِّ ح » مَا يَشَاءُ هَوَى السَّرَائِرِ^(٢)
إِذْ بَاتَ يَضْرِبُ فِي الْمَفَاوِزِ وَهُوَ سَاجِي الطَّرْفِ حَارُ
كَفَلًا طَرِيدًا لَا شَفِيقَ وَلَا رَفِيقَ وَلَا مُوَازِرَ
إِلَّا إِذَا مَرَّ الْغَزَا لُ بِهِ فَيَأْنَسُ وَهُوَ نَافِرُ
يَبْكِي وَيَسْتَبْكِي بِشَعْرِ خَالِصِ الدَّمِ مِنْهُ قَاطِرُ
وَيَعْلَمُ الْوَحْشَ الْأَسَى وَيُلِينُ أَحْجَارَ الْقَابِرِ

(١) مَرَّتْ : كَانَتْ مَرَّةً (٢) الْمَلُوِّ : هُوَ قَيْسٌ مَجْنُونٌ لَيْلِي

حَتَّى قَضَى فِي يَأْسِهِ دَنِفًا مَشُوقًا غَيْرَ صَابِرٍ
نَامَتْ نَوَاطِرُهُ وَلَكِنْ قَلْبُهُ فِي الْقَبْرِ سَاهِرٌ

فَبَكَيْنَ « قَيْسًا » تَرَحَّةً وَحَبِيبَتَهُ مِلءَ الصَّائِرِ
وَنَظَرَتَهُ فِي شَكْلِ مَنْ أَبْكَى بِمَا هُوَ عَنْهُ ذَاكِرٌ
ثُمَّ انْتَنِينَ مَكْفِكَفًا تِ دَمْعُهُنَّ عَنِ الْمَحَاجِرِ
مُتَلَفَّتَاتٍ نَحْوَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ غَزَلٌ وَشَاعِرٌ
كُلُّ تَقُولٍ بِلَحْظِهَا : يَا « قَيْسُ » ! إِنْ بِنْتُ عَامِرٍ (١)

تَاللَّهِ أَنْصَفَتِ النَّوَا صِحُّ لَيْسَ هَذَا غَيْرَ سَاحِرٍ

نابوليوت

وهو يرقب السماء في أخريات أيامه

قَالُوا « لِنَابُلْيُونِ » ذَاتَ عَشِيَّةٍ إِذْ كَانَ يَرْقُبُ فِي السَّمَاءِ الْأَنْجُمَا
هَلْ بَعْدَ فَتْحِ الْأَرْضِ مِنْ أُمْنِيَّةٍ؟ فَأَجَابَ : أَنْظِرْ كَيْفَ أَفْتَحُ السَّمََا

(١) بنت عامر : ليلي

السور الكبير

في الصين

الشاعر

مَا لِلْمَلِكِ مُورَقًا يَتَقَلَّبُ ؟ هَلْ يَحْمِلُ الْهَمَّ السَّرِيرُ الْمَذْهَبُ ؟
أَنْتَ الرَّجَاءُ فَأَيُّ شَيْءٍ تَرْتَمِي ؟ وَالرَّوْعُ أَنْتَ فَأَيُّ شَيْءٍ تَرْتَهَبُ ؟^(١)
وَالْمَلِكُ جِسْمٌ أَنْتَ فِيهِ هَامَةٌ وَيَدَاكَ مَشْرِقُ شَمْسِهِ وَالْمَغْرِبُ

الملك

إِنِّي مُنِيْتُ بِأُمَّةٍ مَخْمُورَةٍ مِنْ ذُلِّهَا ، وَلَهَا الْقِنَاعَةُ مَشْرَبٌ
لَا ظُلْمَ يُغْضِبُهُمْ وَلَا أَوْدَى يَبِيهُمُ أَتَعَزُّ شَأْنًا أُمَّةٌ لَا تَغْضَبُ ؟
إِنَّ يَبِكَ ثَاكِلٌ وَوَلَدِهِ وَزَجْرَتُهُ عَنْ نَحْبِهِ ، أَلْقَيْتَهُ لَا يَنْحَبُ ؟^(٢)
وَإِذَا نَهَيْتَ عَنِ الْوُرُودِ عِطَاشَهُمْ وَتَحَرَّقَتْ أَكْبَادُهُمْ ، لَمْ يَشْرَبُوا ؟^(٣)
وَإِذَا أَذَبْتَ الشَّحْمَ مِنْ أَجْسَامِهِمْ تَعَبًا فَإِنَّ نَفْسَهُمْ لَا تَتَعَبُ
أَعْيَابِي التَّفَكِيرُ فِي أَدْوَالِهِمْ مِمَّا عَصَيْنَ ، وَحِرْتُ كَيْفَ أَطَبَّبُ
إِنَّ الْجَمَادَ أَبْرًا مِنْ أَرْوَاحِهِمْ بِهِمْ ، وَأَمْتَنُ فِي الدَّفَاعِ وَأَصْلَبُ

(١) الروع : الخوف (٢) ألقيته : وجدته (٣) الورد : الشرب

فَلأَبِينَ لَهُم جِدَارًا ثَابِتًا كَالأَرْضِ لَا يَفْنَى وَلَا يَتَخَرَّبُ
تَعَمُّ الدُّهُورُ وَكُلُّ جَيْشٍ ظَافِرٍ مِنْ دُونِهِ وَثِبَاتُهُ مُتَغَلِّبُ
وَتَهْرُؤُ مَنْكِبِهِ الصَّوَاعِقُ حَيْثُمَا شَاءَتْ وَلَا يَهْتَرُ مِنْهُ الْمَنْكِبُ
وَيَعَضُّهُ نَابُ الصَّوَاعِقِ مُخْرِقًا فَيَرُدُّهُ كِسْرًا وَلَا يَنْقَبُ
وَيَمِيدُ ظَهْرُ الأَرْضِ تَحْتَ رِكَابِهِ وَرِكَابُهُ فِي اللَّتَنِ لَا تَنْكَبُ
وَلَا جَعَلَنَّ بِهِ الْبِلَادَ مَنِيعَةً يَرْتَدُّ عَنْهَا الطَّامِعُ الْمُتَوَكِّبُ
وَلَا دَعُونَ مَمَالِكِي وَشُعُوبَهَا بِأَسْمِي فَيُجْمَعُ شَمْلُهَا الْمُنْشَعِبُ
وَلَا تُحُونَ رُسُومَ أَسْلَافِي بِهَا فَيَبِيْتُ مَاضِي «الصَّيْنِ» وَهُوَ مُحَجَّبُ
وَيُظَنُّ عَهْدِي بَدءَ عَهْدٍ وَجُودِهَا فَيَمُّ لِي الْفَخْرُ الَّذِي أُتَطَلَّبُ

الشاعر

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَسَنَاتُهُ فَوْقَ الَّذِي نُثْنِي عَلَيْهِ وَنُطِيبُ
كَمْ غَزْوَةٌ لَكَ فِي عِدَاكَ عَجِيبَةٌ لَا شَيْءَ غَيْرَ نَدَاكَ مِنْهَا أُعْجَبُ
كَمْ رَحْمَةٌ قَلَدْتَ أَقْوَامًا بِهَا أَعْنَقَهُمْ، وَالسَّيْفُ يُوشِكُ يُسْلَبُ
كَمْ مِنَّةٌ لَكَ فِي الْعِبَادِ جَمِيلَةٍ كَالشَّمْسِ تُنْمِي رَوْضَةً وَتَذْهَبُ
هَذِي كَوَافِلُ حُسْنِ ذِكْرِكَ فِي الْوَرَى وَأَبْرُءُ مَا يَبْتَقِي : الْفَعَالُ الطَّيِّبُ
يَكْفِيكَ فَخْرًا أَنْ أَعْظَمَ أُمَّةً تَنْضَمُّ فِي مُلْكٍ إِلَى اسْمِكَ يُنْسَبُ

فَعَلَامَ أَنْتَ تُزِيلُ ذِكْرَ مُلُوكِهَا
إِنْ تَمَحُّ مِنْ أَسْفَارِهِمْ أَخْبَارَهُمْ
وَلَيَعْلَمَنَّ النَّاسُ بِعَدْلِكَ أَمْرَهُمْ
خَدَعْتِكَ كَاذِبَةُ الْمَيِّ بِوَعُودِهَا
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْحَقِيقَةِ صَادِقًا
أَمَّا الْجِدَارُ فَلَوْ رَفَعْتَ بِنَاءَهُ
وَلَوْ الْجِبَالُ جُعِلْنَ بَعْضَ حِجَارِهِ
فَلَيُخَدِّثَنَّ النَّاسُ مَا هُوَ فَوْقَهُ
وَلَتُصْنَعَنَّ نَوَاسِفٌ تُشْفَى الرَّبِّي
وَلَتَنْفُذَنَّ إِلَى «بَكِينٍ» خَلَائِقُ
تَأْتِي بِهَا فَوْقَ الْبِحَارِ سَفَانٌ
مَاذَا يُفِيدُ السُّورُ حَوْلَ دِيَارِهِمْ
فَأَبْرُ مِنْ تَضْيِيقِ دُنْيَاهُمْ بِهِ
الْأَمْنُ قِتَالُ الشَّجَاعَةِ فِيهِمْ
لَا يَعْصِمُ الْأُمَّمَ الضَّعِيفَةَ فِطْرَةً
فَتَكُونُ حَائِطَهَا الْمَنِيْعَ عَلَى الْعِدَى
وَأَوْلَيْكَ الْعُظْمَاءَ مَوْتِي غِيْبُ
فَالصَّخْرُ يُنْحَتُ وَالْمَنَاحِتُ تَكْتُبُ
فَتَلَامُ مَا طَالَ الْمَدَى وَتُوْنِبُ
وَالْحُرُّ يُخْدَعُ وَالْأَمَانِي تَكْذِبُ
فَالذِّكْرُ لَيْسَ يُعِيدُ عُمْرًا يَذْهَبُ
حَتَّى اسْتَقَرَّ عَلَى ذُرَاهُ الْكَوْكَبُ
وَلِحْنٌ حَتَّى الْمَاءُ لَا يَنْسَرِبُ
عِظْمًا وَإِتْقَانًا وَمَا هُوَ أَغْرَبُ
بِدُخَانِهَا مَنْشُورَةً تَتَلَهَّبُ (١)
بِيَضَاءِ تَغْنَمٍ مَا تَشَاءُ وَتَنْهَبُ
كَالْحِجْنِ فِي جِدِّ الْعَوَاصِفِ تَلْعَبُ
وَقُلُوبُهُمْ فِيهَا ضِعَافٌ هَرَبُ
أَنْ تَرْحُبَ الدُّنْيَا بِهِمْ مَا تَرْحُبُ
وَحَيَاتُهَا فِيهِمْ مَخَافُ تَرْقُبُ
إِلَّا فَضَائِلُ بِالتَّجَارِبِ تُكْسَبُ
وَتَكُونُ قُوَّتَهَا الَّتِي لَا تُغْلَبُ

(١) شق الربى : تنثر الجبال

الترجسة

دَاعٍ دَعَاهُ إِلَى الْجِهَادِ فَازْمَعَا سَفَرًا وَجَادَ بِنَفْسِهِ مُتَطَوِّعَا
 غَلَبَتْ حَمِيَّتُهُ هَوَاهُ لِعَرْسِهِ فَنَأَى وَوَدَّعَ قَلْبَهُ إِذْ وَدَّعَا^(١)
 وَقَضَتْ «أَمِينَةٌ» بَعْدَهُ أَيَّامَهَا فِي الْحُزْنِ غَيْرَ أَمِينَةٍ أَنْ تُفْجَعَا
 غَرَسَتْ بِصَخْنِ الدَّارِ زَهْرَةَ نَرْجِسٍ لِتَكُونَ سَلْوَتَهَا إِلَى أَنْ يَرْجِعَا
 كَانَتْ تُبَالِغُ فِي رِعَايَتِهَا كَمَا تَرَعَى عُيُونَُ الْأُمِّ طِفْلاً مُرْضِعَا
 حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا عَنْ بَعْلِهَا نَبَأٌ أَصَمَّ الْمِسْمَعِينَ وَرَوَّعَا
 شَفَّتْ مَرَارَتَهَا عَلَيْهِ وَأَوْشَكَتْ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْخُطْبِ أَنْ تَتَصَدَّعَا
 وَكَانَ ذَلِكَ الرُّزْءُ قَبْلَ وَقُوعِهِ مِمَّا شَجَّاهَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعَا^(٢)
 فَتَفَقَّدَتْ صُبْحًا أَلِيْفَتَهَا الَّتِي كَانَتْ سَلَّتْهَا حَسْرَةً وَتَوَجُّعَا
 فَإِذَا نَضَارَتُهَا ذَوَتْ وَكَانَهَا عَيْنٌ أَسَالَ الْحُزْنَ مِنْهَا مَدْمَعَا

(١) عرسه : عروسه

(٢) الرزء : اللصاب

شيخ أئينة

وهو آخر نذير لها أيام انحلالها على أيدي الرومانيين ودخولها في أعمال دولتهم

يَا عِبْرَةَ الدَّهْرِ جَاوَزْتَ المَدَى فِينَا حَتَّى لِيَأْنَفُ أَنْ نَنْعَاهُ مَا ضِينَا
فَالسَّهْلُ قَدْ دُفِنَتْ فِيهِ مَعَاقِلُنَا وَالبَحْرُ قَدْ فُقِدَتْ فِيهِ جَوَارِينَا
وَإِنْثَلَّ مِنْ عِزِّنَا مَا عَزَّ مَطْلِبُهُ وَآنَدَكَ مِنْ مَجْدِنَا مَا شَادَ بَانِينَا
وَعُدَّ ذَنْبًا عَلَيْنَا مَا يُشْرَفُنَا وَعَدَّ رَفْعًا لَنَا مَا بَاتَ يُدْنِينَا
فَارَ القَوِيُّ عَلَيْنَا فِي تَضَاوِلِنَا وَالحَقُّ أَعْلَى وَلَكِنْ لَيْسَ يُغْنِينَا
لَا فخرَ أَنْ يَغْلِبَ الأَقْوَى مُنَاصِلُهُ بَلْ أَنْ يَدِينَ ضَعِيفٌ مِثْلَنَا دِينَا
يَا دَهْرُ إِنْ كُنْتَ لَمْ تُنْهَلْ شَبِيبَتِنَا حَتَّى أَدَلَّتْ انْحِطَاطًا مِنْ مَعَالِينَا
فَأَنْتَ خَيْرُ مُرَبٍّ لِلأَوْلَى جَهْلُوا كَجَهْلِنَا أَنْ تَرَكَ الحِزْمَ يُشْقِينَا
فَزِدْ مَصَائِبِنَا حَتَّى تُنْذِبِنَا تَكُنْ حَيَاةً لَنَا مِنْ حَيْثُ تُرْدِينَا
مُمْ سَقَوْا بِدَمِ الأَسْكَادِ عِزْمَهُمْ وَبَاتَ فِي صَدَا الأَعْمَادِ مَا ضِينَا
قَلَمَ تَجِبُهُمْ عَلَامٌ مِنْ شَوَائِحِهِمْ وَلَمْ يَجِيْ خَفْضُنَا مِنْ خَفْضِ وَاوِينَا
كَانَتْ عَمَالَتَنَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا وَالقَوْلُ وَالفِعْلُ فِي الأَقْطَارِ مَا شِينَا
إِذَا الَّتِي أَرْضَعَتْهَا ذِئْبَةٌ فَعَدَتْ «رُومًا» تَصَدَّتْ تُبَارِينَا فَتَبْرِينَا
حَتَّى رَمَتْنَا بِدَامِي الظُّفْرِ طَاغِيَةً فَتَى دَهَاءٍ وَبَأْسٍ جَاءَ يُفْنِينَا
فِي فِتْنِيَةٍ مِنْ بَنِي الرُّومَانِ قَدْ أَلْفُوا نَارَ الوَغَى فَحَكَّوْا فِيهَا الشَّيَاطِينَا

أرَدُوا عَسَاكِرَنَا، أَخْلَوْا دَسَاكِرَنَا،
وَلَمْ يَكُنْ جُنْدُنَا إِلَّا قَسَاوِرَةً
لَكِنَّ صَرْفًا مِنَ الْقُدُورِ غَالِبِهِمْ
مَا بَالُنَا بَعْدَ أَنْ دُكَّتْ مَدِينَتُنَا
صِرْنَا حِيَارَى سُكَارَى مِنْ تَخَاذُلِنَا
وَأَصْبَحَتْ دَارُنَا وَالْكُونُ تَابِعُهَا
تَاللَّهِ مَا غَلَبُونَا حَيْثُ بَاسِلُنَا
لَكِنَّهُمْ غَلَبُونَا حِينَ مَلَكَهُمْ
فَمَا هُمْ بِأَعَادِينَا : خَلَاتِقُنَا
الْيَوْمَ «رُومًا» هِيَ الدُّنْيَا وَصَوْلَتُهَا
وَمَا «أُيُنَيْتُهُ» إِلَّا مَفْقَلٌ خَرِبٌ
هَدُّوا مَنَائِرَنَا طَاغِينَ بَاغِينَا
أَبْلَوْا بَلَاءَ الصَّنَادِيدِ الْأَشْدِينَا
فَمَا نَجَا مِنْهُمْ غَيْرُ الْأَقْلِينَا
وَأَمْتَدَّ حُكْمُ الْأَعَادِي فِي نَوَاحِينَا
وَأَسْعَفَتْهُمْ يَدَانَا فِي تَلَاشِينَا
مَشَوَى لَهُمْ وَمَوَالِيهِمْ مَوَالِينَا
قَضَى قَتِيلًا وَنَالُوا مِنْ نَوَاصِينَا
أَزِمَّةَ الْأَمْرِ شَادِينَا وَرَاضِينَا
هِيَ الَّتِي أَصْبَحَتْ أَعْدَى أَعَادِينَا
تُنَافِسُ الْأَرْضُ تَوْطِيدًا وَتَمَكِينَا
تُجِيلُ أَصْفَادَنَا فِيهِ مُذَالِينَا

وفاة عزيزين

قدم المرحوم يوسف مطران - نجل المرحوم حبيب باشا مطران - مدينة القاهرة في شهر يولييه سنة ١٨٩٥ ، تصحبه عروسه وهي كريمة القائد الفرنسي المشهور « كارو » . فلم يكادا يستقران من وعشاء السفر بين بور سعيد ومصر في يوم سموم شديد الحر ، حتى شعرت تلك السيدة بآلام قضت بدعوة الطبيب . فوصف لها أدوية منها دواء سامناولها إياه زوجها بيده خطأ كما شاء القضاء . فلم تعش بعد تلك الكأس إلا أياماً ، رأينا فيها من شرف أخلاق تلك العقيلة الفاضلة ، وبرها بقريتها ، وتجردها عن نفسها ، وتعالها عن الحياة الدنيا ، ما لم نكن لتخليه إلا في ملك كريم يقيم في عالم غير هذا العالم . وقضى الوفاء على ذلك البعل الشريف - الذي كان من أوجه وجهاء الدولة العثمانية ، وأرفعهم مرتبة لدى الملوك ، وأوسعهم جاهاً وثراءً - أن يلزم الحزن على تلك الفقيدة العزيزة إلى أن قبض الله له لقاءها قبل انقضاء عام على مصابه بها . فتوفى إلى رحمة مولاه ، وعظم خطب الشرق فيه - ولا سيما الديار السورية التي كانت منبته . فرثى الشاعر الفقيدين رثاء جامعاً ، بعد أن تلطفت جمرة الأسف قليلا على توالي الأيام ، وأمكن القلب أن يعل بعض ما فيه والفكر أن يصوغ الكلام

أَنَا فِي الرَّوْضِ سَاهِرٌ وَهُوَ نَائِمٌ بَاتَ فِي قُرَّةِ الدُّجَى وَهُوَ نَاعِمٌ
كُلَّمَا جِئْتُهُ وَقَلْبِي بِكَ رَقَّ دَمْعِي كَمَا نِهَ فَهُوَ بِاسْمِ
أَبْتَفِي فِيهِ سَلْوَةٌ مِنْ مُصَابِ لَمْ يُلَطِّفْهُ عَهْدُهُ الْمُتَقَادِمِ
يَا لِعَزْمِي مِنَ الْأَسَى وَلِحِلْمِي أَسْعِدَانِي عَلَى الْخُطُوبِ الْغَوَاشِمِ
غَلَبْتَنِي صُرُوفُ دَهْرِي عَلَى صَبْرِي وَأَفْنَتْهُ نَارُهَا فِي اللَّاحِمِ
الْأَمَانَ الْأَمَانَ أَلْقَيْتُ سِنِي وَطَوَيْتُ اللُّوَاءَ تَسْلِيمَ رَاغِمِ
خَانَ عَزْمِي الشَّبَابُ وَأَقْتَصَّ ضَعْفِي مِنْ ثَبَاتِي، فَكَيْفَ مِثْلِي يُقَاوِمُ؟

إِن مِّن سَيْفُهُ شَبَابٌ نَّضِيرٌ فَعْيُوبُ الشَّبَابِ فِيهِ مَثَالِمٌ
وَالَّذِي دِرْعُهُ فُوَادٌ رَّقِيقٌ فَجَرِيحٌ إِنْ يُقْتَحَمُ أَوْ يُقَاحِمُ

أَيْهَا الرُّوضُ كُنْ لِقَلْبِي سَلَامًا وَمَلَاذًا مِّنَ الشَّقَاءِ الْمَلَاذِمِ
مَا أَقْرَأَ النَّدَى وَمَا أَلْعَبَ النَّوْ رَ وَمَا أَجْزَعَ الظَّلَالَ الحَوَائِمِ ؟
زَهْرٌ ذَابِلٌ كَأَنِّي أَرَاهُ تَمِيلًا مِّنْ أَنْفَاسِهِ فِي الكَمَامِ
وَعَدِيرٌ صَافٍ أَقَامَ سِيَاجًا حَوْلَهُ بِاسِقٍ مِّنَ الدَّوْحِ قَائِمِ
تَتَنَاقَى بِيضٌ مِّنَ الطَّيْرِ فِيهِ سَابِحَاتٌ وَتَحْتَهَا النَّجْمُ عَائِمِ
كَيْفَمَا سِرْنَ فَالطَّرِيقُ عُقُودٌ نُظِمَتْ مِّنْ مَّحَاجِرٍ وَمَبَاسِمِ
حَبْدًا الْبَدْرُ مُؤَنَسًا يَتَجَلَّى كَحَبِيبٍ بَعْدَ التَّغَيْبِ قَادِمِ
حَبْدًا رَشْمُهُ الْبَرَايَا كَأَبْهَى مَا تَرَى الْعَيْنُ فِي صَحِيفَةِ رَاسِمِ
حَبْدًا الْمَاءُ وَالْمَصَابِيحُ فِيهِ كَبَنَاتٍ يَزِينُهَا بِخَوَائِمِ
جَنَّةٌ بَانَتِ الْمَكَارِهِ عَنْهَا وَهِيَ بِكْرٌ مِّنَ الْأَذَى وَالْمَحَارِمِ
إِنَّمَا أَهْلُهَا طُيُورٌ حِسَانٌ إِنْ دَعَاهَا الصَّبَاحُ قَامَتْ تُنَادِمِ
وَضِيَاءٌ يَمُوجُ فِي الْمَاءِ حَتَّى لَتَرَاهُ كَأَنَّهُ مُتَلَاظِمِ
وَمُرُوجٌ مُدَبِّجَاتٌ كَوْشِي أَتَقَنَّتْ صُنْعَهُ حِسَانُ الْمَعَاصِمِ
وَعُصُوفٌ تَهْزُهَا نَسَمَاتٌ كَمُهْرٍ تَهْزُهَا تَهْزِينٌ رَوَائِمِ (١)

(١) روائم : أمهات شفيقات

هَذِهِ عَزَلْتِي أَفْرُهُ إِلَيْهَا مِنْ مَجَالِ الْأَسَى وَتَجَرَى الْمَظَالِمِ
هَهُنَا أَجْتَلِي مِثَالَيْنِ بَاتَا فِي سَمَاءِ صَفْتٍ وَرَاءَ الْعَمَائِمِ
هَهُنَا أَلْتَقِي بِطَيْفِي حَبِيبِي الدَّفِينَيْنِ فِي فُؤَادِي الْوَاجِمِ
حَيْثُ لَا عَيْنَ لِلرِّيَاءِ وَلَا لِلخُبَيْثِ أُذُنٌ ، وَلَا فَمٌ لِلنَّمَامِ
لَمْ تَحُلْ بَيْنَنَا لِلنِّيَّةِ لَكِنْ حَالَتِ النَّاسُ بِالزَّرَاعِ الدَّائِمِ

إِيهِ « فَايِي » وَكُلُّ مَنْ عَاشَ فَايِي أَيْنَ بَاتَتْ تِلْكَ الْخِلَالُ الْكِرَامِ؟
مَلِكٌ مَرَّةً بِالْحَيَاةِ كَرِيمًا وَتَوَلَّى عَنْهَا تَوَلَّى غَانِمِ
زَهْرَةٌ لَمْ تَكْذُ تُوْفِي رَيْبَعًا ذَبَلَتْ وَاللَّدَاتُ لُدُنُّ نَوَائِمِ

يَا عَرُوسًا مَرَّتْ بِهَا أَشْهُرُ الصَّفْوِ سِرَاعًا كَأَنَّهَا حُلْمٌ حَالِمِ
قَدْ سَقَاكَ الْحَبُّ كَأْسًا وَمَا إِنْ خَالَ فِيهَا سِوَى الدَّوَاءِ الْمُلَامِ
هَفْوَةٌ رَامَهَا الْقَضَاءُ وَفَادِيكَ هَفَاهَا بَغَيْرِ مَا هُوَ رَائِمِ
فَقَدَّتِ الْحَيَاةَ فَقَدْ نَفِيسِ تَزْدَرِيهِ نَفْسُ الْكَرِيمِ الْحَازِمِ
وَاسْتَقَى صَبْكَ الْجَمَامِ بِكَاسٍ مِنْ أَسَى لَيْسَ مُسْتَقِيهَا بِأَيْمِ
كَأْسُ مَوْتٍ سَقَاكِهَا وَاسْتَقَاهَا مِنْ يَدِ الْحَزَنِ وَافِيَا غَيْرِ نَادِمِ
فَتَوَلَّى فِي عُنْفُوَانٍ مِنَ الْعُمْرِ حَلِيفَ الْعُلَى أَلِيفَ الْعِظَامِ
عَاهَدَتْهُ فَوَاتِحُ الْمَجْدِ عَهْدًا وَعَلَى الْإِثْرِ أَخْلَفَتْهُ الْخَوَاتِمِ

بَاتَ فِي ذُرْوَةِ الشُّرُورِ وَأَضْحَى فِي قَرَارٍ مِنَ الْأَسَى الْمُتَفَاعِمِ
صَاعَدَ النَّجْمَ ثُمَّ قَطَّرَهُ عَنْ أَوْجِهِ حَادِثٌ مِنَ الدَّهْرِ حَاطِمٌ

هَكَذَا فَارَقَ الْحَبِيبَانَ دَاراً هِيَ دَارُ الشَّقَاءِ دَارُ الْمَغَارِمِ
فَارَقَاهَا بِلَا قُطُوبٍ وَكَانَا كَابْتِسَامَيْنِ فِي وُجُوهِ الْمَعَالِمِ (١)
خَتَمَا الْعُرْسَ فِي غِيَابَةِ رَمْسٍ وَخَتَمْنَا أَفْرَاحَنَا بِالْمَاتَمِ
مَا رَأَى النَّاسُ مِثْلَ هَذَا وَلَاءٌ عَنْهُ يَنْبُو سَيْفُ الْجَمَامِ الْقَاصِمِ

فَاسْتَقَرَّا فِي رَحْمَةٍ وَدَعَانَا فِي حَيَاةٍ أَوْلَى بِرَحْمَةٍ رَاحِمِ
أَنْتُمْ فِي رِضَى وَنَحْنُ نُوفَى لِشَقَاءِ الدُّنْيَا بَقَايَا الْعَزَائِمِ

(١) قطوب : عبوسة

تهنئة

قدمها الناظم لصديقه العزيز ، فقيد العلم والفضل ، المرحوم
نقولا توما يوم زفافه إلى السيدة الصونة الفاضلة إيلين موصلى عطا الله

يُعْجِزُ الْفِكْرَ مَا يُرِيدُ الْفُؤَادُ فِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَمْدَحُ يُرَادُ
مَا عَرَفْنَا فِي النَّاسِ قَبْلَكَ فَرَدًّا تَتَحَلَّى بِهِ الصِّفَاتُ الْجِيَادُ
مَا رَأَيْنَا ذَا نِعْمَةٍ كَبُرَتْ لَا يَتَوَلَّى تَصْغِيرَهَا الْحُسَادُ
مَا شَهِدْنَا بِغَيْرِ وَصْفِكَ أَنْ يَسْتَوِيَ الْوَامِقُونَ وَالْأَضْدَادُ^(١)
مَا عَهِدْنَا فِي كَاتِبٍ أَنْ مِنْ آ يَأْتِهِ صَوْنُ الدَّرِّ وَهُوَ مِدَادُ
مَا سَمِعْنَا نَطْقًا بِهِ يَزِدُّهُ الْمُنِيرُ عُجْبًا وَتَطْرَبُ الْأَعْوَادُ

رُبَّ جَمْعٍ وَقَفَتْ فِيهِ خَطِيبًا أَنْصَتَتْ فِي صُدُورِهِ الْأَكْبَادُ
هَكَذَا الْبَحْرُ يَمْلِكُ الْحَسَّ رَوْعًا وَجَلَالًا دَوِيَّةُ الْهَدَادُ^(٢)
هَكَذَا السَّيْلُ قَازِفًا مَاءَهُ الْمُبْسِيزَ حَتَّى يُظَنَّ فِيهِ اتِّقَادُ
أَنْتَ صَوْتُ الضَّمِيرِ يَسْأَلُ عَدْلًا حَيْثُمَا الْعَدْلُ رَحْمَةٌ وَسَدَادُ
تَرْتَقِي مَا تَشَاءُ فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَمْحِسَ الْقَلْبُ نَبْضَهُ أَوْ يَكَادُ
كَلِمًا جُرَتْ فِي الْبَلَاغَةِ شَأْوًا وَاسْتَزَادُوا ، مَنْعَتَهُمْ مَا اسْتَزَادُوا

(١) الوامقون : المحبون (٢) الهداد : ما يسمع من صوت البحر

تَرْهَبُ الْعَيْنُ طَرْفَةَ الْجَفْنِ مِنْ حِرْصٍ عَلَى لِحْظَةٍ لَهُ تُسْتَفَادُ
مَا النَّظَامُ الْبَدِيعُ؟ مَا الْمِعْرَافُ الْمُرْ قِصُّ؟ مَا الْمُنْشِدُونَ؟ مَا الْإِنْشَادُ؟

رُبَّ عِرْضٍ دَبَّ الشَّقَاءُ إِلَيْهِ وَمَشَى السُّوءُ خَلْفَهُ يَرْتَادُ
صُنْتَهُ بِالنَّدَى وَلَا شَاهِدٌ إِلَّا النَّدَى وَالْمَكَانُ وَالْمِعَادُ
رُبَّ ذِي فِطْنَةٍ أَسَاءَ إِلَيْهِ زَمَنٌ غَالِبٌ عَلَيْهِ الْفَسَادُ
كَأَدَّ، لَوْلَمْ تُدْرِكْهُ، يَهْجُرُ طَرَسًا أَصْبَحَ الْحَبْرُ فِيهِ وَهُوَ حِدَادُ
إِنْ يَكُ الْجُودُ لَا نَفَادَ لَهُ عِنْدَكَ يَوْمًا، أَمَا لِمَالٍ نَفَادُ؟
بِكَ، إِذْ تُسْتَعَادُ مِنْكَ الْأَيَادِي، فَرَحُ الشَّاعِرِ الَّذِي يُسْتَعَادُ

أَيُّهَا الْفَاضِلُ الْحَبِيبُ الَّذِي فَارَقْنَا سَاعَةً وَطَالَ الْبِعَادُ
قَدْ بَدَّرْتَ الْجَمِيلَ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَنَمَا وَهُوَ حُرْمَةٌ وَوِدَادُ
لِيَكُنْ بَيْتُكَ الَّذِي شِدَّتْ صَرْحًا رُكْنُهُ الْمَجْدُ وَالرِّفَاءُ الْعِمَادُ
أَوْ سَمَاءَ، عَرُوسُكَ الشَّمْسُ فِيهَا وَالنُّجُومُ : السُّعُودُ وَالْأَوْلَادُ

رثاء

للمنفور لها الأميرة كاملة هانم

كريمة صاحب الدولة الأمير حسين كامل باشا

مِنَ الْمَلَأِ الْأَسْمَى عَلَى ذَلِكَ الْقَبْرِ مَلَائِكُ حُرَّاسُ الْفَضِيلَةِ وَالطُّهْرِ
سُجُودًا عَلَى بَابِ الضَّرِيحِ الَّذِي ثَوَّتْ بِهِ مُصْطَفَاةُ اللَّهِ كَامِلَةُ الْبِرِّ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَالزَّمُوهُ وَأَنِسُوا غُلَّالَةَ حُسْنِ تَبَتَّلَى بِيَدِ الْهَجْرِ
فَقَدْ صَعِدَتْ نَفْسُ الْأَمِيرَةِ فِي الضُّحَى إِلَى اللَّهِ وَاسْتَوْدَعْتُمْ صَدَفَ الدُّرِّ
نَحْمَلَهَا نُورًا إِلَى جَنَّةِ الْعُلَى كَمَا تَحْمِلُ الْأَنْدَاءُ أَجْنِحَةَ الْفَجْرِ
فِيَا سَيِّدَ الدَّهْرِ الْمُعَزَّى بِفَقْدِهَا أَنْخَشَى عَلَيْكَ الْيَوْمَ مِنْ صَوْلَةِ الدَّهْرِ؟
وَيَا أَكْرَمَ الْأَبَاءِ بَرًّا بِوَلَدِهِ وَلَكِنَّهُ بَرٌّ عَصَتُهُ يَدُ الضَّرِّ
أَأَنْتَ مِنَ الرَّحْمَنِ أَرْأَفُ وَالِدًا بِمُعْتَاظَةِ السَّرَّاءِ عَنْ أَلَمِ الْعُمْرِ؟

الحامتان

حديث واقعة شهدها الناظم في ليلة سهاد فكتبها وجعلها وسيلة استعطاف

يَا مَنْ أَضَاعُوا وِدَادِي رُدُّوا عَلَيَّ فُوَادِي
رُدُّوا سُرُورًا تَقْضَى وَمَا لَهُ مِنْ مَعَادِ
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ سُمِّي فِي بُعْدِكُمْ وَسُهَادِي
هَذَا شِقَائِي فِيكُمْ يَا غِبْطَةَ الْحُسَادِ

وَلَيْلَةَ بَيْتٍ فِيهَا وَقَدْ جَفَانِي رُقَادِي
تُنْفِي الدَّقَائِقُ قَلْبِي وَرِيًّا كَوْرِي الزَّنَادِ (١)
مِنَ الصَّبَابَةِ مَهْدِي وَمِنْ سَقَامِي وَسَادِي (٢)
رَاعَتْ حَشَايَ بَنُوْحٍ حَمَامَةٌ فِي ارْتِيَادِ
مُرْتَاعَةً لِأَلِيفٍ لَمْ يَأْتِ فِي المِيعَادِ
تُرْنُ إِزْنَانَ ثَكْلِي مَفْقُودَةَ الأَوْلَادِ
وَاللَّيْلُ دَاجٍ كَثِيفٌ كَأَنَّهُ فِي حِدَادِ
تَرُوحُ فِيهِ وَتَغْدُو كَثِيرَةَ التَّرْدَادِ
مَا بَيْنَ غُصْنٍ وَغُصْنٍ لَهَا طَوَافُ افْتِقَادِ
وَلَمْ تَزَلْ فِي هِيَامٍ وَحَايِرَةٍ وَجِهَادِ

(١) وري الزناد : قدح الزناد (٢) وسادي : فراشي

حَتَّى اسْتَقَرَّتْ عِيَاءُ مِنْ وَثِبَهَا الْمَتَادِي
 مُنْحَلَّةَ الْعَزْمِ لَيْسَتْ تَقْوَى عَلَى الْإِنْشَادِ
 ظَمَأَى إِلَى الْمَوْتِ رِيًّا مِنْ الْأَمَى وَالْبِعَادِ ^(١)
 وَكَانَ يَسْعَى إِلَيْهَا أَلَيْفَهَا غَيْرَ هَادِي
 يَرْتَادُ كُلَّ مَكَانٍ فِي إِثْرِهَا وَهُوَ شَادِي
 حَتَّى إِذَا سَمِعَتْهُ بِالْقُرْبِ مِنْهَا يُنَادِي
 عَادَ الرَّجَاءُ إِلَيْهَا لَكِنْ بِغَيْرِ مُفَادِ
 إِنَّ الرَّجَاءَ مُعِينٌ وَمَا الرَّجَاءُ بِفَادِ
 هَمَّتْ تَطِيرُ إِلَيْهِ لَكِنْ عَدَّتْهَا عَوَادِي
 فَوَدَّعَتْهُ بِنُوحِ مُفْتَتِ الْأَكْبَادِ
 وَكَانَ آخِرَ سَجْعِ لَهَا عَلَى الْأَعْوَادِ

يَا مَنْ نَاوَأَعَنْ عِيُونِي وَرَشَّمَهُمْ فِي السَّوَادِ
 وَأَجْهَدُوا الْفِكْرَ وَثِبًا إِلَيْهِمْ فِي الْبِلَادِ
 وَاسْتَنْفَدُوا زَفْرَاتِي وَأَدْمَعِي وَمِدَادِي
 إِلَى مَ أَغْدُو حَزِينًا فِي غُرْبَةٍ وَانْفِرَادِ؟
 لِي فِي الْحَيَاةِ مُرَادٌ وَأَنْ أَرَاكُمْ مُرَادِي
 لَا تَجْعَلُوهُ وَدَاعِي عِنْدَ الْمَمَاتِ وَزَادِي

(١) رِيًّا: مرتوية

تقريظ

لديوان شوقي

ضمنت لهذا العهد ذكراً مخلصاً
وبت لمصر بالفاخر محتداً
أطاف بها ليل من الجهل حالك
فإن قلب المخزون في الأفق طرفه
ومن تدعه يردد نداءك لا يجب
كما رجع الصخر الأصم لك الصدى
وجددت للإسلام معجزاً أمحداً
ومن قبل كانت للمفاخر محتداً
وصمت بها الأسماع عن دعوة الهدى
فليس يرى إلا ذكاءك فرقداً
كما رجع الصخر الأصم لك الصدى

لك الله من شك عن الناس دهرهم
ومن ساهر يفتي منار حياته
ومن ناظم للملك تاج فرائد
ومن منشد يحيي فخار جدوده
إذا النسل لم يحفل بذكر جدوده
قواف يزين الشعر حسن نظامها
وسبك يعيد اللفظ لنا موقعاً
على حين لم يشكوا وقد جار واعتدى
ضياء ليهدى غافلين ورقداً
من المدح: تيجان الملوك له فدى
فيكسبهم مجداً بذاك مجدداً
فإن لهم موتاً به متعدداً
كما ازدان كأس بالحباب منضداً
ويبدي لنا المعنى الخفي مجدداً

أسحراً تريننا أم صحائف كلما
نقلتها وجهاً نرى عجباً بدا

فَبَيْنَا هِيَ الرَّوْضُ الَّذِي تَشْتَهِي الْمَنَى
إِذَا هِيَ أَنْهَارُهُ تُقْرِئُ عُيُونَنَا
تَعَاشِقَ فِيهِ النُّورُ وَالطَّيْبُ وَالنَّدَى
إِذَا هِيَ أَفْلَاكُهُ بُسْطَنَ وَأَجْرَدُ
إِذَا هِيَ آجَامُهُ تَمُوجُ بِأَسْدِهَا
وَإِذَا هِيَ عَيْسُ فِي الْبَوَادِي مُجِدَّةٌ
إِذَا هِيَ حَرْبُهُ يَخْلَعُ الْبَيْدَ جَيْشُهَا
إِذَا هِيَ أَجْيَالُ الزَّمَانِ مُعَاهِدًا
بَيَانُكَ سَيْفٌ لِلْحَقِيقَةِ سَاطِعٌ
تَعَاشِقَ فِيهِ النُّورُ وَالطَّيْبُ وَالنَّدَى
إِذَا هِيَ نِيرَانُهُ تَشُورُ تَوَقُّدًا
أَغَارَ بِهَا الْفُلُكُ الصَّغِيرُ وَأَنْجِدًا
وَأُودِيَّةٌ يَرْعَى بِهَا الظَّبْيُ أَرْبَدًا
تَسِيرُ وَلَا سَيْرٌ وَتُحْدِي وَلَا حِدًا
نِعَالًا مَتَى هَبُّوا وَثُوبًا عَلَى الْعِدَى
بِهَا آدَمُ مُوسَى وَعِيسَى مُحَمَّدًا
ذَلِيلٌ بِهِ الْبَاغِي قَتِيلٌ بِهِ الرَّدَى
وَمَاتَ جَدِيرًا بِالْفَخَارِ مُؤَبَّدًا
كَرِيمًا وَأُسْتَاذًا حَكِيمًا وَمُرْشِدًا

للكتابة تحت رسم

يَا مَنْ إِلَيْهِمْ أَهْدَى مِثَالِي
إِنَّ مِثَالِي هُوَ الْوِدَادُ
مَا ذَاكَ رَسْمٌ خِيَلْتُمُوهُ
بَلْ ذَاكَ طَيْفٌ فِيهِ فُؤَادُ

الى سمو الخديو عباس حلمى الثانى

على أثر حادث سياسى ذى خطر

تَدَاوَلَ قَلْبِي وَجَدُهُ فِيكَ وَالذِّكْرُ
وَكَدْتُ أَحِبُّ الشَّهْدَ مِمَّا أَلْفَتُهُ
وَأَنْكَرُ قَوْمِي فِي هَوَاكِ تَجْرُدِي
أَعْرُ بِمَنْ يَهْوَى وَأَنْتِ لَهُ الْغِنَى؟
مُحِبِّكَ لَا يَشْقَى وَأَنْتِ نَعِيمُهُ
سِوَى أَنِّي شَاكٍ نَوَاكِ وَذَاكِرُ
زَجَرْتُ فَوَادِي أَنْ يَبُوحَ بِمُحْزَنِهِ
وَمَا زَجْرُكَ الْكَاسُ الدَّهَاقَ بِمُحْمَرِهَا
فَكَاشَفْتُهَا مَا بِي وَإِنَّ افْتِضَاحَهُ
جَلَّ الدَّمْعُ نَفْسِي مِنْ خَبَايَا سَرَائِرِي
فَزَالَ قِنَاعِي عَنْ ضَمِيرٍ مُطَهَّرٍ
وَعَنْ جَائِلٍ مِنْ دُونِهِ الْبَرْقُ سُرْعَةً
وَعَنْ خَافِقِي مِلءِ الْوَفَاءِ خُفُوقُهُ
وَعَنْ نَافِحِ طَيْبِ الرِّيَاضِ مُنَوَّرِ
فَهَذَا لَهُ لَيْلٌ ، وَهَذَا لَهُ فَجْرُ
وَكَادَ لَطُولِ الصَّبْرِ يَخْلُو لِي الصَّبْرُ
عَلَى زَعْمٍ أَنَّ الزُّهْدَ آفَتُهُ الْعُسْرُ
إِذَنْ قَرَّاهُ الْعَالَمِينَ هُوَ الْفَقْرُ
وَصَبِّكَ لَا يَصْدَى وَأَنْتِ لَهُ الْقَطْرُ^(١)
تَبَارِيحَ وَجَدِي يَوْمَ فَرَقْنَا الْهَجْرُ
فَبَاحَتْ بِهٍ عَيْنِي وَلَمْ يَنْفَعِ الزَّجْرُ
إِذَا هِيَ سَأَلَتْ عَنْ جَوَانِبِهَا الْحُمْرُ^(٢)
لَا يُسْرُ لِي مِنْ أَنْ يُرَدَّ لَهَا أَمْرُ
تَلُوحُ وَلَا كَتْمٌ وَتُجَلِّي وَلَا سِتْرُ
يُصَانُ بِهِ عُرْفٌ وَيُنْفَى بِهِ النُّكْرُ
وَنُورًا فَلَا بَعْدُ يَعُوقُ وَلَا سِتْرُ
عَجِبْتُ لَهُ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِهِ الصَّدْرُ
بِأَجْمَلٍ مَا تَزْهُو الرِّيَاحِينَ وَالزَّهْرُ

(١) يصدى : يظلم (٢) الدهاق : المتدقة

هُنَالِكَ مَتَوَى حُبَّهَا وَمَنَارُهُ
هُوَ مِلُّ رُوحٍ فِي ضَيْلٍ مُخَيَّلٍ
وَقَدَّرُ الْهُوَى فِي ذِي الْهُوَى قَدَّرُ نَفْسِهِ
وَمَا يَسْتَوَى فِي الْحُبِّ أَرْوَعُ فَاضِلٌ
وَمَا يَسْتَوَى وَدُّهُ هُوَ الْغَنَمُ لِلْوَرَى
رَعَتِكَ عِيُونَُ اللَّهِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ
تَعَهَّدَ ثُغُورَ الْمَلِكِ أَيَّامَ تَحُلُهُ
يَقُومُ لَدَيْكَ النَّاسُ فِي خَيْرٍ مُخْفِلٍ
وَتُبَدَّلُ حَبَاتُ الْقُلُوبِ كَرَامَةً
يُنَادُونَ «عَبَّاسًا» نِدَاءً تَيَمِّنُ
وَدَعْوَاهُمْ سَحْدٌ لَهُ وَمَلَامَةٌ
«أَعْبَاسُ» إِنْ تَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ هِمَّةٌ
تُرِيدُ اللَّيَالِي مِنْكَ مَا لَا تُرِيدُهُ
فَإِنْ ظَلَمْتَ حُرًّا وَسَاءَكَ ظَلْمُهُ
لَكَ التَّاجُ زَانَتُهُ الْخِصَالُ بِدُرِّهَا
لَكَ النَّيْلُ مَوْكُولًا لِأَمْرِكَ أَمْرُهُ
لَكَ الْمَلِكُ مَوْفُورَ السَّلَامَةِ هَانِيًا
أَمْوَالِي إِنْ مَرَّتْ بِبَدْرِ سَحَابَةٍ
تَمُرُّ بِعَيْدٍ عَنِ مَعَالِي سَمَائِهِ

وَمَسْطَعُهُ الْأَذْكَى وَمَنْبِتُهُ النَّضْرُ
وَلَكِنِّي إِنْ أُبْدِيَ امْتِلَأَ الْعَصْرُ
وَمِرَاتُهُ قَلْبُ الْمُتَمِّمِ وَالْفِكْرُ
وَأَحَقُّ مَذْمُومٌ خَلَاتِقُهُ غِرُّ
كُوْدُ «ابْنِ تَوْفِيْقٍ» وَوَدُّهُ هُوَ الْخَسِرُ
كَمَا أَنْتَ تَرَعَانَا وَرَائِدَكَ الْبُرُّ
فَذَاكَ لَهُ قَلْبٌ وَسَائِرُهُ الشَّغْرُ
وَيَسْتَقْبِلُ الْإِجْلَالَ رَكْبِكَ وَالْبِشْرُ
لَدَيْكَ وَيُزْرِي أَنْ يَضْنَ بِهِ التَّبْرُ
وَيَدْعُونَ أَنْ يَحْيَا وَيَحْيَا بِهِ «مِصْرُ»
لِأَهْلِ نَدُورٍ لَا يُوفِي لَهُمْ نَذْرُ
فَأَيْنَ مَقَامُ النَّاسِ مِنْكَ وَلَا فَخْرُ؟
لَكَ الْحَقُّ وَالْأَمَالُ وَالْهَمُّ الْغُرُّ
فَأَجْمَلُ بِهَا عُقْبِي يُسْرُ بِهَا الْحُرُّ
فَزِدَّهُ لِحِينِ دُرَّةٍ وَهِيَ الصَّبْرُ
بِحَقِّ مِنَ الْمِيرَاثِ أَيْدُهُ النَّضْرُ
شَقِيًّا بِهِ الْمُشَقِيُّ مُصَابًا بِهِ الضَّرُّ
فَمَا كَسَبَتْ نُورًا وَلَا أَظْلَمَ الْبَدْرُ
وَتَمَضَى عُبُوسًا وَهُوَ جَدْلَانُ يَفْتَرُ

رثاء

لأديب عصره الصديق المرحوم الشيخ نجيب الحداد

إِرْبَاءُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ «نَجِيبًا» وَازْجُرْ خَلِيلَكَ أَنْ يَكُونَ أَدِيبًا^(١)
فَلَقَدْ أَرَى مَوْتَ الْأَدِيبِ حَيَاتَهُ وَالْعَيْشَ مَوْتًا يَلْتَقِيهِ ضُرُوبًا^(٢)
وَأَرَى جَوَائِزَ فَضْلِهِ وَعُلُومِهِ إِعْسَارَهُ وَالذَّاءَ وَالتَّغْذِيَا
يَا لِلذِّكَاةِ يُنِيرُنَا بِضِيَائِهِ وَيَكُونُ لِلْجِسْمِ الْمُضِيِّ مُذِيبًا
يَا لِلْعُلُومِ نَظْمُهَا نِعْمًا لَنَا فَنُصِيحِيهَا نِقْمًا لَنَا وَخُطُوبًا
مَاذَا أَفَادَكَ أَنْ تَكُونَ مُحَرَّرًا وَمُحَبَّرًا وَمُفَوَّهًا وَلَبِيبًا ؟
مَاذَا أَفَادَكَ كُلُّ نَظْمٍ شَائِقٍ لَفْظًا وَمَعْنَى رَائِقٍ أُسْلُوبًا ؟
مِنْ كُلِّ مُبْتَكِرٍ أَغْرًا مُحَجَّبٍ إِلَّا عَلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ مُحْجُوبًا
وَمُجَدِّدٍ كَالدَّرِّ يُبَدِّلُ صَوْنَهُ فَتَخَالَهُ عَيْنُ الْخَيْرِ قَشِيبًا^(٣)
نَظْمٌ تَزِيدُ بِهِ الْحَقِيقَةَ رُؤْفَا وَتُعِيدُ مُبْتَدَلِ الْأُمُورِ غَرِيبًا
كَالشَّمْسِ يَسْطَعُ نُورُهَا فِي حَمَاءِ فَيُحِيلُ قَاتِمَ لَوْنِهَا تَذْهِيبًا^(٤)
يَا خَيْرَ مَنْ خَطَّ الرَّثَاءَ لَوْ أَنَّهُ يَجْرِي لَسَانَ حَاجِرًا وَقُلُوبًا
هَلَّا نَعَيْتَ بِهِ شَبَابَكَ قَبْلَ أَنْ تُنْعَى مُحِبًّا رَاحِلًا وَحَبِيبًا ؟

(١) إرباء : إسلام (٢) ضروباً : أشكالاً (٣) قشيباً : جديداً
(٤) حمأة : الماء المترج بالطين

يَا نَاسِجًا بُرْدَ الرَّوَايَاتِ الَّتِي
هَلَا قَصَصْتَ حَدِيثَ شَهْمٍ لَمْ يُصَبْ
غُضْنٌ نَمَّا حَتَّى زَكَّتْ أُمَمَارُهُ
فَمَضَيْتَ مَبِكِيًّا وَمَا يُغْنِيكَ لَوْ
هَذَا جَزَاؤُكَ بَاحِثًا مُتَسَهِّدًا
هَذَا جَزَاؤُكَ فَاضِلًا فِي أُمَّةٍ
يَتَفَكَّهُ النَّفَرُ الْأَفْضَلُ مِنْهُمْ
يَتَفَكَّهُونَ بِأَخْرَفٍ أَوْدَعَتْهَا
مَهْلًا وَدَاعَكَ لِلْحَيَاةِ تَخَطُّهُ
نَفْسَاتُ مَصْدُورٍ عَلَتْ زَفْرَاتُهُ
عَبْرَاتُ مُحْتَضِرٍ يُضِي كَسْمَعَهُ
كَلِمٌ كَسَهْنُ الْكَابَةِ لَوْنَهَا
فَارْقُدْ، فَمَا أُخْرَى الرَّدَى وَهُوَ الْكِرَى
أَلْقَبْرُ أَفْضَلُ لِلْفَتَى مِنْ مَضْجِعِ
وَجَلَامِدُ الْأَرْمَاسِ أَهْوَنُ مَحْمِلًا

تَرْمِي بِهَا الْغَرَضَ الشَّرِيفَ مُصِيبًا
غَيْرَ الشَّقَاءِ مِنَ الذِّكَاةِ نَصِيبًا؟
فَرَمَاهُ كَيْدُ زَمَانِهِ مَقْضُوبًا
أَنَا مَلَانًا الْخَاقِينِ نَحِيبًا
مُسْتَنْفِدًا عَرَقَ الْجَبِينِ صَبِيبًا
مَا زَالَ فِيهَا الْأَلْمَعِيُّ غَرِيبًا
بِحَنَى حَيَاتِكَ شَاعِرًا وَأَرِيبًا
تَلْخِيصَ عُمَرَكَ مَشْرِقًا وَمَغِيبًا
مِنْ مُهْجَةٍ كَادَتْ تَجِفُّ نَضُوبًا^(١)
حَتَّى تَرَى التَّضْعِيدَ وَالتَّضْوِيبًا
تَفَنَّى وَتُرْسِلُ دَمْعَهَا مَسْكَوبًا
فَحَاكِينَ أَنْوَارَ الزَّوَالِ غُرُوبًا
أَنْ يُسْتَطَابَ عَلَى الْأَسَى فَيَطِيبًا
فِيهِ يُقَلِّبُ مُوجَعًا تَقْلِيْبًا
مِنْ أَنْ يُحْمَلَ مِثْلَهُنَّ كُرُوبًا^(٢)

(١) إشارة إلى آيات نظمها قبل وفاته

(٢) جلامد الأرماس : سفخور القبور

رثاء

المغفور له فقيد الوطن أمين فكرى باشا

وَقَفْتُ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي أَنْتَ نَازِلُهُ وَقُوفَ جَبَانٍ بَادِيَاتِ مَقَاتِلُهُ
وَمَا الْقَبْرُ إِلَّا حَلْقُ غَرْنَانَ هَاضِمٍ مِنْ الْمَوْتِ مَا يُلْقِي بِهِ فَهَوَ غَائِلُهُ^(١)
لِمِثْلِ «أَمِينٍ» يَجْزَعُ النَّاسُ إِذْ مَضَى أَوَاخِرُهُ مَحْمُودَةٌ وَأَوَائِلُهُ
دَفَنَاهُ مَبْكِيًّا نَضِيرُ شَبَابِهِ وَمَبْكِيَّةً آدَابُهُ وَفَضَائِلُهُ
كَأَنَّ نُورِيهِ الثَّرَى كُلَّ سَاعَةٍ أَسَى وَكَأَنَّ كُلَّ آنٍ نُزَايِلُهُ^(٢)
هَوَى بَيْنَ أَيْدِينَا وَقَدْ وَدَّتِ الْمَنَى لَوْ أَنَّ لِفَضْلِ سَاعِدًا فَهَوَ نَاشِلُهُ
كَمَا سَقَطَتْ فِي الْبَحْرِ دُرَّةٌ بَاخِلٍ أَحَاقَ بِهِ لُجٌّ مِنَ الْيَأْسِ شَامِلُهُ
فَرَّاحٌ يُعِيدُ الطَّرْفَ لَا هُوَ صَابِرٌ وَلَا هُوَ يَدْرِي أَيَّ أَمْرٍ يُجَاوِلُهُ
يُقَطِّرُ فَوْقَ الْعَمْرِ سَائِلَ دَمْعِهِ وَلَا يُدْرِكُ الشَّيْءَ الَّذِي هُوَ سَائِلُهُ
فَتَى كَانَ سَبَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ وَيَعْلَمُ إِلَّا قُدْرَهُ فَهَوَ جَاهِلُهُ
رَجَوْنَا لَهُ بِالطَّبِّ بُرْءًا يَسْرُنَا بِهِ وَإِذَا الطَّبُّ الْمُؤَمَّلُ خَاذِلُهُ
وَمَنْ قَلْبُهُ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ يَشْتَكِي فَمَاذَا تَدَاوِيهِ وَمَاذَا وَسَائِلُهُ؟
وَكَانَ عَلَى طِيبِ الزَّمَانِ وَخُبْنِهِ جَيِّ ثَمَارِ الْأَنْسِ عَذْبًا مَنَاهِلُهُ
وَلَا يَبْتَغِي إِلَّا الْمَحَامِدَ وَالْعَلَى وَمَرْضَاةَ وَجْهِ اللَّهِ فِيمَا يُزَاوِلُهُ

(١) غرنان : جامع (٢) نزايله : نزارقه

إِذَا أَطْبَقَتْ سُحْبُ الْحَوَادِثِ حَوْلَهُ أَضَاءَتْ بِهَا أَخْلَاقُهُ وَشَمَائِلُهُ
 وَإِنْ تَدُنُّ نَارُ الْحَقْدِ مِنْهُ تَضَوَّعَتْ مَنَاقِبُهُ طِيبًا بِهَا وَفَوَاضِلُهُ
 وَمَا انْقَبَضَتْ إِلَّا عَنِ الشَّرِّ كَفَّهُ وَمَا انْبَسَطَتْ إِلَّا لِخَيْرِ أُنَامِلِهِ
 فَلَا رَاعِنًا بَيْنَ «الْأَمِينِ» وَكُلَّنَا يَجِدُّ إِلَيْهِ وَالْهَمُومُ رَوَاحِلُهُ
 هَلِ الْمَرْءُ مَرْجُوءٌ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ لِطَوْلِ بَقَاءِ وَاللَّيَالِي كَوَافِلُهُ ؟
 فَإِنْ كَانَ طِفْلًا فَهُوَ مُنْذُ وِلَادِهِ رَهِينُ الْمَنَابِيَا وَالرَّزَايَا قَوَابِلُهُ
 وَإِنْ كَانَ شَيْخًا فَهُوَ قَدْ شُدَّ رَأْسُهُ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ عَجْزٍ وَنَاءَتْ كَوَاهِلُهُ

شهيد المروءة

وشهيدة الغرام

نشرت في مجلة « أنيس الجليس » لصاحبها
الأديبة الفاضلة السيدة الكسندره دى أفيرينوه

سَيِّدِي إِنْ تُفْسِحِي لِي بِالْكَلامِ فَاسْمَحِي
 أَقْصُنِ عَلَيَّ قُرَاءَ نَشْرَتِكَ الْغُرَاءِ
 بِالنَّثْرِ أَوْ بِالشَّعْرِ أَيُّهَا لَا أَدْرِي
 حَادِثَةً غَرِيبَةً مَا هِيَ بِالْمَكْذُوبَةِ

أَنْقَلَبَهَا مُمْتَلَةً مُجَمَّلَةً مُفَصَّلَةً
كَمَا جَرَتْ أُمَامِي فِي قَرْيَةٍ بِالشَّامِ

وَذَاكَ أَنْ ذِيبًا مُسْتَضَخَّمًا مَهِيبًا
طَرَفَهَا أَصِيلًا يَبْغِي بِهَا مَقِيلًا
فَخَرَجَ الرُّجَالُ إِلَيْهِ وَالْأَطْفَالُ
فِي هَرَجٍ وَمَسْرَجٍ وَجَبِّ مُمْتَزَجٍ (١)
أَتَاهُمُ الْإِنْبَاءُ مَبَاغِتًا فَجَاؤُوا
عُزْلًا بِلا سِلَاحٍ يُرْجَى سِوَى الصِّيَاحِ
وَوَقَّفُوا بَعِيدًا يُنْفَرُونَ السَّيِّدَا (٢)
وَأَنْتَضَمُوا هَلَالًا لِيُقْفِلُوا الْمَجَالَا
فَأَمْتَنَعَ الدُّخُولُ عَلَيْهِ وَالْقُفُولُ
فَهُوَ أَمَامَ سُورٍ يَمْشِي مِنَ الْخُضُورِ
وَوَخَلْفَهُ هِضَابُ شَوَامِخٍ صِعَابُ
وَلَمْ يُجَاوِزْ هَرَبًا مِنْ حَيْثُ كَانَ كَلْبًا
عَيْنَاهُ شُعْلَتَانِ يَرْتَمِحُ كَالسُّكْرَانِ
مُنْتَقِلًا عَلَى مَهَلٍ كَالظِّلِّ فِي مَفْحِ الْجَبَلِ

(١) لجب : ضجيج (٢) السيد : الذئب

وَبَيْنَمَا الْجُمْهُورُ حَيْرَانٌ مُسْتَطِيرٌ
دَائِرَةٌ مُشْتَبِكَةٌ فِي سَكْنَةٍ وَحَرَكَهٌ
كَالْبَحْرِ ذِي الْهَيَاجِ فِي مَكْسِرِ الْأَمْوَاجِ
طَوْرًا وَطَوْرًا جَامِدٌ كَالْمَاءِ وَهُوَ رَاكِدٌ
كُلُّ يَقُولُ مَا الْعَمَلُ لِصَدِّهِ، وَمَا الْحَيْلُ؟
إِذِ انْبَرَى شُجَاعٌ تَرَهَّبُهُ السَّبَاعُ
كَانَ اسْمُهُ «أَدِيْبًا» وَبَأْسُهُ عَجِيْبًا
بَدَأَ مِنَ الْجُمْهُورِ بِمَظْهَرِ الْأَمِيرِ
وَسَارَ نَحْوَ الذِّيبِ بِكِبَرٍ غَرِيبِ
يَمْشِي وَلَا يُبَالِي كَالْأَسَدِ الرَّثْبَالِ
يَدِقُّ وَهُوَ نَائٍ فِي عَيْنِ كُلِّ رَائٍ (١)
وَالرَّوْعُ فِي تَعَاظِمِ وَالْخَطْبُ فِي تَفَاقُمِ
حَتَّى إِذَا مَا اقْتَرَبَا مِنْهُ عَوَى وَاضْطَرَبَا
وَنَبَّهَ الْأَضْدَاءَ فَاْمْتَلَأَتْ عُوَاءُ
ثُمَّ مَشَى ثُمَّ جَرَى مُسْتَقْبَلًا وَمُدْبِرًا
مُسَاوِرًا مُقَاتِلَةً مُدَارِيًا مُقَاتِلَةً (٢)
مُحَاوِلًا مُخْتَرِسًا مُصَاوِلًا مُخْتَلِسًا

(١) يدق : يصغر (٢) مساوياً : مجاولاً

وَالشَّمْسُ فِي شُحُوبٍ هُنَيْهَةً الْفُرُوبِ
 وَالنَّاسُ فِي تَخَوُّفٍ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ
 يَرَوْنَ تَحْوَجَ الْجَبَلِ ظِلِّينِ فِي تَنْقَلٍ
 حِينًا عَلَى تَلَاقِي ثُمَّ عَلَى افْتِرَاقِ
 ثُمَّ عَلَى اشْتِبَاكِ ثُمَّ عَلَى انفِكَاكِ
 وَبَيْنَمَا هُمْ فِي هَلَعٍ إِذْ سَمِعُوا صَوْتًا صَدَعٍ
 فَصَكَ فِي الْأَذَانِ كَطَرَقَةِ السِّنْدَانِ
 ثُمَّ عَوَاءٌ مُرْعِجًا مُطَرِّدًا مُرْجِرًا
 ثُمَّ عَوَاءٌ أَضْعَفًا مُقَطَّعًا مُخَطِّفًا
 وَأَبْصَرُوا الذَّنْبَ جَرَى إِلَى بَعِيدٍ مُدْبِرًا
 ثُمَّ سَجَا ثُمَّ التَوَى وَسَارَ شَوْطًا وَهَوَى (١)

وَعَادَ مِنْ سَفْحِ الْجَبَلِ «أَدِيبُ» عَوْدَةَ الْبَطْلِ
 وَهُوَ كَلِيلٌ مُتَعَبٌ بِدَمِهِ مُخَضَّبٌ
 حِذَاوُهُ مُشَقُّقٌ وَتَوْبُهُ مُمَزَّقٌ
 وَقَالَ أَجْهَزْتُ وَلَا فَخَرَ عَلَى كَلْبِ الْفَلَا
 فَهَنَّاوُهُ فَرَحًا وَأَمْطَرُوهُ مِدْحًا

(١) سجا : هدا

وَدَرَجَ الْأَطْفَالُ كَانَهُمْ أَجْجَالُ
 فَرَجَعُوا بِالسَّيِّدِ فِي مَشْهَدِ مَشْهُودِ
 وَعَلَتِ الْأَصْوَاتُ وَرُفِعَتِ رَايَاتُ
 وَطِيفَ فِي الْأَسْوَاقِ بِهِ عَلَى انْتِسَاقِ
 ثُمَّ رَمَوْا فِي خَنْدَقِ بِشِلْوِهِ الْمُفْلَقِ (١)
 فَجَاءَهُ الْكِلَابُ عَصَائِبًا تَنْتَابُ
 فَأَبْتَلِيَتْ بِالذَّاءِ وَعَمَّ كَالْوَبَاءِ
 فَجَزِعَ الشُّكَّانُ وَانْقَطَعُ الْأَمَانُ
 وَاحْتَجَبَ الْآبَاءُ وَاحْتَبَسَ الْأَبْنَاءُ
 وَامْتَنَعَ الذَّهَابُ فِي السُّوقِ وَالْإِيَابُ
 وَالْأَخْذُ وَالْعَطَاءُ وَالْبَيْعُ وَالشَّرَاءُ
 فَبِتَّ الْجُنُودُ تَرْقُبُ وَتَرُودُ
 فَأَفْنَوْا الْكِلَابًا وَسَكَّنُوا الْأَثْبَابَا

كَانَتْ مِنْ الشُّهُودِ فِي الْمَوْقِفِ الْمَشْهُودِ
 يَوْمَ هَلَكَ الذَّبِيبِ عَلَى يَدَيْ «أَدِيبِ»
 فِتْيَةٌ عَذْرَاءُ جَمِيلَةٌ غَرَاءُ

(١) شلوه: جسده

طَاهِرَةٌ الْفُؤَادِ عَفِيفَةٌ الْوِدَادِ
 قَوَامُهَا كَالرَّندِ وَخَدُّهَا كَالْوَرْدِ
 وَعَيْنُهَا الزَّرْقَاءُ تَحْسُدُهَا السَّمَاءُ
 كَانَتْ لَهُ خَطِيبَةٌ يَدْعُونَهَا « لَبِيبَةٌ »
 وَكَانَ مَوْعِدُ الزَّفَا فِي أَرْبَعِينَ خَالِيَةً
 فِي أَرْبَعِينَ خَالِيَةً مِنْ اللَّيَالِي التَّالِيَةِ
 يَغْدُو « أَدِيبٌ » بَعْلَهَا فَهِيَ لَهُ وَهِيَ لَهَا
 لَمَّا رَأَتْهُ أَقْدَمَا مُسْتَبْسِلًا مُقْتَحِمًا
 وَرَاحَ يَلْتَقِي « السَّيِّدَا » مُنْفَرِدًا وَحِيدًا
 هَمَّتْ بِأَنْ تَتَّبِعَهُ رَجَاءً أَنْ تَمْنَعَهُ
 أَوْ أَنْ تُمِيتَ السَّبْعَا أَوْ يَهْلِكَ إِذَنْ مَعَا
 عَدَتْ وَلَمْ تُبَالِ فَاسْتَوْقَفَتْ فِي الْحَالِ
 فَلَبِثَتْ تَنْتَظِرُ وَقَلْبُهَا مُنْفَطِرُ
 مَشْغُولَةٌ مُضْطَرِبَةٌ تَدْعُو لَهُ بِالْغَلْبَةِ
 حَتَّى رَأَتْ مَرْجِعَهُ وَقَدْ قَضَى مَطْمَعَهُ
 مُفْتَخِرًا مُدِلًّا مُعْظَمًا مُعَلِّ
 فَجَدَلَتْ كَثِيرًا حَتَّى بَكَتْ سُرُورًا

(١) أَرْف : قَرَب

وَأُقْبَلَتْ عَلَيْهِ وَضَمَدَتْ جُرْحِيهِ
فَلَزِمَ الْبَيْتَ وَفِي يَوْمَيْنِ بَعْدَهَا شُنِي
وَبُدِيَءُ الْإِعْدَادُ لِفَرَحٍ يُجَادُ
فَهَيَّأُوا الْمَلْبُوسَا وَجَهَّزُوا الْعُرُوسَا
وَأَشْتَرُوا الْخُرَيْرَا وَأَتَقَنُوا السَّرِيرَا
وَاجْتَمَعَ الْجِيرَانُ وَالْأَهْلُ وَالْخِلَانُ
فِي مَنْزِلِ الْخَلِيلِ بِمَحْفَلِ جَلِيلِ
يَوْمَ الثَّمَانِي وَالْثَلَاثِيْنَ لِإِهْدَاءِ الْخَلِي
جَرِيًّا عَلَى الْمُعْتَادِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ
فَقِرْقَةٌ نِسَاءً فِي الرَّقْصِ وَالْعِنَاءِ
وَفِرْقَةٌ الشُّبَّانِ فِي الشُّرْبِ وَالتَّهَانِي
وَبَيْنَمَا هُمْ فِي فَرَحٍ وَلَا مَظَنَّ لِلتَّرَخِ
إِذِ اشْتَكَى «أَدِيبُ» حَرَارَةَ تَذِيبِ
وَقَامَ بَارْتِعَاشِ فَوْرًا إِلَى الْفِرَاشِ
فَاسْتَوْصَفُوا دَجَالَا بِطِبِّهِ مُحْتَالَا
فَجَسَّ نَبْضَ السَّاعِدِ جَسَّ الْحَكِيمِ الرَّاشِدِ
وَخَطَّ رَسْمًا مِنْهُمَا عَقْرَبَةً وَأَعْجَمًا
وَجَاءَهُ فِي غَدِهِ بِبِدْعٍ لَمْ تُجَدِهِ

وَكَرَّرَ الْعِيَادَةَ لَهُ بِإِفَادَةٍ
 يُنْقَدُ فَوْزاً أَجْرَهُ ثُمَّ يُؤَلَّى ظَهْرَهُ
 وَالضَّعْفُ فِي ازْدِيَادِ وَالذَّاءُ فِي اسْتِدَادِ
 وَهُوَ يَقُولُ لَا مَرَضٌ وَإِنَّمَا هَذَا عَرَضٌ
 حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ سَجَا نَامَ «أَدِيبٌ» مُرْجَعًا
 وَكَانَ لَيْلَ الْعُرْسِ لَيْلَ ابْتِهَاجِ الْأَنْفُسِ
 فِي غَدِهِ الزَّفَافُ وَالْعَرْفُ وَالطَّوَّافُ
 فَالنَّاسُ فِي سُرُورِ لِلْبَاسِلِ الْمَشْهُورِ
 وَالخَيْلُ فِي اسْتِعْدَادِ وَالرَّكْبُ فِي تَنَادِي (١)
 وَكُلُّ ذِي مَكَانٍ وَكُلُّ ذَاتِ شَانٍ
 فِي أَهْبَةِ الْمَسِيرِ بِالْمَوْكِبِ الْكَبِيرِ
 يَمْهَدُونَ لِلْغَدِ وَالْمَوْتُ تَمْدُودُ الْيَدِ

وَإِذْ مَضَى قَلِيلُ تَنَبَّهَ الْعَلِيلُ
 كَقِطْعَةِ الْحَدِيدِ فِي اللَّهَبِ الشَّدِيدِ
 فَهَبَّ يُرْغِي مُزْبِداً وَقَدْ تَجَافَى الْمَرْقِداً
 وَاضْطَرَمَّتْ عَيْنَاهُ وَاضْطَرَبَتْ أَحْشَاهُ

(١) تنادي : ينادي بعضهم بعضاً

وَشُنَّجَتْ أَغْصَابُهُ وَبَرَزَتْ أَنْبَاءُهُ
 فَمَزَّقَ الْكِسَاءَ وَبَعَثَ الْأَشْيَاءَ
 وَكَسَّرَ الزُّجَاجَا وَأَطْفَأَ السَّرَاجَا
 ثُمَّ مَضَى عُرْيَانَا لَا يَهْتَدِي مَكَانَا
 كَالسَّبْعِ الْمُسْتَوْحِشِ يَعْوِي بِصَوْتِ رَعِشِ
 يَسْقُطُ أَنَا وَيَقِفُ يَسْكُنُ ثُمَّ يَرْتَجِفُ
 يَسْتَنْبِحُ الْكِلَابَا وَيَقْرَعُ الْأَبْوَابَا
 يُصَدِّعُ النَّيَامَا وَيُنْزِعُ الْقِيَامَا

وَأَرِقَتْ «لَيْبِيَه» لَا تَعْلَمُ الْمُصِيبَةَ
 تَفَكَّرُ فِي اسْتِكْمَالِ مَظَاهِرِ الْجَمَالِ
 وَتُفَلِّقُ الْمَرَأَى بِكَثْرَةِ التَّرَائِي
 تَأْوِي إِلَى مَرَقَدِهَا مَشْغُولَةً بِغَدِهَا
 حَتَّى إِذَا مَا ذَكَرَتْ أَمْرًا جَدِيدًا نَفَرَتْ
 تُجَرَّبُ الْحِذَاءَ أَوْ تُصْلِحُ الْكِسَاءَ
 ثُمَّ تَعُودُ مُتَعَبَةً إِلَى السَّرِيرِ مُوَصَّبَةً
 يَرُوحُ أَمْرٌ وَيَجِي فِي فِكْرِهَا الْمُخْتَلِجِ
 تَقُولُ جَدَلِي بَأَكِيهَ خَائِفَةٌ وَرَاجِيهَ :

رَبِّي أَلْقَاهُ غَدَاً بِجَانِبِي فَاسْتَعَدَا ؟
 وَكَيْفَ يَأْتِي مَضْجَعِي لَا أَحَدٌ فِيهِ مَعِي ؟
 وَمَا الَّذِي يَمْخُلُو لَهُ مِنِّي أَنْ أَقُولَهُ ؟
 «أَدِيبُ» يَا فَخْرَ الصَّبَا كُنْ لِي بَعْلًا وَأَبَا
 يَا أَبْسَلَ الشُّجْعَانَ وَأَفْرَسَ الْفُرْسَانَ
 أَمِيرَهُمْ فِي الْحَرْبِ وَخَيْرَهُمْ فِي الْحُبِّ
 أَهْوَاكَ مَوْلَايَ وَلَا أَهْوَى سِوَاكَ رَجُلَا
 إِنِّي غَدَاً أَوْ أُقْتَلَا أَسْعَدُ مَنْ تَأَهَّلَا

وَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ وَزُمَرَةٌ الْخُرَّاسِ
 قَدْ سَخَلُوا «أَدِيبَا» بِدَمِهِ خَضِيبَا
 يَتَّبِعُهُمْ جُمْهُورٌ
 كُلُّ يَقُولُ مَا بِهِ يَسْأَلُ عَنْ مُصَابِهِ
 فَصَاحَ شَيْخٌ فِي اللَّجَبِ إِنَّ بِهِ دَاءَ الْكَلْبِ
 وَهُوَ شَدِيدُ الصَّرْعِ غَيْرُ طَوِيلِ النَّزْعِ
 فَمَوْتُهُ قَرِيبٌ وَيَنْتَهِي التَّعْدِيبُ

فَقِيدُوهُ عَجَلًا فِي غُرْفَةٍ مُنْعَزِلَا

وَكَانَ وَهُوَ نَائِرٌ إِذَا أَنَاهُ زَائِرٌ
كَثَّرَ عَنْ أَضْرَاسِهِ وَهَمَّ بِأَفْتِرَاسِهِ
وَأَرْسَلُوا مَنْ أَخْبَرَا «لَبِيْبَةٌ» بِمَا جَرَى
فَأَقْبَلَتْ مُنْكَشَّةً مَذْعُورَةً مُرْتَعِشَةً (١)
وَدَخَلَتْ مُجْتَرِئَةً غُرْفَتَهُ مُخْتَبِئَةً
وَكَانَ فِي سُكُونٍ مِنْ ثَوْرَةِ الْجُنُونِ
مُسْتَغْرِبَ الْقَيْودِ يَعْبَثُ بِالْحَدِيدِ
فَابْتَسَمَتْ تَكَلُّفًا وَهِيَ تَمُوتُ كَلْفًا
فَهَشَّ مَسْرُورًا بِهَا وَبَشَّ حِينَ قُرْبِهَا
كَالْأَسَدِ الْمَرِيضِ مُلْقَى عَلَى الْحَضِيضِ
عَادَتُهُ بِالْعَرِيْنِ إِحْدَى الطَّبَّاءِ الْعَيْنِ
سَارِحَةً حِيَالَهُ مَارِحَةً مُخْتَالَهُ
وَهِوَ إِلَيْهَا رَائِي يَفْتَرُ كَالْجَذْلَانِ (٢)
ظَلَّ قَلِيْلًا يَبْسِمُ يُضْفِي وَلَا يُكَلِّمُ
ثُمَّ شَكَأَ ثُمَّ زَفَرَ ثُمَّ بَكَى ثُمَّ فَرَغَ
وَعَضَّهَا فِي صَدْرِهَا وَرَأْسِهَا وَنَحْرَهَا
فَلَمْ تُمَحَاوِلِ الْمَرْبَ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْغَضَبِ

(١) منكشة : مسرعة (٢) راني : ناظر بتأمل . يفتد : يتنسم

وَعَرَّضَتْ حَيَاتَهَا مُؤَثَّرَةً مَمَاتَهَا
فَظَلَّ فِي إِيْلَامِهَا وَهِيَ عَلَى اسْتِسْلَامِهَا
حَتَّى تَوَلَّى عُنُقَهَا بِالْيَدِ يَبْنِي خَنْقَهَا

فَاسْتَصْرَخَتْ مِنَ الْوَجَعِ وَبَعْدَهَا الصَّوْتُ انْقَطَعَ
فَأَبْصَرُوهَا هَامِدَةً بَيْنَ يَدَيْهِ بَارِدَةً
نَمَّ صَحَاً وَأَدْرَكَ مَا قَدْ جَنَاهُ فَبَكَى
وَصَاحَ يَا لِلنَّاسِ لِحِسْرَتِي وَيَاسِي !
وَيَا لِهَذَا الْعَارِ مَنْ مَحْرِقِي بِالنَّارِ !
يَا قُرَّةَ النَّوَاطِرِ وَبَهْجَةَ الْخَوَاطِرِ
لَا تَسْتَطِيرِي جَزَعًا إِنِّي آتٍ مُسْرِعًا
الْيَوْمَ يَوْمٌ عُرْسِنَا وَالْمُلْتَقَى فِي رَمْسِنَا
نَمَّ هَوَى مُعْفَرًا وَمَاتَ مَوْتًا مُنْكَرًا
فَشِيعَ الزَّوْجَانِ فِي شَكْلِ مِهْرَجَانِ
وَمُنْتَهَى السَّرَاءِ كَمُنْتَهَى الضَّرَاءِ
لَمْ يَسْعِدَا فِي الْعُمْرِ فَسَعِدَا فِي الْقَبْرِ

رَاحَ فِدَاءَ فَضْلِهِ وَاسْتَبَسَلَتْ لِأَجْلِهِ
كَلَاهُمَا شَهِيدُ وَمَوْتُهُ حَمِيدُ

رثاء

السيد محمد وفاء زغلول

كان أمين المكتبة الحديوية ، وكان صدره يسع ما في خزائنها من كتب اللغة والفقہ والفلسفة . وكان كاتباً شاعراً ، زاخر الفكر ، رجب الصدر . ولكنه لم يتوخ الشهرة عمره ، فلم يكن غير نقر من الاخوان يعرفون قدره ويقتبسون من كنز معارفه . وقد توفي الى رحمة ربه عن صحائف لو نشرت لجعلته بين الأولين من أدباء العصر

فَتَى خَبِثَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَطَابَا فَعَاشَ مُعَاقِبًا وَقَضَى مُثَابَا
وَفِي الأَجْدَاثِ مُتَّسِعٌ لِفَضْلِ إِذَا ضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا رِحَابَا
وَمَا سَاءَتْكَ ظَالِمَةٌ وَكَانَتْ بِمَا سَاءَتْ تُعِدُّ لَكَ الثَّوَابَا
وَلَمْ تَعْتَدَّهَا دَارًا مُخْلِجًا فَتَجْزَعُ مُزْمِعًا عَنْهَا اغْتِرَابَا
وَسَرَّكَ هَجْرُهَا مِمَّا تَجَنَّتْ وَقَدْ قَمِنَ الرَّدَى أَنْ يُسْتَطَابَا
وَكُنَّا بِالَّذِي أَرْضَاكَ نَرْضَى لَوْ أَنَّ البَيْنَ لَا يُشْقِي الصَّحَابَا
بَكُوا مِنْكَ الوَفَاءَ وَكُنْتَهُ اسْمًا وَفِعْلًا وَاکْتِسَابًا وَانْسَابَا
هُمْ يَبْكُونَ وَالمَبْكِيُّ فِيهِمْ غَرِيبٌ لَا جَوَابَ وَلَا خِطَابَا
فَمَنْ أَعْيَا لِسَانَكَ عَنْ بَيَانِ وَالزَّمْ نَصْلَ هَمَّتِكَ القِرَابَا ؟
وَلَمْ تَكُ فَاعِلًا إِلَّا جَمِيلًا وَلَمْ تَكُ قَائِلًا إِلَّا صَوَابَا
أَلَا فِي ذِمَّةِ الرَّحْمَنِ مَاضٍ تَيَسَّمَتِ الفَضَائِلُ حِينَ غَابَا

فَتَى جَمَعَ الصِّفَاتِ الْغُرَّ فِيهِ وَكَانَ لَهَا تَوَاضُعُهُ نِقَابًا
 ضَنِينٌ أَنْ تَرَاهَا عَيْنُ ظَنٍّ وَتَكْشِفَ رَيْبَةً عَنْهَا الْحِجَابَا
 وَيَضْطَحِبُ الْكِرَامَ عَلَى صَفَاءِ وَلَكِنْ يُؤَثِّرُ الْكُتُبَ اضْطِحَابَا
 فَيَا أَسْفًا عَلَى عَقْلِ كَبِيرٍ تَجَاوَزَ دُونَ صَاحِبِهِ الشَّبَابَا

وداع وسلام

براح مصر ولقاء الشام

الوداع

وَأَيْسَلَةٌ رَائِقَةٌ الْبَهَاءِ مَشُوبَةٌ الظَّلَامِ بِالضِّيَاءِ (١)
 أَشْبَهُ بِالْجَارِيَةِ الْغَرَاءِ فِي حُلَّةٍ شَفَافَةٍ سَوْدَاءِ
 بَادٍ بِجَمَالِهَا عَلَى الْخَفَاءِ سَكْرَى مِنَ النَّسِيمِ وَالْأَنْدَاءِ
 جَرَّتِ الْفُلُكُ عَلَى الدَّمَاءِ خَاقِقَةً الْفُؤَادِ بِالرَّجَاءِ (٢)
 خَفِيفَةً كَالظَّلِّ فِي الْإِسْرَاءِ تُبْدِي افْتِرَارًا فِي ثُغُورِ الْمَاءِ (٣)
 كَأَنَّمَا طَرِيقُهَا مَرَائِي وَالشَّهْبُ فِيهَا أَعْيُنُ رَوَائِي

(١) مشوبة : ممزوجة (٢) الدماء : البحر (٣) افتتاراً : تبسما

كَأَنَّهَا فِي سَعَةِ الْفَضَاءِ جَنَازَةٌ لِمَيِّتِ الْأَحْيَاءِ
 بِمَشْهَدٍ مِنْ عَالَمِ الْأَضْوَاءِ فِي مُتَرَاءَى الْبَحْرِ وَالسَّمَاءِ
 يَحْمِلُهَا الْمَوْجُ عَلَى الْوَلَاءِ وَالرِّيْحُ تَحْدُوهَا بِلَا حُدَاءِ ^(١)
 كَأَنَّهَا الْأَسْمَاعُ فِي الْأَحْشَاءِ وَالذَّهْرُ فِي سَكِينَةِ الْإِضْفَاءِ
 يَا مِصْرُ دَارِ السَّعْدِ وَالْمَنَاءِ وَمَهْبِطِ الْأَسْرَارِ وَالْإِيحَاءِ
 عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْمَحِبِّ النَّائِي سَلَامٌ قَلْبٍ ثَابِتِ الْوَلَاءِ
 يَهْوَاكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

السلام

هَذِي رُؤُوسُ الْقِمَمِ الشَّمَاءِ نَوَاحِضًا بِالْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ
 نَوَاصِعَ الْعَمَائِمِ الْبَيْضَاءِ رَوَائِعَ الْمَنَاطِقِ الْخَضْرَاءِ
 يَا حُسْنَ هَذِي الرَّمْلَةِ الْوَعْسَاءِ وَهَذِهِ الْأُودِيَّةِ الْفَنَاءِ
 وَهَذِهِ الْمَنَازِلِ الْخُمْرَاءِ رَاقِيَةً مَعَارِجَ الْعَلَاءِ
 وَهَذِهِ الْخُطُوطِ فِي الْبَيْدَاءِ كَأَنَّهَا أُسْرَةُ الْعَذْرَاءِ
 وَذَلِكَ التَّدْبِيحِ فِي الصَّحْرَاءِ مِنْ كُلِّ رَسْمٍ بَاهِرٍ لِلرَّائِي
 وَهَذِهِ الْمِيَاهِ فِي الصَّفَاءِ أَنَا وَفِي الْإِزْبَادِ وَالْإِرْغَاءِ
 تَنَسَّابُ فِي الرَّوْضِ عَلَى التَّوَاءِ خَفِيَّةً ظَاهِرَةً الْإِلَاءِ

(١) الولاء : التوالى

وَنَسَمَ قَوَاتِلِ لِدَاءِ يَشْفِينِ كُلَّ فَاقِدِ الشِّفَاءِ
وَمَعَشَرِ كَأَنْجُمِ الْجُوزَاءِ يَلْتَمِسُونَ سُرَّةَ الْمَاءِ
فِي مَلْعَبِ اللَّطِيبِ وَالْهُوَاءِ وَمَرْتَعِ النَّفْسِ وَالْأَهْوَاءِ
وَمَبْعَثِ لِلْفِكْرِ وَالذِّكَاةِ وَمُنْتَدَى لِشَعْرِ وَالْغِنَاءِ

يَا وَطَنًا نَفْدِيهِ بِالدِّمَاءِ وَالْأَنْفُسِ الصَّادِقَةِ الْوَلَاءِ
مَا أَسْعَدَ الظَّافِرَ بِاللِّقَاءِ وَالْقُرْبَ بَعْدَ الْهَجْرِ وَالْجَلَاءِ
إِنْ أَكُّ بَاكِيًا مِنَ السَّرَاءِ فَإِنَّ طَوْلَ الشَّوْقِ فِي التَّنَائِي
أَلْفَ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْبُكَاءِ

قلعة بعلبك

تذكار صبي

هَمْ فَجَرُ الْحَيَاةِ بِالْإِدْبَارِ فَإِذَا مَرَّ فَنِي فِي الْآثَارِ
وَالصَّبِيِّ كَالْكُرَى نَعِيمٌ وَلَكِنْ يَنْقُضِي وَالْفَتَى بِهِ غَيْرُ دَارِي (١)
يَنْغَمُّ الزُّرَّ عَيْشُهُ فِي صِبَاهُ فَإِذَا بَانَ عَاشَ بِالتَّذْكَارِ (٢)

(١) الكرى : النوم (٢) بان : زال

إِيهِ آثَارَ « بَعْلَبِكَ » سَلَامٌ بَعْدَ طُولِ النَّوَى وَبُعْدِ الْمَزَارِ
وَوُقِيَتِ الْعَفَاءُ مِنْ عَرَصَاتِ مُقَوِيَاتِ أَوَاهِلِ بِالْفَخَارِ ^(١)
ذَكَرَنِي طُفُولَتِي وَأَعِيدِي رَسْمَ عَهْدٍ عَنْ أَعْيُنِي مُتَوَارِي
مُسْتَطَابِ الْحَالَيْنِ صَفْوًا وَشَجْوًا مُسْتَحَبِّ فِي النَّفْعِ وَالْإِضْرَارِ
يَوْمَ أَمَشِي عَلَى الطُّلُولِ السَّوَابِجِي لَا افْتِرَارَ فِيهِنَّ إِلَّا افْتِرَارِي ^(٢)
نَزَقًا بَيْنَهُنَّ غِرًّا لَعُوبًا لَاهِيًا عَنْ تَبْصُرٍ وَاعْتِبَارِ
مُسْتَقِلًّا عَظِيمَهَا مُسْتَخِفًّا مَا بِهَا مِنْ مَهَابَةٍ وَوَقَارِ
يَوْمَ أَخْلُو « بِهِنْدَ » نَلَهُو وَنَزَهُو وَالْهَوَى بَيْنَنَا أَلِيفٌ مُجَارِي
كَفَرَّاشِ الرِّيَاضِ إِذْ يَنْبَارِي مَرَحًا مَا لَهُ مِنْ اسْتِقْرَارِ
نَلْتَقِي تَارَةً وَنَشْرُدُ أُخْرَى كُلُّ تَرَبٍ فِي مَحَبٍّ مُتَدَارِي
فَإِذَا الْبُعْدُ طَالَ طَرْفَةَ عَيْنِي حَتَّى الشَّوْقُ مُؤْذِنًا بِالْبِدَارِ
وَعِدَادَ اللَّحَاطِ نَصْفُو وَنَشَقِي بِجَوَارِ فَرْقَةٍ فَجَوَارِ
لَيْسَ فِي الدَّهْرِ مَحْضٌ سَعْدٍ وَلَكِنْ تَلِدُ السَّعْدَ مِحْنَةُ الْأَكْدَارِ
كَلَّمَا نَلْتَقِي اعْتَنَقْنَا كَأَنَّا جِدُّ سَفَرٍ عَادُوا مِنْ الْأَسْفَارِ ^(٣)
قُبَلَاتٌ عَلَى عَفَافٍ تُحَاكِي قُبَلَاتِ الْأَنْدَاءِ وَالْأَسْحَارِ
وَاشْتَبَاكَ كَضْمِ غُضْنِ أَخَاهُ وَكَلَّمِ النُّوَارِ لِلنُّوَارِ

(١) عرصات : ديار . مقويات : خاليات من السكان (٢) افتزار : ابتسام

(٣) جد سفر : مسافرون حقيقيون

قَلْبُنَا طَاهِرٌ وَلَيْسَ خَلِيًّا ، أَطَهَرَ الْحَبِّ فِي قُلُوبِ الصُّغَارِ
كَانَ ذَاكَ الْهُوَى سَلَامًا وَبَرْدًا فَاعْتَدَى حِينَ شَبَّ جَذْوَةَ نَارِ
حَبْدًا «هِنْدُ» ذَلِكَ الْعَهْدُ لَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى الرَّدَى وَالْبَوَارِ
هَدَّ عَزَمِي النَّوَى وَقَوَّضَ جِسْمِي فَدَمَارٌ يَمْشِي بِدَارِ دَمَارِ

خَرِبُ حَارَتِ الْبَرِيَّةِ فِيهَا فِتْنَةُ السَّامِعِينَ وَالنُّظَّارِ
مُعْجَزَاتٌ مِنَ الْبِنَاءِ كِبَارٌ لِأَنَاسٍ مِثْلُ الزَّمَانِ كِبَارِ
أَلْبَسَهَا الشُّمُوسُ تَقْوِيفَ دُرٍّ وَعَقِيقِ عَلَى رِدَاءِ نُضَارِ
وَتَحَلَّتْ مِنَ اللَّيَالِي بِشَامَا تِ كَتَنَقِيطِ عَنَبٍ فِي بَهَارِ
وَسَقَاهَا النَّدَى رَشَاشَ دُمُوعِ شَرِبَتْهَا ظَوَائِمُ الْأَنْوَارِ
زَادَهَا الشَّيْبُ حُرْمَةً وَجَلَالًا تَوَجَّهَهَا بِهِ يَدُ الْأَعْصَارِ
رُبَّ شَيْبٍ أَيْمٌ حُسْنًا وَأَوْلَى وَاهِنَ الْعِزْمِ صَوْلَةَ الْجَبَّارِ
مَعْبَدٌ لِلْأَسْرَارِ قَامَ وَلَكِنْ صُنْعُهُ كَانَ أَعْظَمَ الْأَسْرَارِ
مِثْلَ الْقَوْمِ كُلِّ شَيْءٍ عَجِيبِ فِيهِ تَمَثِيلَ حِكْمَةٍ وَاقْتِدَارِ
صَنَعُوا مِنْ جَمَادِهِ ثَمْرًا يُجْنِي وَلَكِنْ بِالْعَقْلِ وَالْأَبْصَارِ
وَضُرُوبًا مِنْ كُلِّ زَهْرٍ أَنْبِقِ لَمْ تَفْتَحْهَا نَضَارَةُ الْأَزْهَارِ
وَشُمُوسًا مُضِيئَةً وَشِعَاعًا بِأَهْرَاتٍ لَكِنَهَا مِنْ حِجَارِ

وَطُيُورًا ذَوَاهِبًا آيَاتِ خَالِدَاتِ الْغُدُوِّ وَالْإِبْكَارِ (١)
 فِي جِنَانٍ مُعَلَّقَاتِ زَوَاهِ بِصُنُوفِ النُّجُومِ وَالْأَنْوَارِ (٢)
 وَأُسُودًا يُخْشَى التَّحَفُّزُ مِنْهَا وَيَرُوعُ الشُّكُوتُ كَالزَّرَّارِ (٣)
 عَابِسَاتِ الْوُجُوهِ غَيْرَ غِضَابِ بَادِيَاتِ الْأَنْيَابِ غَيْرَ ضَوَارِي
 فِي عِرَانِيْنَهَا دُخَانٌ مُتَارٌ وَبِالْحَظَاهِمَا سَيُولُ شَرَارِ (٤)
 تِلْكَ آيَاتُهُمْ وَمَا بَرِحَتْ فِي كُلِّ آتٍ رَوَائِعِ الزُّوَارِ
 ضَمَّهَا كُلُّهَا بَدِيعُ نِظَامٍ دَقَّ حَتَّى كَانَهَا فِي انْتِشَارِ
 فِي مَقَامٍ لِلْحُسْنِ يُعْبَدُ بَعْدَ الْعَقْلِ فِيهِ وَالْعَقْلُ بَعْدَ الْبَارِي
 مِنْتَهَى مَا يُجَادُ رَشْمًا وَأَبْهَى مَا تَمُجُّ الْقُلُوبُ فِي الْأَنْظَارِ

أَهْلَ «فِينِيْقِيَا» سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَوْمَ تَفَنَّى بَقِيَّةُ الْأَذْهَارِ
 لَكُمْ الْأَرْضُ خَالِدِينَ عَلَيْهَا بِعَظِيمِ الْأَعْمَالِ وَالْآثَارِ
 خُضِّمُ الْبَحْرَ يَوْمَ كَانَ عَصِيًّا لَمْ يُسَخَّرْ لِقُوَّةٍ مِنْ بُحَارِ
 وَرَكِبْتُمْ مِنْهُ جَوَادًا حَرُونًا قَلِقًا بِالْمَرَسِ الْمِنْوَارِ
 إِنْ تَمَادَى عَدُوًّا بِهِمْ كَبْحُوهُ وَأَقَالُوهُ إِنْ كَبَا مِنْ عِثَارِ
 وَإِذَا مَا طَفَى بِهِمْ أَوْشَكُوا أَنْ يَأْخُذُوا لَاعِبِينَ بِالْأَقْمَارِ
 غَيْرُ صَعْبٍ تَخْلِيدُ ذِكْرٍ عَلَى الْأَرْضِ ضِ لِيَنَّ خَلْدُهُ فَوْقَ الْبِحَارِ

(١) الغدو: الإنتقال (٢) النجوم: الأنبتة التي لا سوق لها والأزهار
 (٣) الزرار: صوت الأسد (٤) عرانيها: آناها

شَيَّدُوها لِلشَّمْسِ دَارَ صَلَاةٍ وَأَتَمَّ «الرُّومَانُ» حَلَى الدَّارِ
 هُمْ دُعَاةُ الفَّلَاحِ فِي ذَلِكَ العَصْرِ وَأَهْلُ العُمَرَانِ فِي الأَمْصَارِ
 نَحَتُوا الرَّاسِيَّاتِ تَحْتَ صُخُورٍ وَأَبَانُوا دَقَائِقَ الأَفْكَارِ
 وَأَجَادُوا الدُّمَى فَجَازَ عَلَيْهِمُ أَنَّهُا الأَمِرَاتُ فِي الأَقْدَارِ (١)
 سَجَدُوا لِلَّذِي لَهُمُ صَنَعُوهُ سَجَدَاتِ الإِجْلَالِ وَالإِكْبَارِ
 بَعْدَ هَذَا ، أَغَايَةُ فُتْرَجِي لِتَمَامِ ، أَمْ مَطْمَعٌ فِي افْتِخَارِ ؟

نَظَرَتْ «هِنْدُ» حُسْنَهُنَّ فَعَارَتْ ، أَنْتِ أُمَّهِي يَا هِنْدُ مِنْ أَنْ تَعَارِي
 كُلُّ هَذِي الدُّمَى الَّتِي عَبَدُوها لَكَ يَا رَبَّةَ الجَمَالِ جَوَارِي

العصفور

كُنَّا وَقَدْ أَزِفَ المَسَاءُ نَمشي الهَوِينَا فِي الخَلَاءِ
 تَمَلِّينِ مِنْ خَمْرِ الهَوَى طَرِبِينَ مِنْ نَعْمِ الهَوَاءِ
 مُتَشَاكِينِ هُمومَنَا وَكثِيرُهَا مَحْضُ اشْتِكَاءِ
 حَتَّى إِذَا عُدْنَا عَلَى صَوْتِ المُوَدِّنِ بِالعِشَاءِ
 سِرْنَا بِجَانِبِ مَنزِلِ مُتَطَامِنِ وَاهِي البِنَاءِ

(١) الدي : التمايل

فَأَسْتَوْقَفْتَنِي وَأَنْبَرْتُ وَثَبًا كَمَا تَثِبُ الطَّبَاءُ
حَتَّى تَوَارَتْ فِيهِ عَنِّي فَانْتَظَرْتُ عَلَى اسْتِيَاءِ
وَارْتَبْتُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي ذَهَبْتُ إِلَيْهِ فِي الْخَفَاءِ
فَتَبِعْتَهَا مُتَضَائِلًا أَمْشِي وَيَتَنِينِي الْحَيَاءُ
فَرَأَيْتُ أُمًّا بَادِيًا فِي وَجْهِهَا أَثْرُ الْبُكَاءِ
وَرَأَيْتُ وُلْدًا سَبْعَةً صَبْرًا عِجَافًا أَشْقِيَاءَ
سُودَ الْمَلَابِسِ كَالدَّجَى مُحْرَمِ الْحَاجِرِ كَالدَّمَاءِ
وَكَأَنَّ « لَيْلَى » بَيْنَهُمْ مَلَكٌ تَكْفَلُ بِالْعِزَاءِ
وَهَبْتُ فَأَجَزَلْتُ الْهَبَاتِ وَمِنْ أَيْدِيهَا الرَّجَاءُ
فَخَجِلْتُ مِمَّا رَأَيْتُ مِنْهَا وَعُدْتُ إِلَى الْوَرَاءِ
وَبَسَمْتُ إِذْ رَجَعْتُ فَقُلْتُ: كَذَا التَّلَطُّفُ فِي الْعَطَاءِ
فَتَنَصَّلْتُ كَذِبًا وَلَمْ يَسْبِقْ لَهَا قَوْلُ افْتِرَاءِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ الْجَوَاءُ دُفَكَانَ أَصْدَقَ فِي السَّخَاءِ
فَأَجَبْتُهَا أَنِّي رَأَيْتُ وَلَا تُكَذِّبُ عَيْنُ رَأِ
لَا تُنْكِرِي فَضْلًا بَدَا كَالصُّبْحِ نَمَّ بِهِ الضِّيَاءُ
يُخْفِي الْكَرِيمُ مَكَانَهُ فَتَرَاهُ أَطْيَارُ السَّمَاءِ

ثُمَّ انْتَنِينَا رَاجِعِينَ وَمِلُّ قَلْبَيْنَا صَفَاءُ

مُتَفَكِّهَيْنِ مِنَ الْأَحَا دِيثِ الْعَذَابِ بِمَا نَشَاءُ
فَإِذَا عُصْفِيرٌ هَوَى مِنْ شُرْفَةٍ بِيَدِ الْقَضَاءِ
عَارٍ صَغِيرٌ وَاجِفٌ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ سِوَى الدَّمَاءِ
ظَمَانٌ يَطْلُبُ رِيَّةَ جَوْعَانٍ يَلْتَمِسُ الْغِذَاءِ
وَلَشَدَّ مَا سُرَّتْ بِهِ هَذَا الضَّيْفِ «لَيْلَى» حِينَ جَاءَ
فَرِحَتْ بِطِيبِ لِقَائِهِ فَرَحَ الْمَفَارِقِ بِاللِقَاءِ
وَاسْتَنْفَدَتْ لِبِقَائِهِ حِيلَ الْحَرِيصِ عَلَى الْبِقَاءِ
تَحْنُو عَلَيْهِ كَأَمَّةٍ وَتَضُمُّهُ ضَمَّ الْأَخَاءِ
فَحَمِدَتْ مِنْهَا بِرَّهَا بِالْبَائِسِينَ الْأَشْقِيَاءِ
قَالَتْ : وَهَلْ لَهْوٌ بَعْضُ فُورٍ جَدِيرٌ بِالثَّنَاءِ ؟
فَأَجَبَتْهَا : هِيَ آيَةٌ لِلَّهِ فِيكَ بِلَا مِرَاءِ
يُنْحِفِي الْكَرِيمُ مَكَانَهُ فَتَرَاهُ أَطْيَارُ السَّمَاءِ

الأهرام

على أثر زيارة لأهرام سقارة

شَادَ فَأَعْلَى ، وَبَنَى فَوَطَّدَا لَا لِلْعُلَى ، وَلَا لَهُ ، بَلْ لِلْعِدَى
مُسْتَعْبِدٌ أُمَّتُهُ فِي يَوْمِهِ مُسْتَعْبِدٌ بَنِيهِ لِلْعَادِي غَدَا
إِنِّي أَرَى عَدَّ الرَّمَالِ هَهُنَا خَلَاتِقًا تَكَثَّرُ أَنْ تُعَدَّادَا
صُفْرَ الْوُجُوهِ نَادِيًا جِبَاهُهُمْ كَالْكَلَالِ الْيَابِسِ يَعْלוهُ النَّدَى (١)
مُخْنِيَةً ظُهُورُهُمْ ، خُرْسَ الْخَطَى كَالنَّعْلِ دَبَّ مُسْتَكِينًا مُخْلِدَا
مُجْتَمِعِينَ أَبْحَرًا ، مُنْفَرِعِينَ أَنْهْرًا ، مُنْحَدِرِينَ صُعَدَا
أَكْلُ هَذِي الْأَنْفُسِ الْهَلَكِي غَدَا تَبْنِي لِقَانِ جَدْنَا مُخْلِدَا ؟ (٢)

يَا أَيُّهَا الْمَوْتَى أَلَمْ يُسْمِعِكُمْ صَوْتَ الْمُنَادِي صَادِعًا مُرَدَّدَا ؟
قَوْمُوا انظُرُوا السُّوقَةَ فِيمَا حَوْلَكُمْ تَدُوسُ هَامَاتِ الْمُلُوكِ هُمْدَا
قَوْمُوا انظُرُوا الْعَدُوَّ فِي دِيَارِكُمْ يَحْكُمُ فِيهَا مُسْتَبِدًا أَيَّدَا
قَوْمُوا انظُرُوا أَجْسَادَكُمْ مَعْرُوضَةً فِي مَشْهَدِ لَيْلٍ يَرُومُ الْمَشْهَدَا
بَعَثْ بِهِ يَسْأَلُكُمْ حِسَابَ مَا قَدَّمْتُمْ مِنْ رَاحِ مِنَّا وَاعْتَدَى
لَمْ يُغْنِكُمْ مِنْهُ الْبِنَاءُ عَالِيًا وَالْأَرْضُ نَهْبًا وَالْمُلُوكُ أَعْبَدَا (٣)

(١) الكلاء : العقب (٢) جدنا : قبرا (٣) أعبداً : عبيداً

وَكَانَ يُغْنِيكُمْ جَمِيلُ الذِّكْرِ لَوْ خَفَضْتُمُ اللَّحْدَ وَشَدَّتُمُ بِالْهُدَى
أَخْطَأَ مَنْ تَوَهَّمَ الْقَبْرَ لَهُ حِرْزاً يَقِيهِ بِالرَّدى مِنَ الرَّدى (١)

وفاء

قصة فتاة عوادة

جرت في مصر وحضر الناظم ختامها

أَشِيرِي إِلَى عَاصِيِ الْهُوَى يَتَطَوَّعُ وَنَادِي الْمَنَى تُقْبِلُ عَلَيْكَ وَتُسْرِعُ
أَقْرَأَ فَتَاةَ الرُّومِ وَالْحُسْنَ مَغْنَمٌ؟ وَطَهْرًا وَهَذَا الْعَصْرُ عَصْرٌ تَمْتَعُ؟
إِلَى كَمْ تَطُوفِينَ الرَّبُوعَ تَسْؤُلَا تَبِيعِينَ صَوْتَ الْعُودِ لِلْمَتَسَمِّعِ
لَقَدْ كَانَ عَهْدٌ لِلْفَضِيلَةِ وَانْقَضَى وَأَبْدَعَ هَذَا الْعَهْدُ أَمْرًا فَأَبْدِعِي
وَلَوْ شِئْتَ قَالَ الْحُبُّ إِمْرَةً قَادِرِ لِمُجْدِبِ هَذَا الْعَيْشِ أَزْهَرًا وَأَمْرِعِ
وَلِلْقَفْرِ كُنْ صَرْحًا مَشِيدًا لِأَنْسِيَا وَلِلصَّخْرِ كُنْ رَوْضًا وَأُورِقًا وَأَفْرِعِ
وَلِلظُّلْمَةِ الْخَلَابِي بِهَا النَّجْمُ أَطْلِعِي لَهَا أَنْجُمًا إِنْ تَغْرُبِ الزُّهْرُ تَسْطَعِ

(١) الردى : الموت

فِتَاةٌ كَمَا تَهْوَى النُّفُوسُ جَمِيلَةٌ مُزَهَّهَةٌ عَنْ رَبِيبَةٍ وَتَصْنَعُ
 مُخَالَ مُخَلَّاةً وَمَا تَمَّ مِنْ حِلِّي سِوَى أَدَبٍ وَفِرٍ وَحُسْنٍ مُنْمَعٍ
 هَضِيمَةٌ كَشَحٍ مَا بِهَا مِنْ خَلَاعَةٍ وَيَكْذِبُ مَا فِي مَشِيهَا مِنْ تَخْلُوعِ
 بِيَاضٍ يَغَارُ الْعَاجُ مِنْهُ نَقَاوَةٌ وَيَحْجُبُهُ لَوْنُ الْحَيَاءِ كَبْرُوعِ
 وَعَيْنَانِ سَوْدَاوَانِ يَنْهَلُ مِنْهُمَا ضِيَاءُ كَمَسْكَوْبِ الرَّحِيقِ الْمُشْعَشِعِ
 تَمُدُّ يَدَيْهَا لِلسُّؤَالِ ذَلِيلَةٌ ، فَإِنْ سُئِلَتْ مَا يَنْكِرُ النَّبْلُ مُنْمَعِ
 فَلِلَّهِ تِلْكَ الْكَفُّ تُبْسِطُ لِلنَّدَى وَلَوْ طَلَبْتَ مُلْكَاً لَفَازَتْ بِأَرْفَعِ
 تَوَدُّ قُلُوبُ النَّاسِ لَوْ بَدَلَتْ لَهَا كَبَعْضِ عَطَاءِ الْمُحْسِنِ الْمُتَبَرِّعِ

رَأَاهَا فَتَى خَالٍ قَمَلَكَ حُسْنَهَا قِيَادَ الْهَوَى فِي قَلْبِهِ الْمُتَوَزِّعِ
 وَكَانَ ضَعِيفَ الرَّأْيِ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ رَقِيقَ حَوَاشِي الطَّبَعِ سَهْلَ التَّطْبِيعِ
 أَدِيباً ، صَبِيحَ الْوَجْهِ ، بَيْنَ ضُلُوعِهِ فُوَادُ جَوَادٍ بِالْحَامِدِ مُوزِعِ
 غَنِيًّا عَلَى الْبَدْلِ الْكَثِيرِ مُوطَّأً لَهُ كَفُّ الْعَلْيَاءِ فِي كُلِّ مَفْرَعِ
 فَنَازَلَهَا يَوْمًا فَفَعَّتْ فَظَنَّاها تُشَوِّقُهُ بِالصَّدِّ عَنْهُ لِيَطْمَعِ
 وَأَنَّى عَلَى قَفْرِ تَعْفٍ طَهَارَةٌ وَلَا عِفَّةٌ إِلَّا بِرِيٍّ وَمَشْبَعِ
 فَسَامَ إِلَيْهَا عَرِضَهَا سَوْمَ مُشْتَرٍ وَأَغْلَى لَهَا مَهْرَ الشَّبَابِ الْمُضْبَعِ
 عَلَى زَعْمِ أَنَّ الْمَالَ ، وَهُوَ شَفِيعُهُ ، يَكُونُ لَدَى الْحُسْنَاءِ خَيْرَ مُشْفَعِ
 وَلَكِنْ تَعَالَتْ عَنْ إِجَابَةِ سُؤْلِهِ وَرَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَالَ رَدًّا تَرْفَعِ

فَمَا زَادَهَا إِلَّا جَمَالًا إِبَاهُهَا وَمَا زَادَهُ إِلَّا صَبَابَةً مُوَلِّعَ

وَأَدْرَكَهَا فِي رَوْضَةٍ فَخَلَا بِهَا
فَلَمَّا اسْتَبَانَتْ فِي هَوَاهُ نَزَاهَةً
وَقَالَتْ لَهُ : إِنْ فَتَاةٌ عَلِيْلَةٌ
تَنَاوَبَنِي جُوعٌ وَبَرْدٌ فَأَقْلَقَا
وَبِي ضَعْفٌ فِي الْحَالِ حَازِرٌ قِصَاصَهَا
وَإِيَّاكَ حُبًّا دُونَهُ كُلِّ شِقْوَةٍ
لَكَ الْجَاهُ فَأَخْتَرْتُ كُلَّ نَاضِرَةِ الصَّبِيِّ
وَكَلَّنِي إِلَى هَمِّي فَإِنِّي غَرِيْقَةٌ
إِذَا لَحِظْتُ عَيْنِي النَّعِيمَ فَإِنَّهُ
سُقِيْتُ الرَّزَايَا طِفْلَةً ثُمَّ هَذِهِ
فَقَالَ لَهَا : بَلْ يَشْهَدُ اللَّهُ بَيْنَنَا
وَتَشْهَدُ هَذِي الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا
وَيَشْهَدُ ذَا الرُّوْضِ الأَرِيضُ وَدَوْحُهُ
وَهَذِي الظَّلَالُ البَاسِطَاتُ أَكْفَهَا
وَهَذِي المِيَاهُ النَّاطِرَاتُ بِأَعْيُنِ
بِأَنِّي لَا أَبْغِي سِوَاكَ حَلِيْلَةً

بِمَرَأَى رَقِيبٍ لِلْعَفَافِ وَمَسْمَعٍ
أَجَابَتْ إِلَى النَّجْوَى وَلَمْ تَتَوَرَّعْ
عَلَى مَوْعِدٍ مِنْ طَارِيءٍ مُتَوَقِّعٍ
دَعَاثِمَ صَدْرِي الخَائِرِ المُتَصَدِّعِ
وَمِثْلِكَ إِنْ يُقْرَنُ بِمِثْلِي يُوضِعُ
تُعَانِي بِهِ دَائِي وَتُفْجِعُ مَفْجِعِي
رَبِيبَةً تُجِدُّ ذَاتِ قَدْرِ مُرْفَعِ
بِبَحْرِ مِنَ الأَلَامِ وَالذَّلِّ مُتْرَعِ
لِيَنْفِرُ مِنِّي نَفْرَةً المُتَفَرِّعِ
ثُمَّ أَلَّةُ تِلْكَ الكَاسِ فَلَا تُجْرَعُ
وَأَسْقَامُ قَلْبِي الوَالِهِ المُتَوَجِّعِ
وَمَا حَوَّلْنَا مِنْ نُورِهَا المُتَفَرِّعِ
وَمَا فِيهِ مِنْ زَهْرٍ وَعِطْرِ مُضَوِّعِ
وَهَذِي الشَّعَاعُ المُوْمِنَاتُ بِأَذْرُعِ
وَهَذِي الغُصُونُ المُصْفِيَاتُ بِمَسْمَعِ
وَمَهْمَا تَسْمَعْنِي صَبَوْتِي فِيكَ أَخْضَعُ

وَأَنِّي أَقْلِي صِحَّتِي وَشَبِيبَتِي
 لِعَيْنَيْكَ أَرْضِي بِالْحَيَاةِ بَغِيضَةً
 قَالَتْ لَهُ مَسْرُورَةٌ وَهِيَ قَدْ جِئَتْ
 أَنِّي حُلْمٌ أَمْ يَقْظَةٌ مَا سَمِعْتُهُ
 لَعَمْرُكَ مَا قَرَّتْ عِيُونَُ بِمَنْظَرٍ
 وَلَا رَوَيْتُ ظَمَأَى الرِّيحِ بِالنَّدَى
 وَلَا أَنَسَ الْمَلَّاحُ بُشْرَى مَنَارَةٍ
 كَمَا طَبْتُ نَفْسًا بِالَّذِي أَنْتَ قَائِلٌ
 وَمَا أَنَا إِلَّا حُرَّةٌ مُسْتَرْقَةٌ
 وَأَجْزِيكَ عَنْ عُمْرٍ إِلَى أَعْدَتِهِ
 وَقَدْ خَتَمًا هَدَى الْعُهُودَ بِقُبْلَةٍ
 إِذَا لَمْ تَكُونِي فِيهِمَا مُتَمَتِّي (١)
 عَلَى فَإِنْ عُوْجِلْتِ بِالْبَيْنِ أَتْبِعِ
 لَدَيْهِ بِذُلِّ الْعَابِدِ الْمُتَخَشِّعِ :
 فَإِنْ سُرُورِي، فَرَطَ مَا زَادَ، مُفْرِعِي
 وَلَا طَرِبْتِ نَفْسٌ بِلَحْنِ مَوْقِعِ
 فَعَادَتْ كَأَرْهَى مَا تَكُونُ وَأَبْدَعِ
 لَهُ بِلِقَا أَهْلِ وَصْحَبِ وَمَرْبِعِ
 وَفَارَقْتِ الْيَأْسُ الَّذِي كَانَ مُوجِعِي
 لِمُضْلِكِ مَهْمَا تَأْمُرُ الْقَلْبَ بِصَنْعِ
 بِحُبِّي وَإِخْلَاصِي عَلَى الْعُمْرِ أُجْمَعِ
 وَأَكْذَاهَا صِدْقُ الْغَرَامِ بِمَدْمَعِ

حَيَاتِكَ مَاسَاءً وَسَرَّتْ كَمَرْكَبِ
 فَإِنَّمَا انْقَضَتْ فَالْحَادِثَاتُ جَمِيعُهَا
 أَتَنْظُرُهَا حَسَنَاءَ جَمَلِهَا الرَّدَى
 عَلَى وَجْهِهَا مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ مَسْحَةً
 يَقُولُ وَقَدْ أَلْقَى عِيَاءَ بِنَفْسِهِ
 عَلَى سَقَرٍ رَاسٍ قَلِيلًا فَمُقْلِعِ
 تَزُولُ زَوَالِ الْعَارِضِ الْمُتَشَقِّعِ
 لِيَسْطُو عَلَيْهَا سِطْوَةُ الْمُتَشَنَّعِ ؟
 تُذِيبُ فُوَادَ الْعَاشِقِ الْمُتَطَلِّعِ
 عَلَى الْأَرْضِ كَالنُّضُوءِ الطَّلِيحِ الْمُضْلَعِ

(١) أقلى : أبغض

فَجَعَتَ فُوَادِي يَا زَمَانُ بِمِخْطَبِهَا
عَرُوسٌ لِعَامٍ لَمْ يَتِيمٌ صَرَعَتْهَا
فَبَاتَتْ عَلَى مَهْدِ الضَّنَى مَا لَجِفْنَهَا
وَكَانَتْ رِبِيعًا لِي فَأَقْوَتَ مَرَابِي
أَقُولُ لَهَا وَالذَّاءُ يُنْجِلُ جِسْمَهَا:
كَذَبْتُ عَلَى أَنْ الْأَكَاذِيبَ رُبَّمَا
وَلَكِنْ أَرَاهَا يَنْفُثُ الدَّمَ صَدْرُهَا
وَأَخْنُو عَلَيْهَا حِنِيَّةَ الْأُمِّ مُسْتَفِئًا
وَأَرْنُو إِلَيْهَا بِأَسِيًّا مُتَكَلِّفًا
وَمَا غَرَّهَا مِنِّي افْتِرَارٌ وَإِنَّمَا
إِذَا افْتَرَّ ثَغْرِي مِنْ خِلَالِ كَابِتِي
فَقَدْ يَبْسِمُ الْبَرْقُ الْبَعِيدُ وَإِنَّهُ

فَلَيْتَكَ مَرْزُوقَ الْفُؤَادِ بِأَنْجَعِ
وَلَوْ شِئْتُ لَمْ تَضْرِبْ بِأَمْضَى وَأَقْطَعِ
هُجُوعٌ وَلَا جَفْنِي يَقْرَأُ بِمَهْجَعِ
مِنَ الزَّهْرِ وَالشَّدْوِ الرَّخِيمِ الْمَرْجَعِ (١)
عَزَائِكَ لَا بَأْسٌ عَلَيْكَ فَتَجَزَعِي
أَطَالَتَ حَيَاةَ الْحَبِيبِ الْمَوْدَعِ
فَأَشْعُرُ فِي صَدْرِي بِمِثْلِ التَّقْطَعِ
وَهَيْهَاتَ تَحْمِيهَا مِنَ الْبَيْنِ أَضْلَعِي
فَتَفْشِي مِرَارًا مِرًّا خَوْفِي أَدْمَعِي
يَدُلُّ عَلَى الْيَأْسِ انْكِشَافُ التَّصْنَعِ
عَلَى مَا يَقْلِبِي مِنْ أَسَى وَتَفْجَعِ
لَدُو ضَرَمٍ مُقْنٍ وَرَعْدٍ مُرْوَعِ

فَبَيْنَا يُنَاجِي نَفْسَهُ وَفُؤَادَهُ
دَعَتْهُ وَقَالَتْ : يَا حَبِيبِي إِنَّهُ
مَتَى تَبْتَعِدُ أَوْ جِسْ حِذَارٍ مِنَ الرَّدَى
أَيْدِ كِرْكَ التَّوْدِيعِ أَوْلَ مُلْتَقَى

كَشَلُو بِأَنْيَابِ الْغُمُومِ مُبْضَعِ (٢)
دَنَا أَجَلِي فَالزَّمْ عَلَى الْقُرْبِ مَضْجَعِي
وَأَكِنِّي أَسْأَلُوا الرَّدَى إِنْ تَكُنْ مَعِي
كَشَفْنَا بِهِ سِتْرَ الْغَرَامِ الْمُقْنَعِ؟

(١) أقوت : خلت (٢) كشلو ، الشلو : العضو من أعضاء اللحم

وَحِلْفَتَنَا أَنْ لَا يُصَدِّعَ شَمْلَنَا
فَعِشْ سَالِمًا وَانْغَمَّ شَبَابَكَ مُطْلَقًا
وَمَا كَانَ ذَاكَ الْعَهْدُ إِلَّا وَدِيعَةً
وَعِنْدَ النَّوَى تُوفَى الْأَمَانَاتُ أَهْلِهَا
وَلَكِنْ إِذَا مَلَكَتْ قَلْبَكَ فَاحْتَفِظْ
فِرَاقٌ عَلَى رَغْمِ الزَّمَانِ الْمَصْدَعِ؟^(١)
مِنَ الْعَهْدِ وَلَا جَعَلَ فِدَاكَ بِمَضْرَعِي^(٢)
تَلَقَّيْتَهَا مِنْ ذِي وَفَاءٍ سَمِيدِعٍ
وَيُنْهَى إِلَى أَرْبَابِهِ كُلُّ مُودِعٍ
بِرِسْمِي وَحَسْبِي فِيهِ أَصْفَرُ مَوْضِعٍ

فَأَصْنَعِي إِلَيْهَا وَهُوَ يَشْهَدُ نَزْعَهَا
وَقَالَ: أَبِي اللَّهُ الْخِيَانَةَ فِي الْهَوَى
فِيَا بِهِجَةَ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ بَعْدَهَا
وَيَا زَهْرَةَ الْحُبِّ الَّتِي بَدُبُوهَا
لَيْنٌ تَنْزِلِي دَارَ الْفَنَاءِ وَحِيدَةً
وَإِنْ عُدْتُ فِيمَنْ شِيعُوكِ فَلَا يَكُنْ
وَيَنْزِعُ فِي آلَامِهِ كُلَّ مَنْزِعٍ
فَإِنْ لَمْ أُمَّتْ بِالْعَهْدِ فَلَا تَطْوَعِ
كَدَارِيسِ رَسْمٍ فَاقِدِ الْأَنْسِ بَلْقَعِ
ذُبُولُ فُؤَادِي النَّاشِئُ الْمُتْرَعِرِ
فَلَا كَانَ قَلْبِي فِي الْهَوَى قَلْبَ أَرْوَعِ^(٣)
بِمَوْتِي لِي مِنْ صَاحِبٍ وَمُشِيعِ

وَلَمَّا أَجَابَتْ دَاعِيَ الْبَيْنِ مَوْهِنًا
أَصَابَتْ سِهَامُ الْيَأْسِ مَقْتَلَ قَلْبِهِ
عَلَى أَنَّهَا الدُّنْيَا: اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ
أَجَابَ كَمَا شَاءَ الْوَفَاءُ وَمَا دُعِيَ^(٤)
فَمَا نَعِيَتْ حَتَّى عَلَى إِبْرَاهِمَ نُعِي
وَتَخْلُفُ دَارَ الْبَيْنِ دَارُ التَّجْمَعِ

(١) حلفتنا : البين التي أقسمناها (٢) العهد : القسم (٣) أروع : شهيم
(٤) موهناً : ليلاً

للغريق ثأر

توفي المرحوم أحمد عاصم غرقا وهو في اقبال الشباب

لَوْ كَانَ مِمَّا شَاءَ رَبُّكَ عَاصِمٌ
سُقِيَ الرَّدَى، حَيْثُ الْأَجَاجُ رَحِيقُهُ
وَتَوَى رَهِينَ قَرَارَةٍ مَيَّادَةٍ
يَا رَاحِلًا مَا كَانَ أَسْرَعَ كَرَّةً
لَرَأَى لَكَ الْجَانِي عَليكَ لَوْ أَنَّهُ
أَبَكَ الْعُيُونَ عَليكَ إِلَّا أَنَّهُ
وَلَعَلَّهُ أَرعى عَليكَ مِنَ الْبَلِي
فَافْرًا جِسْمَكَ حَيْثُ يَغْدُو جَوْهَرًا
وَسَمَا يَنْفَسِكَ فِي الْعُلَى فَتَأَلَّقَتْ
فِكْلَاهُمَا فِي عَالَمَيْنِ تَشَاكَلَا
تِلْكَ النُّجُومُ الطَّافِيَاتُ عَوَالِمُ
صَفَرَتْ عِظَامُهَا لَدَى تَكْوِينِهَا
أَسْفَا عَليكَ وَنَحْنُ أَوْلَى بِالْأَسَى
كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَكَانَ لَكَ الْغِنَى
لَنَجَا الْغَرِيقُ وَعَاشَ «أَحْمَدُ عَاصِمٌ»
وَالْكَأْسُ بِمَجْرُ مَوْجُهُ مُتَلَاطِمٌ (١)
لَا يَسْتَقِرُّ بِهَا الدَّفِينُ النَّائِمُ (٢)
مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا الْجَمَامُ الْهَاجِمُ
لِلْبَحْرِ قَلْبٌ ذُو شُعُورٍ رَاجِمُ
مِنْ مَائِهِ دَمْعُ الْعُيُونَ السَّاجِمُ
فِي تَرْبَةٍ تَرْبُو وَأَنْفُكَ رَاجِمٌ (٣)
تُسْتَامُ فِيهِ الدُّرُّ وَهِيَ كَرَامٌ
مُقَرَّرَةٌ حَيْثُ النُّجُومُ بَوَاسِمُ
شَبَهَا كَمَا شَاءَ الْبَدِيعُ النَّاطِمُ
وَالدُّرُّ فِي الْمَاءِ الْمَحِيطِ عَوَالِمُ
وَصِنَارُهُنَّ عَلَى النُّظَامِ عِظَامُ
أَيْنَ الَّذِي يَشْقَى؟ وَأَيْنَ النَّاعِمُ؟
وَالجَاهُ وَالْجِسْمُ الصَّحِيحُ السَّلَامُ

(١) الأجاج : الملح (٢) ميادة : متحركة (٣) أرمى عليك : أبقى عليك : تربو : تزداد

وَأَلَّكَ الصَّبِيَّ وَالزَّهْوُ وَالزَّمَنُ الرَّضَى
 مِنْ كُلِّ مَا يُعْتَدُّ غَنَمًا لِلْفَتَى
 فَضَيْتَ لَأَمَّنَ عَاشَ بَعْدَكَ غَانِمٌ
 يَتَكَافَأُ الْحَدَثَانُ فِي الدُّنْيَا سِوَى
 وَمَصِيرُنَا وَالذَّهْرُ وَالذُّنْيَا مَعَا
 لَا بَجَرَ نَاجٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ وَلَا
 وَاللَّهُوُ وَالسَّعْدُ الْمُطِيعُ الْخَادِمُ
 لَوْ فِي الْحَيَاةِ مَغَارِمٌ وَمَغَانِمُ
 رَهْنِ الْعَذَابِ ، وَلَا شَبَابُكَ غَارِمُ
 أَنْ نِمْتَ عَنْهُ وَمَنْ تَخَلَّفَ قَائِمُ
 فَقَدْ عَمِيمٌ وَأَنْجِلَالٌ خَائِمُ
 أَفْقٌ وَلَا حَدَثٌ وَلَا مُتَقَادِمُ

العقاب

واقعة جرت في مصر لإحدى الأسر الثرية تسلسلت
 من عهد إسماعيل حتى انتهت بالفاجعة الموصوفة

سِوَى الْحُبِّ لَا يَشْفِي الْفُؤَادَ الْمَكْلَمًا
 وَمَا زَالَ ذُو الْقَلْبِ الْخَلِيٌّ مِنَ الْهُوَى
 هُوَ الذَّهْرُ كَالْتِيَارِ يَكْتَسِحُ الْوَرَى
 فَمَا أَجْدَرَ الْقَلْبَيْنِ فِيهِ تَلَاقِيَا
 كَمَا يَتَلَاقَى فِي طَرِيقِ مَخُوفَةٍ
 وَكَمْ عَاشِقٍ يَسْأَلُ رِزَايَاهُ بِالْهُوَى
 وَلَا يَهْنِي الْمَضَى وَإِنْ كَانَ مُؤَلِمًا^(١)
 كَظَمَانَ لَا يُرْوَى لَهُ مُورِدٌ ظَمًا
 بَلِيلٍ مِنَ الْأَخْدَاتِ أَعْكَرَ أَهْيَمًا^(٢)
 عَلَى شِقْوَةٍ أَنْ يَسْأَلُواهَا وَيُنْعَمَا
 غَرِيبَانِ نَالَتْ شِقَّةَ السَّيْرِ مِنْهُمَا
 وَقَدْ يَجْتَلِي وَجْهَ النِّعَمِ تَوَهُمَا^(٣)

(١) الكلم : المجرح (٢) أهم : شديد الظلام (٣) رزاياه : مصائبه

كَسَالِكٍ وَعَرِ رَاقَهُ حُسْنُ كَوْكَبٍ فَأَرْجُلُهُ تَدْمَى وَعَيْنَاهُ فِي السَّمَاءِ
فَإِنْ نَالَهُ فِي الْحَبِّ خَطْبٌ فَإِنَّهُ لَيَقْضِي خَلِيقًا أَنْ يَمُوتَ فَيَسْلَمَا

عَفَا اللَّهُ عَنْ صَبِّ شَهِيدٍ غَرَامِهِ أَصَابَ جِرَاحًا حَيْثُمَا ظَنَّ مَرَّهَا
فَتَى كَانَ ذَا جَاهٍ وَعِلْمٍ وَفِطْنَةٍ كَرِيمَ السَّجَايَا مُسْتَحَبًّا مُكْرَمًا
وَلَكِنْ لِكُلِّ حَيْثُ جَلَّتْ سَعُودُهُ شَقَاءٌ يُؤَافِيهِ أَجَلٌ وَأَعْظَمًا
سَبَّتْ لَبَّهُ «أَسْمَاءُ» مُنْذُ اخْتِلَامِهِ فَكَانَ الْهُوَى يَنْمُو بِهِ كَلْمًا نَمَا
تَعَلَّقَهَا حُورِيَّةٌ حَضْرِيَّةٌ يَكَادُ يَكُونُ النُّورُ مِنْهَا تَبَسُّمًا
تَرَأَتْ مَعَانِيهَا بِمِرَاةِ قَلْبِهِ فَثَبَّتَهَا فِيهَا الْغَرَامُ وَأَخْكَمَا
لَهَا شَعْرٌ كَاللَّيْلِ يَجْلُو سَوَادَهُ بِيَاضُ نَهَارٍ يَبْهَرُ الْمُتَوَسِّمًا
وَعَيْنَانِ كَالنَّجْمَيْنِ فِي حَلَاكِ الدُّجَى هُمَا نِعْمَةُ الدُّنْيَا ، وَشِقْوَتَاهُمَا
وَأَهْدَابُ أَجْفَانٍ تَخَالُ أَشِعَّةً مُصَفِّةً غَرَاءً تُعَكِّسُ عَنْهُمَا
وَمُنْفَرِجٌ مِنْ خَالِصِ الْعَاجِ مَارِنٌ كَأَنَّ الْهُوَى قَدْ بُثَّ قِيَا تَنْسَمًا^(١)
تُبَالِغُ فِيهِ الْحَاسِدَاتُ وَشَايَةً وَمَا حُبَّةُ الْوَأَشِي إِذَا الْحَقُّ أَفْحَمًا؟
فَرُبَّ سَوِيٍّ عُدَّ عَيْنًا بِمَوْضِعِ وَفِي غَيْرِهِ لِلْحُسْنِ كَانَ مُتَمَّمًا
وَرُبَّ غَرِيبٍ فِي الْمَلَامِحِ زَانِهًا وَكَانَ بِهَا مِنْ مُحْكَمِ الْوَضْعِ أَوْسَمًا^(٢)
وَشَفْرٌ كَمَا شَفَّتْ عَنِ الرَّاحِ كَأْسَهَا يَتَوَجَّهَهَا دُرُّ الْحَبَابِ مُنْظَمًا

(١) ومنعرج من خالص العاج مارن : أوصاف الأنف (٢) أوسم : أجل

وَخَصْرٌ إِلَيْهِ يَنْتَهِي رَحْبُ صَدْرِهَا وَقَدْ دَقَّ حَتَّى خِيَلَ بِالثَّوْبِ مُبْرَمًا
فَإِنْ أَقْبَلَتْ فَالْفُضْنُ أَثْقَلَهُ الْجَنَى فَمَالَ قَلِيلًا وَاسْتَوَى مُتَقَوِّمًا

تَعَلَّقَهَا غِرًّا لَعُوبًا مِنْ الصَّبِيِّ فَمَا شَبَّ إِلَّا رَاحَ وَاهَانَ مُغْرَمًا
وَلَازَمَهَا كَالظِّلِّ غَيْرَ مُفَارِقٍ مَشُوقًا عَلَى كَرِّ اللَّيَالِي مُتِيَمًا
وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ تَزْدَادُ بِهِجَةً وَيَزْدَادُ إِعْجَابًا بِهَا وَتَهِيَمًا
وَكَانَ عَلَى جَهْلِ يَعِيشُ بِحُبِّهَا وَبِالْأَمَلِ الْمَدْفُونِ فِيهِ تَكْتُمًا
يُسْرُ سُرُورِ الطِّفْلِ بِالْأُمِّ إِنْ دَنْتُ وَيَبْكِي إِذَا بَانَتْ كَطِفْلِ تَيْتَمًا
وَلَمْ تَدْنِهِ غَضَّ الشَّبَابِ فَيَسْتَفِي وَلَمْ تُقْصِهِ قَبْلَ الشَّبَابِ فَيُفْطَمًا
فَكَانِبَهَا يَشْكُو إِلَيْهَا عَذَابَهُ وَيَرْجُو ذَلِيلًا أَنْ تَرِقَ وَتَرْحَمًا
وَلَكِنْ جَفَّتْ فَاذْكَ مَعْقِلُ صَبْرِهِ وَأَعْيَاهُ دَفَعُ الْيَأْسِ عَنْهُ فَسَلَمًا

لَأَيُّ الْمُلُوكِ الصَّيْدِ صَرَحَ مُمَرَّدٌ كَبُرْجٍ؟ وَمَا الْأَبْرَاجُ مِنْهُ بِأَفْخَمًا^(١)
تَمَنَّقَ مِنْ أَنْوَارِهِ بِعَقَائِقِ وَقُلْدَ فَوْقَ الرَّأْسِ دُرًّا وَأَنْجَمًا
نَعَمَ هُوَ دَارُ الْمُلُوكِ عَتِيقَةٌ وَلَكِنْ غَدَتِ لِلْفُحْشِ دَارًا وَبِنَسَمًا
حَبَابًا أَمِيرٌ غَاشِمٌ لِأَسَافِلِ بَعْرِضِ تَوْلَاهُ وَرَدَّ مُثَلَمًا
كَذَا يَفْعَلُ الطَّاعِي الْمَطَاعُ فَإِنَّهُ لِيَفْتِكُ مَحْمُودًا وَيَسْلُبُ مِنْعَمًا

(١) صرح بمرد : قصر عال

بِنَاءِ بَمَالِ النَّاسِ قَامَ جِبَابَةٌ
 هُنَالِكَ أَنْوَارُ شَوَائِمٍ لِلدُّجَى
 جَوَاعِلُ أَيَّامِ الَّذِي هُنَّ لَيْلُهُ
 يُعَظَّمُهُ عَنْ أَنْ يَمُرَّ زَمَانُهُ
 إِذَا خَشِيَ الْجَانِي لِقَاءَ ضَمِيرِهِ
 مَصَابِيحُ يَسْتَعْدِي بِهَا مَنْ يُضِيئُهَا
 هُنَالِكَ إِطْعَامٌ كَثِيرٌ وَإِنَّمَا
 وَمَنْ مَأْوُهُ دَمْعٌ وَخَرْتُهُ دَمٌ
 وَلَا تُؤْمُ مِنْ كَدْحِ الْفَقِيرِ مُعَدَّةً
 هُنَالِكَ مُجْهُورٌ تَخَالُ رِجَالُهُمْ
 يَمِيلُونَ مِنْ فَرْطِ الْمَسْرَةِ نَشْوَةً
 فَيَا أَيُّهَا الْعَافِي الْمُسْلِمُ بَدَارِهِمْ
 أَيُقْبَطُ مَنْ جَادَتْ يَدَاهُ بِعِرْضِهِ
 وَمَنْ يَلْتَمِسَ رِزْقًا وَهَذَا سَبِيلُهُ
 هَنِئْنَا لَكَ الْإِعْسَارُ وَالْعِرْضُ سَالِمٌ
 تَرَقَّبَ عِقَابَ اللَّهِ فِيهِمْ هُنَيْهَةً
 وَلَوْ ذَوَّبُوا تَذْهِيبَهُ لَجَرَى دَمًا
 رَوَامٍ بِهَا مَذْحُورَةٌ كُلُّ مُرْتَمَى (١)
 نَهَارًا طَوِيلًا لَا يَرَى مُتَقَسِّمًا
 مُنَارًا كَحُكْمِ اللَّهِ وَالْبَعْضُ مُظْلَمًا
 أَدَالَ مِنَ اللَّيْلِ الْمَصَابِيحَ وَاحْتَمَى
 عَلَى ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ أَوْ تَتَجَرَّمَا
 يُخَصُّ بِهِ مَنْ كَانَ لِلْحَقِّ أَهْضَمًا
 وَيَفْتَرِسُ الْمَسْكِينِ لِحْمًا وَأَعْظَمًا
 فَلَا تَهْنِ مَدْعُوًّا وَلَا تَهْنِ مُوَلِمًا
 نِسَاءً مُحَلَّلَةً وَنِسْوَتَهُمْ دُمَى (٢)
 وَيُنْشِدُ كُلُّ مِنْهُمْ مُتَرَنِّمًا
 رُوَيْدَكَ ، لَا تَغْبِطُ غَنِيًّا مُذَمَّمًا
 لِمَا أَنَّهُ أَثْرَى بِذَلِكَ فَأَكْرَمًا؟
 فَأَخْلَقَ بِهِ أَنْ يُسْتَهَانَ وَيُرْجَمَا
 وَكُنْ مَا يَشَاءُ اللَّهُ جَوْعَانَ مُعْدِمًا
 تَجِدُ عَيْدَهُمْ هَذَا تَحْوَلُ مَا تَمَّا

(١) الدجى : الظلمات (٢) دمي : تعائيل

كُلُوا وَاشْرَبُوا مَا لَدَيْكُمْ وَحَلَا لَكُمْ
 وَطُوفُوا سُكَّارَى رَاقِصِينَ وَأَنْشِدُوا
 فَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَّةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي
 وَمَنْ أَمَكَّنْتَهُ فُرْصَةً غَيْرَ عَالِمٍ
 وَأَغْوَى عِبَادَ اللَّهِ « أَسْمَاءُ » وَابْذُلِي
 مُحِبُّوكَ كَثْرَةً وَالْأَبْرُءَ مُعَاقِبَ
 يُحِبُّكَ حَتَّى أَنْتِ مَعْنَى حَيَاتِهِ
 وَمَهْمَا يَجِدَ الْوَجْدُ فِيهِ فَبَالِغِي
 وَفُضُوا زُجَاجَ السَّلْسَبِيلِ الْمَخْتَمَا
 وَلَا تَسْمَعُوا صَوْتَ الضَّمِيرِ مُؤْتَمَا
 فَسَرُّوا بِهَا مَا تَسْتَطِيعُونَ رَشْمَا
 بِمَا بَعْدَهَا فَلْيَنْهَبِ الصَّفْوُ مَفْنَمَا
 لِحَاطِكَ آلَاءُ وَإِنْ كُنَّ أَسْهَمَا^(١)
 وَمَنْ بَرَّ بِالْحَسَنَاءِ عَوْقِبَ مُجْرَمَا
 إِذَنْ هُوَ أَوْلَى أَنْ يُسَاءَ وَيُظْلَمَا
 بِهِزْلِكَ حَتَّى تَقْتُلِيهِ تَهَكَّمَا

فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الرَّجَاءَ مُضَيِّعٌ
 مَضَى يَتَمَشَّى فِي الْحَدِيقَةِ مُفْضَبًا
 يَرُوحُ وَيَغْدُو خَائِفًا ثُمَّ رَاجِيًا
 تُشَاكُ بِمَرَأَى ذَلِكَ الرَّوْضِ عَيْنُهُ
 فَيَا لِعِقَابِ الْقَرَعِ وَالْأَصْلُ قَدْ جَنَى
 يَقُولُ أَسِيفًا: لَيْتَنِي كُنْتُ مُدَقِّعًا
 وَيَا لَيْتَنِي أَقْضَى نَهَارِي مُتَعَبًا
 وَيَا لَيْتَنِي شَيْخٌ ضَيْلٌ مُحَدَّبٌ
 وَأَنْ مَنَارَ السَّعْدِ بَانَ وَأَعْتَمَا
 يَكَادُ الْأَسَى فِيهِ يُثِيرُ جَهَنَّمَا
 وَيُنْبِكِي حَزِينًا أَسِيفًا مُتَوَجِّعًا
 وَيَحْسَبُ فِيهِ سَائِغَ الْمَاءِ عَلَقَمًا^(٢)
 لِيَغْدُو أَنْكَى مَا يَكُونُ وَأُضْرَمَا
 مِنَ الْفَقْرِ لَمْ أَمْلِكْ رِدَاءَ وَمَطْعَمَا
 وَأَخْسُدُ فِي اللَّيْلِ الْأَصِحَّاءِ نُومًا
 أَسِيفٌ عَلَى عَهْدِ حَبِيبٍ تَقْدَمَا

(١) آلاء: نعم (٢) تشاك: تخرج بعقل ونخر الشوك

ذَنْ كَانَ هَذَا الْعَيْشُ كَأَمَّا مَسُوفَةٌ بَصِيرِي أَحَلِّيهِ وَإِنْ يَكُ عَلَقَمًا
 أَيْتَفَعُنِي جَاهِي وَعِلْمِي وَفِطْنَتِي؟ وَهَلْ عَصَمْتَ قَبْلِي سِوَايَ فَاغْصَمَا؟
 وَلَكِنْ أَرَى أَنَّ الْمَذَاهِبَ ضِيقُنِي فِي وَأَنَّ تَمَاتِي قَدْ غَدَا مُتَحَمًّا
 وَإِنْ يَرْمِينِي بِالْجِبْنِ قَوْمٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ اتِّقَاءَ الضَّمِيمِ بِالْمَوْتِ أُخْزَمَا
 إِذَا اشْتَدَّ عَلَيَّ فِي إِنْاءِ فَمَا الَّذِي يُعَابُ عَلَيْهِ إِنْ وَهَى وَتَحَطَّمَا؟
 وَإِنْ رَزَحَ الْحَمَّالَ مِنْ وَفْرِ حِمْلِهِ أَيْلَقِيهِ عَنْهُ أَمْ يُطَاوِعُ لَوْمًا؟^(١)

فَلَمَّا انْتَهَى أَوْرَى الزَّنَادَ مُسَدَّدًا إِلَى قَلْبِهِ فَانْحَطَّ يَنْحِبُ بِالِدَمَا
 كَأَنَّ بِنَاءَ رَاسِخًا فِي مَكَانِهِ هَوَى بِشِهَابٍ مُخْرِقٍ وَتَهَدَّمَا
 كَأَنَّ الْجَمَادَ النَّاصِحَ الدَّمُ لَمْ يَكُنْ سَمِيمًا بَصِيرًا مُدْرِكًا مُتَكَلَّمَا
 كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ عِلْمٌ هُنَاكَ وَلَا نَهْيٌ وَلَمْ يَكُ فَضْلٌ يُسْتَفَادُ مِيمَمَا
 كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ حُبٌّ فَصَدُّ حَبِيبَةٍ فَيَأْسُ كَبْرَكَانٍ يَثُورُ تَضَرَّمَا
 فَمَوْتُ بَرِيءٍ حَيْثُمَا بَاتَ جَدُّهُ أَيَّمَا بِأَمْوَالِ الْعِبَادِ مُنْعَمَا

(١) وان رزح الحمّال من وفر حمله : سقط الى الأرض من ثقل حمله

يوميات أدبية

تَكْتُبُ يَوْمِيَّاتِهَا «عَادِلَةٌ» نَاقِدَةٌ فِي حُكْمِهَا عَادِلَةٌ
 تَذَكُرُ مَا يَخْطُرُ فِي بَالِهَا فِي كَلِمٍ مَعْدُودَةٍ حَافِلَةٌ
 وَتَصِفُ النَّاسَ عَلَى خَيْرَةٍ حَتَّى تَرَائِمَ صُورًا مَائِلَةً
 وَتَصِفُ الْأَحْوَالَ مَشْهُودَةً كَأَنَّهَا الْمِرْسَمَةُ النَّاقِلَةُ
 فِي بُحَلٍ مُوجِزَةٍ جَزَلَةٍ وَاضِحَةٍ تُرْسِلُهَا عَاجِلَةً

أَعْجَبَنِي مِنْ نَقْدِهَا قَوْلُهَا فِي غَادَةٍ بَادِنَةٍ جَاهِلَةٌ :
 «فَلَانَةٌ حَسَنَةٌ لَكِنَّا عَلَى صِبَاهَا بَضَةٌ خَامِلَةٌ
 إِنْ تَتَكَلَّمُ فَهِيَ مُجْهُودَةٌ أَوْ تَتَحَرَّكُ فَهِيَ مُثَاقِلَةٌ
 كَوَرْدَةٌ أَكْثَرُ إِرْوَاؤِهَا فَفَشَّتْ مَائِيَّةٌ ذَابِلَةٌ»

وَقَوْلُهَا فِي هَرَمٍ جَاعِلٍ هَوَى النِّوَانِي شُغْلًا شَاغِلَةٌ :
 «وَجْهٌ الثَّمَانِينَ وَشِعْرُ الصَّبِيِّ أَلشَّيْبُ حِلِي الْأَنْفُسِ الْكَامِلَةٌ
 لَمْ يَنْزَوِجْ وَهُوَ شَانُ امْرِئٍ يَحْسَبُ جَهْلًا نِسْوَةَ النَّاسِ لَهُ
 فَضَاعَ فِي إِسْرَافِهِ عُمُرُهُ وَلَمْ يَنْلِ إِلَّا الْمُنَى السَّافِلَةَ
 وَمَا دَرَى أَنَّ سُعُودَ الْهَوَى لِفَاضِلٍ زَوْجَتُهُ فَاضِلَةٌ»

وَقَوْلَهَا خَطْرَةٌ فِكْرٍ لَهَا كَأَنَّهَا عَن نَفْسِهَا قَائِلَةٌ :
 « فُلَانَةٌ حَسَنَاءُ فِي زَعْمِهِمْ أَدِيبَةٌ أَنَسَةٌ عَاقِلَةٌ
 لَكِنَّهَا لَيْسَتْ عَلَى ثُرُوءٍ إِذْنُ فَهَاتَيْكَ الْحَلَى بِأَطْلَاقٍ
 يَزِدُّهُمْ الْفِتْيَانُ فِي بَابِهَا وَتَتَّبَعُ الْقَافِلَةَ الْقَافِلَةَ
 كَأَنَّهَا التَّمْثَالُ فِي مُتَحَفٍ تَزُورُهُ لِلرُّؤْيَا «السَّابِلَةُ» (١)

فِي إِهْرَاءِ بَاقِ أَرْهَارِ

إِلَى سَيِّدَةِ أَلْمَرْجِيَّةِ

هَذِهِ تُمُحَّفَةُ الرِّيَاضِ إِلَى مَنْ فَاحَ فِي الشَّرْقِ طَيْبُهَا وَتَأْرَجُ
 هِيَ بَيْنَ الْحَسَانِ زَهْرَةٌ أَنْسٍ حُسْنُهَا بِالْحَيَاءِ مِنْهَا مُسَبِّحُ
 وَعَجِيبٌ جَمْعُ الْمُهَيْمِنِ فِيهَا عِزَّةُ الْوَرْدِ وَاتِّضَاعُ الْبَنْفَسِجِ

(١) السابله : أبناء السبيل

مقتل بزرجهر

اشتهر كسرى بالعدل وكان بلا نزاع أعدل ما يكون الملك المطلق اليد في أحكام بلاده . فان كان ما وصفناه في هذه القصيدة إحدى جنایات مثله في العادلين فما حال الملوك الظالمين؟

سَجَدُوا لِكِسْرَى إِذْ بَدَأَ إِجْلَالَآ
يَا أُمَّةَ الْفُرْسِ الْمَرِيْقَةَ فِي الْعُلَى
كَسُجُودِهِمْ لِلشَّمْسِ إِذْ تَتَلَاآ
مَاذَا أَحَالَ بِكَ الْأَسُودَ سِخَالًا؟^(١)
وَالْيَوْمَ بِتَمِّ صَاغِرِينَ ضِيَالًا
كُنْتُمْ كِبَارًا فِي الْحُرُوبِ أَعِزَّةَ
عِبَادَ «كِسْرَى» مَا حَيَّهِ نَفُوسِكُمْ
وَرِقَابِكُمْ وَالْعِرْضَ وَالْأَمْوَالَآ
وَتَغْفِرُونَ أَذْلَةً أَوْ كَالَا^(٢)
وَيَعُدُّ أُمَّةَ فَارِسٍ أَرْذَالَآ
أَلْتَبْرُ «كِسْرَى» وَخَدَةَ فِي فَارِسٍ
لَهُمْ وَيَزْعُمُهُمْ عَلَيْهِ عِيَالًا
شَرُّ الْعِيَالِ عَلَيْهِمْ وَأَعْقُهُمْ
ثَارًا يُبْدِيهِمْ بِالْعَدُوِّ قِتَالًا
إِنْ يُؤْتِيهِمْ فَضْلًا يَمْنَنَّ وَإِنْ يَرُمُ
وَإِذَا قَضَى يَوْمًا قِضَاءً عَادِلًا
ضَرَبَ الْأَنَامُ بِعَدْلِهِ الْأَمْثَالَآ

يَا يَوْمَ قَتَلَ «بَرْزَجْمَهْر» وَقَدْ أَتَوْا
فِيهِ يَلْبَثُونَ النَّدَاءَ عِجَالًا^(٣)
مُتَالِبِينَ لِيشْهَدُوا مَوْتَ الَّذِي
أَخِي الْبِلَادَ عَدَالَةً وَنَوَالَآ

(١) سخالا : أولاد الشاة (٢) أذلة أو كالا : ضعافاً جبناء
(٣) بزرجهر : ضبطت بهذا الشكل كما ينطق بها الفرس في لغتهم

يُبْدُونَ بِشْرًا وَالنُّفُوسُ كَطِيمَةٍ
يُجْفِلْنَ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ إِجْفَالًا
تَجْلُو أَسْرَتَهُمْ بُرُوقُ مَسْرَةٍ
وَقُلُوبُهُمْ تَدْمَى بَيْنَ نِصَالًا
وَإِذَا سَمِعْتَ صِيَاحَهُمْ وَدَوِيَّهُمْ
لَمْ تَذَرِهِ فَرَحًا وَلَا إِغْوَالًا

وَيَلُوحُ «كِسْرَى» مُشْرِقًا مِنْ قَصْرِهِ
شَبْحًا «لِأَرْمُوزِ» الْعَظِيمِ مُمَثَّلًا
يَزْهُو بِهِ الْعَرْشُ الرَّفِيعُ كَأَنَّهُ
بِسَنَى الْجَوَاهِرِ مُشْعَلٌ إِشْعَالًا
وَكَأَنَّ شُرْفَتَهُ مَقَامُ عِبَادَةٍ
نُصِبَ التَّكْبَرُ فِي ذُرَاهُ مِثَالًا
وَكَأَنَّ لَوْلُؤَهُ يَقَامُ سَيْفِهِ
عَيْنٌ تَعُدُّ عَلَيْهِمُ الْآجَالَ؟

مَا كَانَ «كِسْرَى» إِذْ طَفَى فِي قَوْمِهِ
إِلَّا لِمَا خَلَقُوا بِهِ فَعَالًا (٢)
مِمَّ حَكْمُوهُ فَاسْتَبَدَّ تَحَكُّمًا
وَأَجْهَلُ دَاءٍ قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَصُولَ، فَصَالًا
لَوْ لَا الْجَهَالَةُ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ
فِي الْعَالَمِينَ وَلَا يَزَالُ عُضَالًا
لَكِنَّ خَفْضَ الْأَكْثَرِينَ جَنَاحَهُمْ
إِلَّا خَلَائِقَ إِخْوَةَ أُمَّثَالًا
وَإِذَا رَأَيْتَ الْمَوْجَ يَسْفُلُ بَعْضُهُ
رَفَعَ الْمُلُوكَ وَسَوَدَ الْأَبْطَالَ
أَلْفَيْتَ تَالِيَهُ طَفَى وَتَعَالَى

(١) أرموز : الإله الأكبر للفرس ، رثبالا : أسداً (٢) خلقوا به : استحقوه

نَقَصَ لِفِطْرَةِ كُلِّ حَيٍّ لَازِمٌ لَا يَرْتَجِي مَعَهُ الْحَكِيمُ كَمَالًا

وَإِذَا اسْتَوَى كِسْرَى وَأَجْلَسَ دُونَهُ
صَعِدَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْجَمَاعَةِ صَيْحَةٌ
وَإِذَا الْوَزِيرُ «بُرْزُجْمَهُرُ» يَسُوقُهُ
وَتَرُوحُ حَوْلَهُمَا الْجُمُوعُ وَتَنْتَدِي
سَخِطَ الْمَلِكُ عَلَيْهِ إِثْرَ نَصِيحَتِهِ
«أَبْرُزُجْمَهُرُ» حَكِيمٌ فَارِسٌ وَالْوَرَى
«كِسْرَى» أَتْبَقَى كُلَّ فِئَةٍ غَاشِمٍ
وَتَدُقُّ فِي مَرَأَى الرَّعِيَّةِ عُنُقُهُ
أَيْنَ التَّفَرُّدُ مِنْ مَشُورَةٍ صَادِقٍ
إِنْ تَسْتَطِيعَ فَاشْرَبْ مِنَ الدَّمِ خَمْرَةً
وَأَذْبَحْ وَدَمَّرْ وَاسْتَبِخْ أَعْرَاضَهُمْ
فَلَأَنْتَ «كِسْرَى» مَا تَرَى تَمْحَرِيْمَهُ
وَلَيْدُ كَرْنِ الدَّهْرِ عَدْلُكَ بَاهِرًا
لَوْ كَانَ فِي تِلْكَ النَّعَاجِ مُقَاوِمٌ
لَكِنْ أَرَادَتْ مَا تُرِيدُ مُطِيعَةً

(١) غاشم : جاهل ظالم . تردى : قتل (٢) مذالا : مهانا

نَادَاهُمْ الْجَلَادُ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ « لِيُزْرَجُ جُهْرًا » ؟ فَقَالَ كُلٌّ : لَا . لَا
 وَأَدَارَ « كِسْرَى » فِي الْجَمَاعَةِ طَرْفَهُ فَرَأَى فَتَاةً كَالصَّبَاحِ بِجَمَالَا
 تَسْبِي مَحَاسِنَهَا الْقُلُوبَ وَتَنْشِي عَنْهَا عُيُونَ النَّاطِرِينَ كَلَالَا ^(١)
 بِنْتُ الْوَزِيرِ أَتَتْ لِتَشْهَدَ قَتْلَهُ وَتَرَى السَّفَاهَةَ مِنَ الرَّشَادِ مُدَالَا
 تَفْرِي الصُّفُوفَ خَفِيَةً مَنظُورَةً فَرَى السَّفِينَةَ لِلْحَبَابِ جِبَالَا ^(٢)
 بَادٍ مُحْيَاهَا ، فَأَيْنَ قِنَاعُهَا ؟ وَعَلَامَ شَاءَتْ أَنْ يَزُولَ فِرَالَا ؟
 لَا عَارَ عِنْدَهُمْ كَخَلِجِ نِسَائِهِمْ أُسْتَارَهُنَّ ، وَلَوْ فَعَلْنَ نِكَالَا

فَأَشَارَ « كِسْرَى » أَنْ يَرَى فِي أَمْرِهَا . فَمَضَى الرَّسُولُ إِلَى الْفَتَاةِ وَقَالَ :
 مَوْلَايَ يَعْجَبُ كَيْفَ لَمْ تَتَّقِنِي . قَالَتْ لَهُ : أَتَعْجَبُ وَسُوءًا لَا ؟
 أَنْظُرْ وَقَدْ قُتِلَ الْحَكِيمُ ، فَهَلْ تَرَى إِلَّا رُسُومًا حَوْلَهُ وَظِلَالَا ؟
 فَارْجِعْ إِلَى الْمَلِكِ الْعَظِيمِ وَقُلْ لَهُ : مَاتَ النَّصِيحُ وَعِشْتَ أَنْعَمَ بَالَا
 وَبَقِيَتْ وَخْدَكَ بَعْدَهُ رَجُلًا فَسُدْ وَارِعِ النِّسَاءَ وَدَبِّرِ الْأَطْفَالَا
 مَا كَانَتْ الْحُسْنَاءُ تَرْفَعُ سِتْرَهَا لَوْ أَنَّ فِي هَذِي الْجُمُوعِ رِجَالَا

(١) كلالا : ضعفاً (٢) الحباب : الموج

الزهرة

كوكب المساء أو كوكب الصباح

كان لها عبّادها وهذا وصف حفلة لهم في أحد هياكلها الكبرى

يَا حُسْنَهَا حِينَ تَجَلَّتْ عَلَيَّ عَبَّادِهَا فِي عِزَّةٍ لَا تُرَامُ
بَيْنَ نُجُيْمَاتٍ بَدَتْ حَوْلَهَا لَهَا رَفِيفُ الْقَطَرَاتِ السَّجَامُ
تَسْقِي عُيُونَ النَّاسِ شِبْهَ النَّدى مِنْ نُورِهَا الصَّافِي فَتَشْفِي الْأَوَامُ
كَأَنَّما الزَّهْرَاءُ مَا بَيْنَهَا مَلِيكَةٌ فِي مَوْكِبِ ذِي نِظَامُ
وَالْقَوْمُ جَائُونَ لَدَى حُسْنِهَا سَجُودَ حُبِّ صَادِقٍ وَاخْتِشَامُ
مُطَهَّرُوا الْإِيمَانَ مِنْ شُبُهَةِ مُنْزَهُو الصَّبُورَةِ عَنْ كُلِّ ذَامُ
لَا كَافِرٍ مِنْهُمْ وَلَا مُلْحِدٌ وَلَا جُحُودٌ خَافِرٍ لِلذَّمَامُ
مَا أَكْرَمَ الدِّينَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا التَّقَى فِيهِ التَّقَى وَالْهُيَامُ

وَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ يَعْتَلِي مِنْصَةَ نُصَّتْ لَهُ مِنْ أَمَامُ
شَاعِرُهُمْ وَهُوَ لِسَانُ الْهُدى بَيْنَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ إِمَامُ
يُسْمِعُهُمْ مِنْ وَخِيهِ مُنْشِدًا شِعْرًا لَهُ فِي النَّفْسِ فِعْلُ الْمَدَامُ
فَقَالَ مِنْهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ نَارَ بِهِ الشَّوْقُ وَجَدَّ الْفَرَامُ :
« يَا شَاعِرَ الْوَحْيِ وَنُورَ التَّقَى إِلَّا لِقَاءَ قَبْلِ يَوْمِ الْجَمَامِ ؟ »

قَدْ بَرَّحَ الْوَجْدُ بِأَكْبَادِنَا حَتَّى اسْتَطَلْنَا الْعُمَرَ دُونَ الْمَرَامِ
 نَهَفُوا إِلَى الزَّهْرَاءِ شَوْقًا فَإِنْ جَفَتْ، جَعَانَا صَفْوَانًا وَالسَّلَامِ
 لَقَدْ تَقَضَى خَيْرُ أَيَّامِنَا وَنَحْنُ نَرْجُو، وَرِضَاهَا حَرَامِ
 إِذَا أَتَى اللَّيْلُ سَهْرِنَا لَهَا بِأَعْيُنٍ مَفْتُونَةٍ لَا تَنَامِ
 وَإِنْ أَتَى الصُّبْحُ دَعْوَانَا بِأَنْ يَمُخَى وَشِيكًا وَيَعُودَ الظَّلَامِ
 أَلَمْ يَحْنِ وَالْعَهْدُ قَدْ طَالَ أَنْ تُنَجِّزَ وَعْدَ الْمَلْهَمِينَ الْكِرَامِ ؟
 فَتَرَاءَى بَشْرًا مِثْلَنَا وَتَتَوَلَّى مُلْكَهَا فِي الْأَنَامِ ؟
 فَرَفَعَ الشَّاعِرُ أَبْصَارَهُ إِلَى الْعُلَى ثُمَّ جَنَّا ثُمَّ قَامِ
 وَاسْتَنْزَلَ الْوَحْيَ فَخَطَّتْ لَهُ آيَةَ نُورٍ فَتَوَلَّى الْكَلَامِ
 وَقَالَ : مَنْ قَرَّبَ مِنْكُمْ لَهَا عِدَّةَ شَهْرَيْنِ وَصَلَّى وَصَامِ
 أَبْصَرَهَا إِنْسِيَّةً تَنْجَلِي فِي الْمَعْبَدِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الْخِتَامِ

فَانصَرَفَ الْقَوْمُ وَبَاتُوا وَمُمْ - بِمَا بِهِ الشَّاعِرُ أَوْصَى - قِيَامِ
 يَرْتَقِبُونَ الْمَوْعِدَ الْمُرْتَجَى لِذَلِكَ الْأَمْرِ الْعُجَابِ الْجَسَامِ
 حَتَّى إِذَا وَقْتُ التَّجَلَّى أَتَى وَصَاقَ بِالْأَشْهَادِ رَحْبُ الْمَقَامِ
 وَانْتَشَرَ الْقَوْمُ صِفَارَ الْبَنَى بَيْنَ سَوَارِيهِ الطُّوَالِ الضُّخَامِ
 وَأَوْشَكَتْ أَثْبَتُ أَرْكَانِهِ تَمِيدُ مِمَّا اشْتَدَّ فِيهِ الزُّحَامِ
 دَوَّتْ زَوَايَاهُ بِإِنْشَادِهِمْ وَعَقَدَ التَّبْخِيرُ شِبْهَ الْفَمَامِ

وَشَحْبَ النُّورِ كَانَ قَدْ عَرَا مِنْ غَيْرَةِ شَمْسِ الْأَصِيلِ التَّقَامِ
 فَلَاحَ بَرَقَ خَاطِفٌ بَغْتَةً وَانْتَقَى سِتْرَهُ عَنْ مِثَالِ مُقَامِ
 عَنْ غَادَةِ مَائِلَةٍ بِالْجِسْمِ فِي أَبْدَعَ رَسْمَ لِلْجَمَالِ التَّمَامِ
 مَنحُوتَةٍ فِي الصَّخْرِ لِكِنِّهَا تَكَادُ تُنْحِي بِالْيَاتِ الْعِظَامِ
 لَا رُوحَ فِيهَا غَيْرَ إِمَاضَةٍ مِنْ جَانِبِ الْإِعْجَازِ فِيهَا نُشَامِ
 لِحَاطِهَا تَرْمِي سِهَامَ الْهُوَى وَوَجْهَهَا يَنْشُرُ آيَ السَّلَامِ
 وَصَدْرُهَا أَفْقٌ بَدَا كَوَكْبٌ فِيهِ كَانَ النُّورَ مِنْهُ ابْتِسَامِ
 تِلْكَ هِيَ الزَّهْرَاءُ لَاحَتْ لَهُمْ وَالكَوَكَبُ الْبَادِي عَلَيْهَا وَسَامِ

صفحة خاسرة

جواب كتاب في واقعة أغريت بها فتاة جميلة على عرضها

جَاءَ الْكِتَابُ وَأُصْدِقُ بِهِ رَسُولًا أَمِينًا
 أَدَى الْبَلَاحَ وَأَبْدَى مِنَ الْحَدِيثِ شُجُونًا
 لَكِنْ شَجَانِي خَطْبُ وَصَفْتُهُ لِي مُبِينًا
 وَصَفًا تَنَاهَيْتَ فِيهِ بَرَاعَةً وَفُنُونًا
 فَيَا لَهُ مِنْ مُصَابِ أَجْرَى الْفُؤَادِ شُؤُونًا!

أَتَلِكَ « سَارَا » الَّتِي كَا نَ حُسْنَهَا يَسْبِينَا ؟
وَكَاثَ لِلْعَقْلِ تَاخُ يَزِينُ مِنْهَا الْجَبِينَا ؟
وَاللِحْيَاءِ شُعَاعُ يَغُضُّ عَنْهَا الْجُفُونَا ؟
وَكَانَ كُلُّ ابْتِسَامٍ مِنْهَا عَطَاءٌ ثَمِينَا ؟
وَكُلُّ لَفْظٍ كَدْرٍ يَصِيدُهُ السَّامِعُونَا ؟
مَاتَتْ قَتِيلَ هَوَاهَا لَمْ تَبْلُغِ الْعِشْرِينَا
وَأَمْ تَزْفَ عَرُوسًا مَرْجُوءَةً لِلْبَنِينَا
وَأَمْ تُخَضَّبُ وَلَمْ يَشُدْ حَوْلَهَا الشَّادُونَا
وَلَمْ تَنْلِ مُلْكَ يَوْمٍ بِهِ تَقَرُّ عُيُونَا

جَلَّ الْمَصَابُ مُلْمَأً بِمِثْلِهَا أَنْ يَهْمُنَا
فَكَيْفَ وَهُوَ مُزِيلٌ نُورًا وَمُبْقِي طِينَا ؟
دَبَّ الْفَسَادُ إِلَيْهَا خَفِيفَ وَطْءٍ كَمِينَا
وَعَالَجَ الرُّوحَ حَتَّى أَبَاحَ عِرْضًا مَصُونَا
فَكَانَ أَفْدَحَ رِزْءًا وَكَانَ شَرًّا مَنُونَا
وَهَوَّنَ الْعُمَرَ خُسْرًا وَعَظَّمَ الْعِرْضَ دِينَا
يَا لَيْتَهَا فِي سَبِيلِ الْمَغْفَافِ مَاتَتْ طَعِينَا
إِذْ لَزُفَتْ ، عَزِيزًا عَلَى الْوَرَى أَنْ تَبِينَا

فِي مَشْهَدٍ يَسْتَدِرُّ الصَّفَا عَلَيْنَا عُيُونًا
 تَبْكِي الصَّوَابِ فِيهِ وَيَنْدُبُ الْمُنْشِدُونَ
 وَيَرْفَعُ الصَّوْتِ كُلِّ بِذِكْرِهَا تَأْبِينًا
 لَكِنَّا الْيَوْمَ لَيْسَتْ بِمَيْتَةٍ تَبْكِينَا
 وَلَا مُرَجَّاةَ بَعْلِ وَعَيْلَةٍ صَالِحِينَ
 أَمْسَتْ ضَرْبًا وَأَمْسَى فِيهَا الْعَفَافُ دَفِينًا
 بَاعَتْ جَمَالًا بِمَالٍ وَكَانَ بَيْنَنَا غَبِينًا
 وَالْمَالُ مَا زَالَ رَبًّا يَسْتَعْبِدُ الْعَالَمِينَ
 أَضَاهَا وَقَدِيمٌ إِضْلَالُهُ الرَّاشِدِينَ

فَانظُرْ لِمَا هُوَ نَاجٍ مِنْ حُسْنِهَا مُسْتَبِينًا
 فَإِنَّمَا هُوَ مَا لَا نَوْدَةَ أَنْ يَكُونَا
 وَزِدْ تَحْوَلْ جَمْرًا بِمَلَسِ الْفَاسِقِينَ
 طِيبٌ يُحَلَّبُ سَمًّا فِي أَنْفُسِ النَّاشِقِينَ
 نُورٌ يَمُدُّ حِرَابًا فِي أَعْيُنِ الْمُبْصِرِينَ
 مِرَاةٌ خُلِقَ عَفِيفٌ تَمَثَّلُ الْمُجْرِمِينَ
 كَأْسٌ تُرِيبُ فَتَطْمِي بِخَمْرِهَا الشَّارِبِينَ

دِكْرِي أَسَى لِحَالِي حَوَى الْفَضَائِلَ حِينَا
 ثُمَّ اغْتَدَى وَهُوَ خَالٍ مِنْهَا لَدَى النَّاطِرِينَا
 كَجَنَّةٍ كَانَ فِيهَا أَحِبَّةٌ أَهْلُونَا
 فَفَارَقُوهَا وَظَلَّتْ تَسْتَوْفِفُ الْآسِفِينَا

حنا الصغير

ترجمة قصيدة فرنسوية من ديوان الشاعرة الأدبية الآنسة جان قصيري

لِي ابْنٌ عَمِّ بَالِغٌ أَرْبَعًا مِنْ عُمْرِهِ أَوْ دُونَهَا أَشْهُرًا
 طَلَقُ الْمَحْيَا شَعْرُهُ مُذْهَبٌ وَشَعْرُهُ كَنْزٌ حَوَى جَوْهَرًا
 يَخْتَالُ كَالْجُنْدِيِّ مُسْتَكْبِرًا وَمَا أَحَبَّ الطُّفْلَ مُسْتَكْبِرًا
 قَالَتْ لَهُ الْمُرْضِعُ يَوْمًا وَقَدْ أَحْسَنَ سَيْرًا: حَقٌّ أَنْ تُؤْجَرَ
 هَيَّا نَزُرْ جَدَّتْكَ الْآنَ يَا بُنَيَّ، فَالْبَسْ ثَوْبَكَ الْأَفْخَرَا
 فَرَاخَ مِثْلَ الظَّبْيِ يَعْدُو إِلَى غُرْفَتِهِ جَدْلَانِ مُسْتَبْشِرَا
 وَكَانَ فِي إِخْدَى الْكُوَى طَائِرٌ قَدْ أَوْدَعُوهُ قَفْصًا مُقْفَرَا
 رَأَاهُ فِيهِ صَامِتًا مُوَحَّشًا كَمَا يَكُونُ الْحُرُّ مُسْتَأْسَرَا
 فَتَحَّ الْبَابَ لَهُ مُسْرِعًا وَقَالَ: أَحْسَنْتَ فَخَيْرًا تَرَى
 أَرَاكَ مُسْتَأْفًا إِلَى جَدَّةٍ تَزُورُهَا، فَادْهَبْ وَعَدُّ مَبْكَرَا

تهنئة بزفاف

أنشدها الناظم في حفلة زفاف ابن عمه السيد رشيد أسعد
مطران إلى السيدة اليس ، كريمة المرحوم خليل زهار

دَعِ مَا ظَفِرْتَ بِهِ مِنَ الْأَزْهَارِ وَخُذِ الْكَرِيمَةَ مِنْ يَدِ الزَّهَّارِ
حَسَنَاءَ قَدْ عَقَدُوا نَظَائِرَهَا لَهَا تَاجًا وَهُنَّ وَلَائِدُ الْأَشْحَارِ
يَا أَيُّهَا الْإِنْفَانِ قَدْ أَرْمَعْتُمَا سَفَرًا وَطِيبُ النَّفْسِ فِي الْأَسْفَارِ
فَتَوَلَّيَا تَرَعَا كَمَا عَيْنُ الَّذِي هُوَ فِي الْوُجُودِ مُصْرَفُ الْأَقْدَارِ
وَتَلَقَّيَا فِي «بَعْلَبِكَ» حَبَّةً وَكَرَامَةً مِنْ أُمَّةٍ أَبْرَارِ
إِنِّي لِأَهْوَى «بَعْلَبِكَ» وَأَهْلَهَا، أَوْلَا وَهُمْ أَهْلِي وَتِلْكَ دِيَارِي؟
وَأَحِبُّ فِتْيَتَهَا الْكِرَامَ فَإِنَّهُمْ سَمَّحَاءَ فِي الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ
يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَهُمْ الْأُولَى يَسْعَى الْكِبَارُ لَهُمْ مِنَ الْإِكْبَارِ
وَيُقَابِلُونَكَ يَا عَرُوسَ عَزِيزِهِمْ بِعُقَافِ أَطْفَالٍ وَرِفْقِ كِبَارِ
وَيُسَيِّجُونَكَ فِي الْمَسِيرِ كَرَامَةً وَبِحِجَلَةٍ لَكَ بِالْقَنَا الْخَطَّارِ
وَيُكَلِّلُونَكَ بِالنِّصَالِ تَشَابَكْتُ كَمِظَلَّةٍ صُنِعَتْ مِنَ الْأَنْوَارِ
هَدَى هِيَ الدَّارُ الَّتِي اسْتَوَطَّنَتْهَا وَأَوْلَتِكَ الْأَعْجَادُ أَهْلُ الدَّارِ

رُدِّي لَهَا عَهْدَ الشُّرُورِ وَجَدِّدِي عَزْمَ الشَّبَابِ لِعَائِرِ الْأَثَارِ

وَتَفَقَّدِي تِلْكَ الْمَعَابِدَ وَاسْأَلِي
 تَرَى الْأَوَالِهَ وَالْمُلُوكَ وَكُلَّ ذِي
 يَتَحَرَّكُونَ عَلَى انْتِقَالِ ظِلَالِهِمْ
 فَإِذَا هُمْ ضَحِكُوا إِلَيْكَ وَأَبْرَقَتْ
 كُونِي لَهُمْ أَمَلًا بَانَ بِنَيْكَ لَا
 وَإِذَا تَفَقَّدْتَ الدَّمَى وَعَجِبْتَ مِنْ
 الْفَيْتِنِ لَبِسنَ مِنْ فَوْقِ الْبَلَى
 فِيهَا الصَّدى عَنْ صَامِتِ الْأَسْرَارِ
 عِلْمٌ وَكُلُّ مُحَنِّكَ جَبَّارِ (١)
 وَكَأَنَّهُمْ وَثَبُوا مِنَ الْأَحْجَارِ
 فِيهِمْ أَسَارِيرٌ لِلِاسْتِبْشَارِ
 يَدْعُونَ كَسْوَتَهُمْ غُبَارَ الْعَارِ
 تِلْكَ الْمَحَاسِنِ فِتْنَةُ النُّظَارِ
 حُلًّا مُذْهَبَةً مِنَ الْأَنْوَارِ

قبلة عفاف

زُرْتُ حَيَّ الْحَسَنَاءِ وَالشَّمْسُ قَدْ
 وَكَدَّ النُّورُ مِنْ مُذْهَبِ
 وَعَبَسَ الْأَفُقُ فَلَا يُجْتَلَى
 مُشَارِفِ حِجَلَتَهَا نَاطِرِ
 يَخْفِقُ خَفَقَ الْأَيْمِ الْمُتَّقِي،
 رَأَيْتُهُ يَبْدُو بِمِرَاتِيهَا
 مُرَاقِبًا عَنْ كَتَبِ رَأْمًا
 تَنَزَّلَتْ عَنْ عَرْشِهَا الْقَائِمِ
 إِلَى الْجَنِينِ إِلَى عَائِمِ
 سِوَى نُجَيْمِ رَاجِفِ بِاسِمِ
 لَهَا بَعَيْنِ الْمُفْرَمِ الْهَامِ
 فَيَا لَهُ مِنْ مُتَّقِي آئِمِ
 وَيَنْشِي فِي قَلْبِي دَائِمِ
 مَا عَزَّ مَطْلُوبًا عَلَى الرَّائِمِ

(١) الأواله : المبودات

حَتَّى إِذَا عَنَّ لَهُ شَخْصُهَا ، وَقَدْ بَدَتْ فِي وَشِيهَا النَّاعِمِ
كَلَّاكَ بِأَهِي السَّنَى يَنْجَلِي فِي فَلَكَ مِنْ حَوْلِهِ قَائِمِ
خَالَسَهَا فِي ثَغْرِهَا قُبْلَةً وَكَانَ كَالثَّرَةِ فِي الْخَاتِمِ

عود من الصعيد

الى حضرة الفاضلة مدام شاسينه قرينة مدير دار الآثار
الفرنساوية بمصر . وقد عادت من رحلة لها في الصعيد
تفقدت فيها بعض الآثار القبطية إبان اشتداد الحر في تلك الأرجاء

أَوْقَدَ الصَّيْفُ فِي الصَّعِيدِ لظَاهُ فَأَجْفَّ الْحُقُولَ وَالْأَجَامَا
وَعَدَا النَّاسَ بَيْنَ جَوِّ كَيْفٍ مُتَرَدِّدٍ مِنَ الْغُبَارِ غَمَامَا
وَقَلَاةٍ كَأَنَّهَا الرَّمْلُ فِيهَا شَرَّرَتْ مُدَّ لَمَعَةً وَاضْطِرَامَا
وَكَانَ الْمِيَاءَ فِي النَّيْلِ تَجْرِي بِمُحْطَى أَبْطَاتٍ وَوَجْهِ تَعَامِي
شِبْهَ ذَوْبِ الرِّصَاصِ فِي الْكِبْرِيطْفِي فَإِذَا مَا طَفَى بِرَفْقٍ تَرَامِي
وَعَرَا الْأَعْيُنَ الْكَلَالُ ، فَأَيَّ نَظَرَتْ مُحْمَرَةً رَأَتْ وَقْتَامَا
وَكَانَ النُّعَاسَ فِي عَصَبِ الْأَرْضِ ضِ تَمَشَّى فَكُلُّ مَا دَبَّ نَامَا
وَكَانَ الدَّمَى الَّتِي صَنَعَتْهَا أُمَّهُ الْقِبْطِ مُتَعَبَاتٌ قِيَامَا
بَلَدٌ طُفْتِهِ جَدِيًّا كَثِيْبًا فَارْتَوَى مِنْكَ نَضْرَةً وَابْتِسَامَا

وفاة

الملكة فكتوريا

بنوك فروع للعلی وأصول
وسعدك في الأمثال سار ولم يكن
وما شهد الأقوام قبلك سيداً
ولا أمراً يدعونه فهو سامع
فلما دهك البين جل مصابهم
أيعجز هذا الأيد والمجد لله
وتفديك جند في الحروب أعزة
عجبت لها في قيد باع توسدت
وكانت كنجم ثابت فازالها
كان مجموع الخلق يوم ترحلت
كان القصور الحافات بمحسدهم
كان نجوم الليل حراس نومها
كان بزوغ الشمس بعد اختجابها
كان جنود البر سارت بنعشها
وملك ما للشمس عنه أقول
له في سعود المالكين مثيل
يطاع ، مطيعاً قومه ، ويصول
وتستمع الأقدار حين يقول
فلا عين إلا بالحداد كحيل
فيرجع دون البين وهو كليل؟
وأنت بلا سهم أصاب قتيل
ودولتها في الخاقين تدول
قضاء أرانا النجم كيف يزول
عيال عليها نادب وتكول
رسوم خلت من نابت وطلول
وأنوارها شبه الشموع تسيل
لتنظر حال الحسن كيف تحول
جبال رمال ، تعلى وتهيل

كَأَنَّ أَسَاطِيلَ الْبِحَارِ وَقَدْ مَشَتْ بِهَ جَزَعَاتُ وَالْخَضَمِّ مَهُولُ
 فَيَا لِعَظِيمِ الْجَاهِ لَمْ يَكُ مُغْنِيَا لَدَى الْمَوْتِ مِنْهُ تَالِدٌ وَأَثِيلُ
 وَيَا لَطَوِيلِ الْعُمْرِ تُقْنِيهِ لِحَظَةً ، وَهَلْ عُمُرٌ رَهْنُ الْفَنَاءِ طَوِيلُ ؟

الوردة والزنبقة

حكاية فتاة أهدت عنها ألف صباحا لأن أهلها ، وهم أغنياء ، أبوا تزويجها منها وهي فقيرة

كتاب من لبلى إلى عزيز

مَلَأْتُمْكُمْ عَدْلًا لَوْ الْحُبُّ يَعْدِلُ وَإِرْشَادُكُمْ عَقْلًا لَوْ الْقَلْبُ يَعْقِلُ
 رَمَانِي الْهَوَى سَهْمًا أَصَابَ حُشَاشَتِي ، فَكَيْفَ عَلَيَّ مَا أَشْتَكِي مِنْهُ أُعْذَلُ ؟
 ذَرُونِي وَشَأْنِي إِنَّهُ لَوْ تَقَى الْأَسَى مَلَامٌ نَخَفْتُ الَّذِي أَتَحَمَّلُ (١)
 كِتَابَ حَبِيبِي أَنْتَ خَيْرُ تَعَلَّةٍ لِقَلْبِي وَقَدْ أَعْيَى الطَّبِيبُ الْمُعَلَّلُ
 كَشَفْتَ ظِلَامَ الشُّكِّ عَن وَجْهِ حُبِّي فَفَلَا حَ كَبَدِرِ التَّمِّ وَاللَّيْلِ أَلِيلُ (٢)
 وَنَبَّهْتَ ظَنِّي لِلْعِدَى وَهُوَ غَافِلٌ عَلَيَّ حِينَ عَيْنِي مِنْ جَوَى لَيْسَ تَغْفُلُ
 أَبَانُوهُ عَنِّي فَابْتَلَوْهُ بِقَاتِلِي مِنَ الدَّاءِ وَالِدَاءِ الَّذِي بِي أَقْتَلُ
 فَلَيْسَ عَلَيَّ قُرْبُ الْمَزَارِ بِمَائِدِي وَمَا بِي أَنْ أَسْعَى إِلَيْهِ فَأَفْعَلُ

(١) ذروني : دعوني (٢) أبل : مظلم

تَنَاطَرُ دَارَانَا وَيَتَحَجَّبُنَا نَوَى
وَلَوْ أَنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا مُؤَمَّلًا
شَقِيتُ وَعَمَّتْ شِقْوَتِي مَا يُحِيطُ بِي
وَكَنتُ أَرَى الْأَزْهَارَ أَسْعَدَ حَالَةً
فَأَلْفَيْتُ أَنْ لَا حَيَّ إِلَّا مُعَذِّبٌ
مَعَاهِدُ صَفْوِي فِي الصَّبِيِّ بَانَ صَفْوَاهَا
وَرَوْضَةُ إِيْنَاسِي وَلَهْوِي تَحَوَّلَتْ
يُعِيدُ حَدِيدَ اللَّحْظِ وَهُوَ مُفَلَّلٌ
وَلَكِنْ غَدَوْنَا وَالْحَمَامُ الْمُؤَمَّلُ
فَمَا سَلِمَتْ رَوْضٌ وَلَمْ يَنْجُ مَنْزِلُ
فَأَحْسَدُهَا وَالسَّعْدُ بِالزَّهْرِ أُمَثَلُ
وَأَشَقَى ذَوِي الْآلَامِ مَنْ يَتَعَقَّلُ
كَأَنَّ الَّذِي فِي النَّفْسِ لِلدَّارِ يَشْمَلُ
فَلَا حُسْنَهَا يُسَلِّي وَلَا الشَّدْوُ يَشْفَلُ

تَفَقَّدَتْهَا وَالْفَجْرُ يَفْتَحُ جَفْنَهُ
فَطَفَّتْ عَلَى الْأَزْهَارِ فِي أَمْنِ نَوْمِهَا
أُحَاوِلُ سُلْوَانًا بِتَشْكِيلِ طَاقَةٍ
وَمَا كُنْتُ مَنْ يَجْنِي عَلَيْهَا خَلَاتِقًا
إِلَى أَنْ بَدَتْ لِي وَرْدَةٌ مُسْتَكِينَةٌ
لَمَا طَلَعَتْ الْجَاهِ الْمُؤَمَّلِ وَالصَّبِيِّ
تَلُوْحُ عَلَيْهَا لِلْكَابَةِ وَالْأَسَى
وَيُكْسِبُهَا مَعْنَى الْحَيَاةِ ذُبُولَهَا
مَلِيكَةُ ذَاكَ الرَّوْضِ جَاوَرَ عَرْشَهَا
كَمَا انْتَبَهَ الْوَسْنَانُ وَالْجَفْنُ مُثْقَلٌ^(١)
أَنْبِئَهَا جَذْبًا إِلَى فَتْحِ جَفْنِ
فَأَقْتُلُ مِنْهَا مَا أَشَاءُ وَأُكِلُ
ضِعَافًا، وَلَكِنْ جِنَّةُ الْيَأْسِ تَحْمِلُ^(٢)
كَأَنَّ دُمُوعَ الْفَجْرِ فِيهَا تَهَلَّلُ
وَفِي الْوَجْهِ تَقْطِيبٌ لِمَنْ يَتَأَمَّلُ^(٣)
مَخَائِلُ دَقَّتْ أَنْ تُرَى فَتُخَيَّلُ
لَدَى نَاطِرِيهَا فَهِيَ فِي النَّفْسِ أُجْمَلُ
مِنْ الزَّئْبِقِ الْعَائِي مَلِيكٌ مُكَلَّلُ

(١) الوسنان : النائم (٢) جنة (بكسر الجيم) : جنون (٣) تقطيب : عبوسة

أَغْرُهُ الْمَحْيَا كَالصَّبَاحِ نَفِيَّهُ إِذَا مَا اسْتَمَالَتَهُ إِلَى الْوَرْدَةِ الصَّبَا
فَلَا يَنْتَنِي كِبْرًا وَلَا يَتَحَوَّلُ فَبَيْنَا يَدِي تَمْتَدُّ أَنَا إِلَيْهِمَا
وَيَمْنَعُنِي الْإِشْفَاقُ أَنَا فَأَعْدِلُ وَيَبْدُو جَبِينُ الصُّبْحِ وَهُوَ مُعْصَبُ
بِتَاجِ كَأَنَّ التُّبْرُ فِيهِ مُخْضَلُ^(١) وَمَا تَنْشَظِي شَمْسُهُ فِي اشْتِعَالِهَا
تَشْظِي قَلْبِي وَهُوَ بِالشَّوْقِ مُشْعَلُ^(٢) إِذَا وَالِدِي قَدْ طَوَّقْتَنِي يَمِينُهُ
وَفِي وَجْهِهِ دَمْعٌ مِنَ الْعَيْنِ مُرْسَلُ قَبْلَتُهُ ظَمَأَى كَأَنَّ بِمُهْجَتِي
لَطَى النَّارِ وَالشَّيْبُ الْمُقْبَلُ مِنْهُلُ فَقَالَ وَمَا يَدْرِي بِمَوْقِعِ قَوْلِهِ
لِمَا هُوَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِكَ يَجْهَلُ شَفِيقًا بِحَالِ الزَّهْرَتَيْنِ فَوَادُهُ
شَفِيحًا بِمَا فِي وَسْعِهِ يَتَوَسَّلُ : « بَنِيَّةٌ عَمْرًا عَنْهُمَا فَكَلَاهُمَا
شَقِيٌّ يَوَدُّ الْوَتَّ وَالْوَتُّ مُمِهُلُ فَلَا تَسْبِقِي سَيْفَ الْقَضَاءِ إِلَيْهِمَا
عَلَى أَنَّهُ يَشْفِيهِمَا لَوْ يُعَجَّلُ حَبِيبَانِ مَرًّا سَاعَةً ثُمَّ عَوْقِبَا
طَوِيلًا . كَذَاكَ الدَّهْرُ يَسْخُو وَيَبْخَلُ وَإِنَّ لِهَذَيْنِ الْعَشِيقَيْنِ حَادِثًا
غَرِيبًا بُوَدِّي أَنْ أَرَى كَيْفَ يَكْمَلُ فَقَدْ جَاوَرَتْ هَذِي الْوَفِيَّةُ إِلْفَهَا
إِذِ الْإِلْفُ مَيَّاسُ الْمَعَاطِفِ أَمِيلُ فَكَانَ إِذَا مَرَّتْ بِهِ نَسَمُ الصَّبَا
بُسْرُ إِلَيْهَا مِرًّا مَنْ يَنْغَزَلُ يَدَاعِبُهَا جُهْدَ الصَّبَابَةِ وَالْهُوَى
وَيَرْشُفُ كُلٌّ مِنْ جَبِينِ حَبِيبِهِ وَتُعْرِضُ عَنْهَا لَاعِبًا ثُمَّ يَقْبَلُ
دُمُوعَ النَّدَى حَمْرًا رَحِيقًا فَيَشْمَلُ

(١) مخضل : مندى (٢) تنشظي : تشع اتفاقا

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثِ النُّصْنُ أَنْ جَفَا فَلَمْ تَشْنِ عِطْفِيهِ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ
فَشَقَّ عَلَيَّهَا بَيْنَهُ وَهُوَ جَارُهَا وَبَاتَتْ لِفِرْطِ الْحُزْنِ تَذْوِي وَتَنْحُلُ
وَعَمَّا قَلِيلٍ يَقْضِيَانِ مِنَ الْجَوَى وَإِنْ صَحَّ ظَنِّي فَهِيَ تَهْلِكُ أَوَّلُ «

فَوَا رَمَحْتَا ! هَدَى حَقِيقَةُ حَالِنَا رَأَاهَا أَبِي فِي الزَّهْرَتَيْنِ تَمَثَّلُ
بَكَى جَزَعًا لِلزَّهْرَتَيْنِ وَلَوْ دَرَى لَصَانَ لَنَا الدَّمْعَ الَّذِي رَاحَ يَبْدُلُ
هُمَا صُورَتَانَا فِي الْهَوَى وَحَدِيثُنَا حَدِيثُهُمَا بَيْنَ الْأَزَاهِرِ يُنْقَلُ
أَقْبَلُ ذَاكَ النُّصْنِ كُلَّ صَبِيحَةٍ كَأَنِّي لِلنَّائِي الْحَبِيبِ أَقْبَلُ
وَأَنْظُرُ أُخْتِي فِي الشَّقَاءِ كَأَنِّي أَرَانِي بِمِرَاةٍ أَمُوتُ وَأَذْبَلُ

تامة ونعيم

وَتَفَاحَةٍ أُعْطَيْتِنِيهَا تَكَرُّمًا فَأَوْلَيْتِنِي فَضْلًا بِذَلِكَ عَظِيمًا
بِهَا أَفْقَدْتُ حَوَاءَ آدَمَ جَنَّةً وَأَكْسَبْتِنِي تَفَاحَةً وَنَعِيمًا

الاقتران

أنشئت في حفلة زفاف كريمة آل طنبه إلى السرى
الفاضل سليم بسترس بك المحامى عام ١٩٠٢

كَانَ لَيْلٌ وَآدَمٌ فِي سُبَاتٍ نَامَ عَنْ حِسِّهِ إِلَى مِيقَاتِ
وَالْبَرَايَا فِي هِدَاةِ الظُّلُمَاتِ خَاشِعَاتٌ رَجَاءُ أَمْرِ آتِ
يَتَوَقَّعَنَّ آيَةَ الْآيَاتِ

وَالرَّبِّي فِي مُسُوْحِيْنٍ سَوَاجِدٍ مِنْ بَعِيدٍ وَالْأَفُقُ جَآثٍ كَمَا بَدِ
وَنُجُومُ الثَّرَى سَوَاهٍ سَوَاهِدٍ وَنُجُومُ الْعُلَى رَوَانٍ شَوَاهِدٍ
يَتَطَلَّعَنَّ مِنْ عَلِي ذَاهِلَاتِ

نَظَرَ اللهُ آدَمًا فِي الْخُلُودِ مُوَحَّشًا لِانْفِرَادِهِ فِي السُّعُودِ
مُسْتَزِيدًا وَالتَّقْصُ فِي الْمُسْتَزِيدِ فَرَأَى أَنْ يُتِمَّهُ فِي الْوُجُودِ
بِعُرُوسٍ شَرِيكَةٍ فِي الْحَيَاةِ

إِلْفُ عُمْرٍ، وَالْإِلْفُ لِلْإِنْسَانِ حَاجَةٌ مِنْ لَوَازِمِ النُّقْصَانِ
تِلْكَ فِي الْخَلْقِ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ سَهًا مِنْذُ بَدَأَ هَذَا الْكِيَانَ
وَبِهَا قَامَ عَالَمُ الْفَانِيَاتِ

مِنْذُ كَانَتْ هَذِي الْخَلِيقَةُ قَدَمًا نَثَرَاتٍ مِنْ الْهَبَاءِ فَضَمًّا

مَا تَرَاحَى مِنْهَا ، فَأَلْفَ جِرْمًا ثُمَّ أَحْيَاهُ ، ثُمَّ آتَاهُ جِسْمًا
مِثْلَهُ ، يَكْمَلَانِ ذَاتًا بِذَاتٍ

بُسِطَتْ أُنْمُلُ اللَّطِيفِ الْقَدِيرِ فِي الدُّجَى مِنْ أَوْجِ الْعَلَاءِ الْمُنِيرِ
فَأَمَّاجَتْ بِالضَّوْءِ بِحَزْزِ الْأَيْبِرِ وَأَلَمَّتْ بِأَدَمٍ فِي السَّرِيرِ
لِاجْتِرَاحِ الْكُبْرَى مِنَ الْمُعْجَزَاتِ

فَتَحَّتْ جَنْبَهُ وَسَلَّتْ بِعَطْفٍ مِنْهُ ضِلْعًا فَجَاءَ تِمَثَالٍ لُطْفٍ
جَلَّ قَدْرًا عَنِ أَضْلِهِ فَاسْتَصَفَى مِنْ دَمِ الصَّدْرِ لِأَلْتِرَابِ الصَّرْفِ
وَسَمَا عَنِ صِفَاتِهِ بِصِفَاتٍ

فَبَدَّتْ غَضَّةَ الصَّبِيِّ « حَوَاهِ » وَهِيَ هَيْفَاءُ كَاعِبٍ زَهْرَاهُ
لَيْدِ اللَّهِ مَظْهَرٌ وَضَاهُ وَسَنَى بَيْنَ بَهَا وَسَنَاهُ
شَفَّ عَنْهُ الْجَمَالُ كَالْمِرْآةِ

تَتَجَلَّى وَاللَّيْلُ يَمْضِي انْدِفَاعًا نَاطِرًا خَلْفَهُ إِلَيْهَا اِرْتِيَاعًا
وَبَشِيرُ الصَّبَاحِ يُدْلِي الشُّعَاعَا نَاطِرًا رَايَاتِ الضِّيَاءِ تَبَاعَا
دَاعِيًا لِلشُّرُورِ وَالتَّهْنِئَاتِ

وَتَوَالِي النُّجُومِ تَرْمُقُ أَنَا حُسْنَهَا ثُمَّ تُغْمِضُ الْأَجْفَانَا
وَنُجُومُ الْجِنَانِ تُبْدِي افْتِنَانَا بِالْجَمَالِ الَّذِي رَأَتْهُ فَكَانَا
آيَةَ الْمُبْصِرَاتِ وَالسَّامِعَاتِ

وَتَنَاجَتْ فَوَاحُ الْأَزْهَارِ وَتَنَادَتْ نَوَافِحُ الْأَسْحَارِ
وَتَدَاعَتْ صَوَادِحُ الْأَطْيَارِ قُلْنَ : هَذِي خُلَاصَةُ الْأَسْرَارِ
وَخِتَامُ الْعَجَائِبِ الْمُدْهَشَاتِ

رَبَّنَا مَا سِوَاكَ مِنْ مَعْبُودٍ أَيْ خَلْقٍ نَرَى بِشَكْلِ جَدِيدٍ؟
بِنْتِ شَمْسٍ؟ أَمْ قَدْ بَدَتْ لِلْعَبِيدِ صِفَةٌ مِنْكَ فِي مِثَالٍ فَرِيدٍ
لِتَلْقَى سُجُودَنَا وَالصَّلَاةَ؟

قَالَ صَوْتٌ : هِيَ الْعِنَايَةُ حَلَّتْ فَأَنَارَتْ مَلِيكَكُمْ وَأُظْلَمَتْ
وَهِيَ سُلْطَانَةٌ عَلَيْكُمْ تَوَلَّتْ وَهِيَ فِي يَوْمِهَا عُرُوسٌ تَجَلَّتْ
وَعَدَا أُمُّ سَادَةِ الْكَائِنَاتِ

تِلْكَ حَوَاهِ فِي ابْتِدَاءِ الزَّمَانِ لَمْ يُكَدِّرْ صَفَاءَهَا فِي الْجِنَانِ
مَا سِوَى جَهْلِ سِرِّ هَذَا الْكِيَانِ وَشُعُورِ بَأَنَّ فِي الْعِرْفَانِ
لَذَّةٌ فَوْقَ سَائِرِ اللَّذَاتِ

فَاشْتَرَتْ عَلَيْهَا بِفَقْدِ الدَّوَامِ وَاشْتَرَتْ بِالنَّعِيمِ سِرَّ الْفِرَامِ
وَاسْتَحَبَّتْ عَلَى اعْتِدَالِ الْمَقَامِ عَيْشَةً بَيْنَ صِحَّةٍ وَسَقَامِ
فِي التَّصَابِي وَمُلْتَقَى وَشَتَاتِ

فَإِذَا كَانَ فِعْلُهَا ذَلِكَ إِذَا أَلَمَ تَقْدُ - حِينَ أَضْحَتْ أُمَّا

بِمَعَانَتِهَا الْعَذَابَ الْجَمًّا - رَوْحَ قُدْسٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أُسْمِيَ
مَصْدَرًا لِلْبِدَاءِ وَالرَّحْمَاتِ؟

غُبِنَتْ فِي الْخِيَارِ غَبْنًا جَسِيًّا لَكِنْ اعْتَاضَتْ اعْتِيَاضًا كَرِيمًا
أَوْ لَمْ تُؤْتِنَا الْهَوَى وَالْعُلُومًا؟ فَنَعِمْنَا وَزَادَ ذَاكَ النَّعِيمَا
مَا حُفِنَا بِهِ مِنَ الشَّقَوَاتِ؟

فَلِهَذَا نُحِبُّهَا كَيْفَ كُنَّا إِنْ فَرِحْنَا فِي حَالَةٍ أَوْ حَزِنْنَا
أَوْ جَزَعْنَا لِجَادِثٍ أَوْ أَمِنَّا وَهَوَّأَهَا مِنَ الْأَبْرَرِينَ مِنَّا
فِي صَمِيمِ الْقُلُوبِ وَالْمُهْجَاتِ

رثاء

للمرحوم فقيد الأمتين بشارة تقلا باشا

سَلِمْتَ لَوْ أَنَّ السَّهْمَ سَهْمٌ مُقَاتِلٍ وَلَكِنَّ مَا أَضْمَاكَ سَهْمٌ مُخَاتِلٍ^(١)
تَغَافَلَ مِنْكَ الرَّأْيُ طَرْفَةً مُقَلَّةً فَخَوْلِسْتَهَا ، وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِغَافِلٍ
وَقَدْ عَلِمَ الْمَوْتُ الَّذِي بَتَّ حَرْبَهُ مِرَاسِكَ فِي دَفْعِ الرَّزَايَا الْجَلَالِ
وَلَكِنَّهَا الْأَعْمَارُ إِنْ هِيَ عُوْجِلَتْ فَلَا حَوْلَ فِي رَدِّ الْقَضَاءِ الْمُعَاجِلِ

(١) مخاتل : أخذ على غرة

قَضَاءُ بِإِفْنَاءِ الْحَيَاةِ مُوَكَّلٌ
 فَلَيْسَ يَمُنَّجُ مِنْهُ قَلْبُ مُنَاضِلٍ
 وَلَا حِرْصُ أُخْتَى الْوَالِدَاتِ عَلَى ابْنِيهَا
 وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالذَّاءِ فَالطَّبُّ لَمْ يَزَلْ
 لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ طَوِيلٍ وَسَاعَةٍ
 نَرَى شُهْبَهُ وَالذَّمْعُ يَفْشَى عُيُونَنَا
 وَتَسْمَعُ مِنْهُ فِي الشُّكُونِ تَنَهْدًا
 وَقَهْنَا بِهِ نَقْضِي وَدَاعَ حَبِيبِنَا
 نُنَادِي الْهَمَامَ الْمُرْتَجِي غَيْرَ سَامِعٍ
 نُنَادِي أُمَّرَ الْأَصْدِقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
 نُنَادِي «أَبَا جَبْرِيلَ» بِاسْمِ وَحِيدِهِ
 إِلَى أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ آخِرَ زَائِلٍ
 إِلَى آخِرِ الْأَنْفَاسِ أَوْ عَزْمُ بَاسِلٍ
 وَلَا جُهْدُ أَوْفَى بَرَّةٍ فِي الْعَقَائِلِ ^(١)
 سِلَاحَ الْمَنَايَا فِي يَدَيْ كُلِّ جَاهِلٍ
 حَسِبْنَا الْمَدَى فِي سَيْرِهَا الْمُتَشَاوِلِ
 تَلُوحُ وَتَمُخِّنِي كَالذَّمُوعِ السَّوَائِلِ
 وَذَاكَ صَدَى أَنْفَاسِنَا فِي الْمَخَائِلِ
 حَيَارَى كَأَشْبَاحِ بَوَاكِ ثَوَاكِلِ
 وَكَانَ مُجِيبًا قَبْلَهَا كُلَّ سَائِلِ
 يُخَيِّبُ إِذْ يُدْعَى رَجَاءً لِأَمَلِ
 وَقَدْ كَانَ لَا يُعْتَاقُ عَنْهُ بِشَاغِلِ

فَتَى الْمَجْدِ إِنَّ الْقَوْمَ جَالُوا وَسَاجَلُوا
 فَأَيْنَ الَّذِي كَانَ الْمَقْدَمَ فِيهِمْ
 وَأَيْنَ الَّذِي صَنَمَ دُونَ عَزْمِهِ
 وَأَيْنَ الَّذِي كَانَتْ بَوَادِرَ فِكْرِهِ
 وَأَيْنَ الَّذِي فِي كُلِّ مِصْرٍ يَحْمَلُهُ
 وَأَرْخَى عِنَانَ الرَّأْيِ كُلِّ مُطَاوِلِ
 وَكَانَ وَدِيعَ النَّفْسِ عَفَّ الشَّمَائِلِ؟
 مَضَاءُ إِذَا مَا اسْتَلَّهُ فِي الْمَعَاضِلِ؟
 تَخَطَّفَ بَرَقٍ فِي قُطُوبِ الْمَشَاكِلِ؟
 لَهُ الْمَنْزِلُ الْمَرْفُوعُ بَيْنَ الْمَنَازِلِ؟

(١) برة : بارة

وَأَيْنَ الَّذِي مِيعَادُهُ غَيْرُ مُخْلَفٍ وَتَسْبِقُ مِنْهُ الْقَوْلَ غُرَّةُ الْفَعَائِلِ؟

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْفَى مُفَارِقٍ وَفِي ذِمَّةِ الْعَلِيَاءِ أَكْرَمُ رَاحِمٍ
وَذَاكَ الشَّبَابُ الْغَضُّ وَالْهِمَّةُ الَّتِي تَدْوَسُ إِلَى غَايَاتِهَا كُلَّ حَائِلٍ
وَتِلْكَ الْعُيُونُ النَّاطِقَاتُ لِحَاطِمِهَا بِأَجَلِي بَيَانًا مِنْ مَقَالَةٍ قَائِلٍ
وَذَاكَ الْقُوَادُ الثَّبْتُ فِي كُلِّ أَرْمَةٍ إِذَا مَرَّتِ الْأَحْدَاثُ مَرَّ الزَّلَازِمِ

« بَشَارَةٌ » جَلَّ الْخَطْبُ فِيكَ وَإِنَّهُ نَخَطِبُ عَمِيمٌ لِلْعُلَى وَالْفَضَائِلِ
فَإِنْ تَبَكَ « مِصْرٌ » فَهِيَ تَبْكِي مُصَابَهَا بِأَرْوَعِ مَيْمُونِ النَّقِيبَةِ فَاضِلِ
وَإِنْ تَبَكَ « سُورِيًّا » فَقَدْ كُنْتَ رُكْنَهَا وَكُنْتَ أَبْرًا ابْنِ لِأَجْزَعِ ثَاكِلِ
وَإِنْ تَبَكَ أَرْبَابُ الصَّحَافِ تَرْحَةً فَقَدْ يَعْرِفُ الثَّالُونَ فَضْلَ الْأَوَائِلِ

فِي إِحْسَانِ مُحَسِّنَةٍ

حَبَّبَ الْفَقْرَ إِلَيْنَا مِنْكَ إِحْسَانٌ شَرِيفٌ
فَأَشْتَهَى الْمَوَسِرُ مِنَّا أَنَّهُ عَافٍ يَطُوفُ (١)

(١) عاف : فقير

المساء

قال الناظم وهو عليل في مكس الاسكندرية

دَاءَ أَلَمٍ فَخِلْتُ فِيهِ شِفَائِي مِنْ صَبَوْتِي ، فَتَضَاعَفَتْ بُرْحَائِي
يَا لِلضَّعِيفِينَ ! اسْتَبَدَّ بِي وَمَا فِي الظُّلْمِ مِثْلُ تَحَكُّمِ الضُّعْفَاءِ
قَلْبٌ أَذَابَتْهُ الصَّبَابَةُ وَالْجَوَى وَغِلَالَةٌ رَمَتْ مِنْ الْأَدْوَاءِ
وَالرُّوحُ بَيْنَهُمَا نَسِيمٌ تَنَهَّدُ فِي حَالِي التَّضْوِيبِ وَالصُّعْدَاءِ
وَالْعَقْلُ كَالصَّبَاحِ يَفْشَى نُورَهُ كَدَّرِي وَيُضْعِفُهُ نُضُوبُ دِمَائِي

هَذَا الَّذِي أَبْقَيْتَهُ يَا مُنَيَّتِي مِنْ أَضْلَعِي وَحَشَّاشَتِي وَذِكَائِي
عُمَرَيْنِ فِيكَ أَضَعْتُ لَوْ أَنْصَفْتَنِي لَمْ يَجْدُرَا بِتَأْسُفِي وَبُكَائِي
عُمَرَ الْفَتَى الْفَانِي وَعُمَرَ مَخْلَدٍ بَبْيَانِهِ لَوْلَاكَ فِي الْأَحْيَاءِ
فَقَدَوْتُ لَمْ أَنْعَمْ كَدِّي جَهْلٍ وَلَمْ أَغْنَمْ كَدِّي عَقْلٍ ضَمَانَ بَقَاءِ

يَا كَوْكَبًا مَنْ يَهْتَدِي بِضِيَائِهِ يَهْدِيهِ طَالِعُ ضِلَّةٍ وَرِيَاءِ
يَا مَوْرِدًا يَسْقِي الْوُرُودَ سَرَابُهُ ظَمًا إِلَى أَنْ يَهْلِكُوا بِظَمَاءِ
يَا زَهْرَةً تُحْيِي رَوَاعِيَ حُسْنِهَا وَتُمِيتُ نَاشِقَهَا بِلَا إِرْعَاءِ^(١)

(١) رواعي : العيون التي ترعى . بلا إرعاء : بلا إبقاء عليه

هَذَا عِتَابُكَ ، غَيْرَ أَنِّي مُحْطِيٌّ
 حَاشَاكَ بَلْ كُتِبَ الشَّقَاءُ عَلَى الْوَرَى
 نَعَمْ الضَّلَالَةُ حَيْثُ تُؤْنِسُ مُقَلَّتِي
 نَعَمْ الشَّفَاءُ إِذَا رَوَيْتُ بِرِشْفَةٍ
 نَعَمْ الْحَيَاةُ إِذَا قَضَيْتُ بِنَشْقَةٍ
 إِيرَامُ سَعْدٌ فِي هَوَى حَسَنَاءُ
 وَالْحُبُّ لَمْ يَبْرَحْ أَحَبَّ شَقَاءُ
 أَنْوَارُ تِلْكَ الطَّلَعَةِ الزَّهْرَاءُ
 مَكْدُوبَةٌ مِنْ وَهْمِ ذَاكَ الْمَاءِ
 مِنْ طِيبِ تِلْكَ الرَّوْضَةِ الْغَنَاءِ

إِنِّي أَقَمْتُ عَلَى التَّلَعَةِ بِالْمَنَى
 إِنْ يَشْفِ هَذَا الْجِسْمَ طِيبُ هَوَاهَا
 أَوْ يُمَسِّكِ الْخَوْبَاءَ حُسْنُ مَقَامِهَا
 عَبْتُ طَوَافِي فِي الْبِلَادِ وَعِلَّةٌ
 مُتَفَرِّدٌ بِصَبَابَتِي ، مُتَفَرِّدٌ
 شَاكٍ إِلَى الْبَحْرِ اضْطِرَابَ خَوَاطِرِي
 ثَاوٍ عَلَى صَخْرٍ أَصَمٍّ وَلَيْتَ لِي
 يَنْتَابُهَا مَوْجٌ كَمَوْجِ مَكَارِهِ
 وَالْبَحْرُ خَفَاقُ الْجَوَانِبِ ضَائِقُ
 تَنْشَى الْبَرِيَّةَ كُدْرَةً وَكَأَنَّهَا
 وَالْأَفْقُ مُعْتَكِرٌ قَرِيحٌ جَفْنُهُ
 فِي غُرْبَةٍ قَالُوا : تَكُونُ دَوَائِي
 أَيْلُطُفُ النُّيْرَانِ طِيبُ هَوَاءِ ؟
 هَلْ مَسَكَةٌ فِي الْبُعْدِ لِلْحَوْبَاءِ ؟ (١)
 فِي عِلَّةٍ مَنْفَايَ لِاسْتِشْفَاءِ
 بِكِكَابَتِي ، مُتَفَرِّدٌ بِعِنَائِي
 فَيُجِيبُنِي بِرِيَاحِهِ الْهَوَاجَاءُ
 قَلْبًا كَهَذِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
 وَنَفْتَهَا كَالسُّقْمِ فِي أَعْضَائِي
 كَمَدًّا كَصَدْرِي سَاعَةَ الْإِمْسَاءِ
 صَعِدْتُ إِلَى عَيْنِي مِنْ أُخْشَائِي
 يُغْضِي عَلَى الْغَمْرَاتِ وَالْأَقْدَاءِ

(١) يمسك الحوباء : يحفظ الروح

يَا لِلْغُرُوبِ وَمَا بِهِ مِنْ عِبْرَةٍ
 أَوْلَيْسَ نَزْعًا لِلنَّهَارِ وَصَّرَعَةً
 أَوْلَيْسَ طَمَسًا لِلْيَقِينِ وَمَتْبَعًا
 أَوْلَيْسَ مَحْوًا لِلْوُجُودِ إِلَى مَدَى
 حَتَّى يَكُونَ النُّورُ تَجْدِيدًا لَهَا
 لِلْمُسْتَهَامِ ! وَعِبْرَةٌ لِلرَّائِي ! !
 لِلشَّمْسِ بَيْنَ مَا تَمِ الْأَضْوَاءُ ؟
 لِلشَّكِّ بَيْنَ غَلَائِلِ الظُّلْمَاءِ ؟
 وَإِبَادَةَ الْعَالِمِ الْأَشْيَاءِ ؟
 وَيَكُونُ شِبْهَ الْبَعْثِ عَوْدُ ذُكَاةٍ (١)

وَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالنَّهَارُ مُودَعٌ
 وَخَوَاطِرِي تَبْدُو تُجَاهَ نَوَاطِرِي
 وَالذَّمْعُ مِنْ جَفْنِي يَسِيلُ مُشْعَشَعًا
 وَالشَّمْسُ فِي شَفْقِي يَسِيلُ نُضَارُهُ
 مَرَّتْ خِلَالَ غَمَامَتَيْنِ تَحْدُرًا
 فَكَأَنَّ آخِرَ دَمْعَةٍ لِلْكَوْنِ قَدْ
 وَكَأَنِّي آنَسْتُ يَوْمِي زَائِلًا
 وَالْقَلْبُ بَيْنَ مَهَابَةٍ وَرَجَاءِ
 كَلِمَى كَدَامِيَةِ السَّحَابِ إِزَائِي (٢)
 بِسَى الشُّعَاعِ الْغَارِبِ الْمُتْرَائِي
 فَوْقَ الْعَقِيقِ عَلَى ذُرَى سَوْدَاءِ (٣)
 وَتَقَطَّرَتْ كَالدَّمْعَةِ الْحَمْرَاءِ
 مُرَجَّتْ بِأَخْرِ أَدْمَعِي لِرِثَائِي
 فَرَأَيْتُ فِي الْمِرَاةِ كَيْفَ مَسَائِي

(١) ذكاء : الشمس (٢) كلمى : جريحة (٣) ذرى : مرتضات

باقة مائدة

كان الناظم مريضاً ومصطافاً في المكس . فلما عائل للشفاء دعا بعض الأسر
للمصرية التي كانت هناك لتناول العشاء ليشكر لها بعض الشكر عنايتها به أيام
اعتلاله ، وهيا مائدة مزدانة بالأزهار . فجعل أمام كل سيدة من المدعوآت كأساً
تبدو منها زهرة فريدة بين نظائرهما أقرب الأزهار شبيهاً الى صاحبها ، ووضع
وراء الكأس ورقة مقوأة ذات صفحتين - على إحداها وهي المواجهة للسيدة
تعداد الأطعمة كالمألوف وعلى الصفحة الثانية أبيات من الشعر بين بها الناظم معنى
وضع كل زهرة أمام صاحبها

قال في السيدة المتصدرة وتجاهها وردة :

لَكَ صَدْرُ الْقَامِ فِي كُلِّ نَادٍ كُلُّ عَقْدٍ ذُو دُرَّةٍ مُخْتَارَةٍ
فَخُذِي مَنَصِبَ الْإِمَارَةِ فِينَا إِنَّ لِلْوَرْدِ فِي الْجَنَانِ الْإِمَارَةَ

وكتب في صحيفة فتاة أمامها نرجسة :

أَلْتَرَجِسُ اتَّخَافِضُ أَجْفَانَهُ لَيْسَ بَوَسْنَانَ وَلَا نَأْمُ
لَكِنَّ أَلْحَاطَكَ أَخَجَلْتَهُ فَفَضَّ عَنْهَا مَقَلَةَ الْكَاطِمِ

وكتب في صحيفة فتاة أمامها زنبقة :

زَنْبَقَةُ الْمَجْلِسِ فُوحِي لَنَا طِيباً ، فَذَا الطَّيِّبُ مِنَ الْعَقْلِ فَاحٌ
أَنْتِ ابْتِسَامٌ صِيغَ فِي قَطْرَةٍ مِنْ النَّدَى فِي قَبَسٍ مِنْ صَبَاحِ

وكتب في صحيفة بنيت لأول اقبال صباحا وازاءها فلة :

يَا فُلَّةً تَطْلُعُ مِنْ كَهْمَا كَسَحَرٍ مِنْ أَفْقِ الْبَحْرِ
غَدَا تُرِينَا مِنْ جَمَالِ الصُّحَى مَا هُوَ مِثْلُ الْعَيْنِ وَالْفِكْرِ

فنجان قهوة

حديث واقعة جرت في قصر ملك مستبد

هذه القصيدة وتاليتها نظمتا لتشدا في مجلس
سيده نبيلة على إثر محاضرة دعت الى ذلك

أَلْبَحْرُ سَاجٍ وَالسَّكِينَةُ سَائِدَةٌ وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَالْمَدِينَةُ رَاقِدَةٌ (١)
عَمَرَ الظَّلَامُ هِضَابَهَا وَجِبَالَهَا وَقِلَاعَهَا وَصُرُوحَهَا ، فَأَزَالَهَا
شِبَّةَ الْمُحِيطِ الْمُسْتَوِيِّ وَبِقَاعِهِ (٢) مَا لَا يَرَى مِنْ شَمْسٍ وَبِقَاعِهِ (٢)
لَا نَجْمٍ فِي الْأَفْقِ الْمُحَجَّبِ سَافِرُ خَلَلَ السَّحَابِ وَلَا سِرَاجٍ سَاهِرُ
وَإِذَا أَصَاخَ إِلَى الْجِهَاتِ مُطِيفُ سَمْعًا فَلَا رِكْزٌ يُحَسُّ خَفِيفُ (٣)
إِلَّا خُطَى شَبَحَ ضَبِيلِ هَائِمٍ كَالوَنَمِ بَسْرِي فِي تَحْيَلَةٍ وَاهِمِ
فِي غَابَةِ بَجْوَارِ دَارِ الْمَلِكِ فِي أَفْقِ الْجَلَالِ وَمَطْلَعِ النُّورِ الْخَفِيِّ

(١) ساج : هاديء (٢) بقاعه (الأول) : في أسفله (٣) دكر : صوت

فِي هَضْبَةٍ أَقْمَى عَلَيْهَا ثَعْلَبٌ مُتَدَمِّرٌ بِالْأَرْجُوانِ مُعْصَبٌ (١)
 دَامِيَ الشَّفَاهِ يَمُدُّ شِبْهَ النَّارِ لَوُؤُغٌ مَا فِيهَا مِنَ الْآثَارِ (٢)
 وَيُجِيلُ فِي الْآفَاقِ أَخْبَثَ نَاطِرٍ مَتَقَلِّبًا فِيهَا تَقَلَّبَ حَاثِرٍ
 وَيَمِيلُ إِضْفَاءً إِلَى النَّسَمَاتِ خَوْفًا مِنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ
 يَخْشَى رَعِيَّتَهُ وَهُمْ يَخْشَوْنَهُ لَكِنْ يُبِيحُهُمْ وَهُمْ يَرْعَوْنَهُ
 وَكَأَنَّمَا الْعَظْمُ الرَّمِيمُ الْبَالِي مِنْ كُلِّ مَنْ أَرْدَاهُ غَيْرَ مُبَالِي
 يَسْعَى إِلَيْهِ مِنَ الْقُبُورِ مَبْكَتًا أَبَدًا فَيَلْبَثُ مُضْغِيًا مُتَلَفَّتًا

تِلْكَ الْخَطَى فِي الْمَضْبَةِ الشَّمَاءِ كَانَتْ خُطَى إِنْسِيَّةٍ حَسَنَاءِ
 بِنْتُ الْمَلِكِ الْمُسْتَبِدِّ الْعَابِي الْعَابِدِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ
 السَّالِبِ الْمُعْطَى لِأَيْسَرِ مَأْرَبِ الْهَادِمِ الْبَابِي لِأَذْنَى مُوجِبِ
 الْفَادِرِ الْهَيَابَةِ الرَّعْدِيدِ إِلَّا بِقَتْلِ الْأَمِينِ الْقُودِ (٣)
 جَعَتِ السَّرِيرَ إِلَى مَكَانِ خَالِي مِنْ أَعْيُنِ الرَّقَبَاءِ وَالْعُدَالِ
 لِلِقَاءِ جُنْدِيٍّ جَمِيلِ الْمَنْظَرِ عَالِي الْمَكَانَةِ أَرْبَحِي قَسُورِ (٤)
 رَأْسِ الْحَمَاةِ لِيَصْرَحَ ذَاكَ الْعَاهِلِ لَيْلًا، وَحَارِسِ رَأْسِهِ مِنْ غَائِلِ (٥)
 لَمَحَّتْهُ يَوْمًا خُلْسَةً فِي مَوْكَبِ بِجِوَارِ وَالِدِهَا الْمَلِكِ الْأَهْيَبِ

(١) أقمى : جلس (٢) يمد شبه النار : كناية عن اللسان
 (٣) القود : النقادين (٤) قسور : أسد (٥) العاهل : الملك

تَمْخُو أَشِعَّةَ حُسْنِهِ الْوَهَّاجِ بِجَمَالِهِنَّ جَلَالَ رَبِّ التَّاجِ
فَأَصَابَهَا سَهْمُ الْغَرَامِ وَالْمَا حَتَّى لَكَانَ يَهُونُ لَوْ أُجْرَى دَمَا
وَقَضَتْ لِيَالِي بَعْدَ ذَلِكَ سَاهِدَهُ حَيْرَى مُوَلَّهَةً نَمُولًا وَاجِدَهُ
لَا تَسْتَرِيحُ وَلَا تَقْرَأُ مِنَ الْجَوَى وَتَمَخَّالُ دَاءَ مَا بِهَا ، وَهُوَ الْهَوَى

فَاسْتَوْصَفَتْ ظِيْرًا لَهَا فِي أَمْرِهَا حَدْبَاءُ أَذْكَى الشَّيْبِ فَاحِمَ شَعْرَهَا (١)
طَوَتْ السُّنُونَ عَلَى الْخَدَائِعِ قَلْبَهَا وَأَنْزَنَ بِالْعَبْرِ السَّوَاطِعِ لَبَّهَا
فَتَمَثَّلَا فِي وَجْهِهَا الْمُتَجَعَّدِ لِلِنَّاقِدِينَ وَطَرَفَهَا الْمُتَوَقَّدِ
قَالَتْ : بُنِيَّةٌ إِنَّ جِسْمَكَ سَالِمٌ وَلَعَلَّ دَاءَكَ أَنْ قَلْبِكَ هَامٌ
قَالَتْ : أَظُنُّكَ أَنْ رُؤْيَةَ رَأَى تُفْضِي بِصَاحِبِهَا إِلَى الْبِرْحَاءِ؟ (٢)
قَالَتْ : كَذَلِكَ الْحُبُّ بَادِيٌّ بَدِيهِ حَتَّى يَنْوَأَ الْمُسْتَهَامُ بَعْبِيهِ
قَالَتْ : فَكَيْفَ تَرَيْنِ لِي أَنْ أَفْعَلَا؟ قَالَتْ : أَرَى سُؤْلَانَهُ بِكَ أَمْثَلَا
قَالَتْ : أَحَاوِلُهُ وَقَلْبِي دَامِي ، فَإِذَا سَلَوْتُ ذَكَرْتُ فِي الْأَحْلَامِ
قَالَتْ : فَيَا أَسْفَاً وَلَكِنْ قَدَّرَا لَكَ يَا ابْنَةَ الشُّلْطَانِ رَبُّكَ مَا جَرَى
فَلَنْنُ أَطَعْتَ هَوَاكَ وَهُوَ مُحْكَمٌ فِسْوَاكَ فِيهِ يَا بُنِيَّةُ مُجْرِمٌ
قَالَتْ : فَمَنْ؟ قَالَتْ : مِرَاجُكَ نَائِرَا وَقَوَاكَ وَاهِيَةً وَجَهْلُكَ آمِرَا
وَجَمِيعُهَا مِنْ عَيْشَةِ التَّقْيِيدِ وَالسَّجْنِ وَالتَّضْيِيقِ وَالتَّشْدِيدِ

(١) الظئر : المرضع وتكون عند العرقين مربية رضيعها تلزمه الى الكبر

(٢) البرحاء : شدة الأذى

فَحُدِي لِنَفْسِكَ مِنْ كِتَابٍ مُؤَنَسًا
وَأَتَتْ إِلَيْهَا ظِلُّهَا مِنْدُ الْغَدِ
جَمَعَ الْغَرِيبَ مَسَائِلًا وَشَوَارِدًا
فَاسْتَحْضَنْتُ مِنْهُ الْأَمِيرَةَ نَادِرَةَ
فِي ذِكْرِ قَائِدِ فِرْقَةٍ مَشْهُورِ
فَتَعَاهَدَا فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءِ
ثُمَّ انْتَهَى بِهِمَا الْغَرَامُ إِلَى الرَّدَى
قَالَتْ: أَيَسْنِي عُلتِي؟ قَالَتْ: عَسَى
بِكِتَابِ اخْتَارْتَهُ وَفَقَّ الْمَقْصِدِ
وَحَوَى الْعَجِيبَ رَسَائِلًا وَقَصَائِدًا
نُظِمَتْ بِشِبْهِ الْأَدْمُعِ الْمُتَنَائِرَةِ
عَلِقْتَهُ إِحْدَى الْغَانِيَاتِ الْحُورِ
عَهْدًا عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
ظَلَمًا فَكَنَانًا بِالْمَنِيَّةِ أُسْعَدَا

ذَاكَ الْحَدِيثُ أَضَاءَ ظُلْمَةَ فِكْرِهَا
فَاسْتَوْتَقَّتْ مِنْ ظِلِّهَا أَنْ تَكْتُمَا
وَأَسْرَتِ النَّجْوَى إِلَيْهَا أَنَّهَا
قَالَتْ: فَمَا هُوَ ذَاكَ يَا مَوْلَاتِي؟
هُوَ أَنْ أَرَاهُ تَحْتَ جُنْحِ ظَلَامِ
قَالَتْ: وَمَنْ تَعْنِينَ؟ قَالَتْ: أَعْظَمًا
ذَاكَ الْفَتَى الْعَالِي عَلَى الْفِتْيَانِ
قَالَتْ: وَمَنْ لِي أَنْ أَرَاهُ خَالِيًا؟
قَالَتْ: إِذَنْ أَمْضِي إِلَيْهِ كِتَابًا
هَذَا قِيَادُكَ فِي بَدْيِهِ يُوضَعُ
وَأَزَالَ حَيْرَةَ بَالِهَا فِي أَمْرِهَا
مَا أَرْمَعْتُهُ، وَأَمْطَرْتَهَا أَنْعَمًا
تَرْجُو عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ عَوْنَهَا
قَالَتْ وَقَدْ شَرِقَتْ مِنَ الْعَبْرَاتِ:
وَلَوْ أَنَّ فِي ذَاكَ الْإِقَاءِ حِمَامِي
حَرَسِ الْمَلِيكَ وَخَيْرُهُمْ مُتَوَسِّمًا
حَامِي مَنَامِ أَبِي مِنَ الْعُدُونِ
أَوْ أَنْ يُصَدِّقَ دَعْوَتِي فَيُؤَافِيَا؟
قَالَتْ لَهَا: فَلَتَاتِيَنَّ مُعْجَابًا
بَلْ فَخْرُ آلِكَ بَلْ صِبَاكَ يُضَيِّعُ

أَكْذَا تُرَاسِلُ حُرَّةً مَجْهُولًا ؟ سَاءَ الْكِتَابُ ، وَقَدْ يَمْخُونُ رَسُولًا
 قَالَتْ: أَصَبْتُ، وَإِنَّمَا لَمْ تَنْظُرِي ذَاكَ الْحَبِيبَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعَذَّرِي
 لَوْ شِئْتَ بَارِقَ حُسْنِهِ الْفَتَّانِ لَرَأَيْتِ عَيْنَ الْحُسْنِ فِي إِنْسَانِ
 وَرَأَيْتِ أْبَدَعَ صُورَةَ لِلْخَالِقِ فِي خَلْقِهِ، أَتَكُونُ حَلِي مُنَافِقِي ؟
 كَلَّا وَأَزْعَمُهُ أَعَزُّ وَأَكْرَمَا أَوْ يَفْسُدَ النُّورُ النَّقِيُّ وَيُتْهِمَا

وَإِذِ اسْتَمْتَمْتَ قَوْلَهَا سَكَتَتْ وَقَدْ أَعْضَتْ كَمَا هُوَ شَأْنُ مُهْتَاكِ هَمْدِ
 وَقَضَتْ كَذَاكَ هَنِئَةً مُتَّفَكِّرَةً ثُمَّ اسْتَوَتْ مَجْهُودَةً مُتَغَيِّرَةً
 وَرَنْتَ لِمُرْضِعِهَا طَوِيلًا سَاجِيَةً بِنَوَاطِرٍ لَا رُوحَ فِيهَا سَاهِيَةً
 مَنُهِوَكَةً لَوْ لَا عَزِيمَةٌ رَأَيْهَا لَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالَهَا مِنْ وَهِيهَا
 وَتَكَادُ تُقْرَأُ آيَةٌ بِجَبِينِهَا مَكْتُوبَةٌ بِالْيَأْسِ بَيْنَ عُيُونِهَا
 قَالَتْ: أَمَرْتُ بِأَنْ أَرَاهُ فَاحْلِي هَذَا الْكِتَابَ إِلَيْهِ ، لَا تَتَمَهَّلِي
 الْمَوْتُ فِي الْحَالَيْنِ غَايَةُ مَسْكِ فَلَا نَعْمَنَ بِنَظَرَةٍ وَلَا أَهْلِكِ

وَتَوَاعَدَ الْمُتَعَاشِقَانِ عَلَى اللَّقَا فِي مَأْمَنِ مِنْ طَارِقٍ أَنْ يَطْرُقَا
 حَتَّى إِذَا دَفَقَ الدُّجَى بِسُيُولِهِ مَضَتْ الْأَمِيرَةُ فِي خِلَالِ سُدُولِهِ
 تَمْتَحِلُ فِي أَثْوَابِهَا السُّودَاءَ عَنْ قِطْعَةٍ تَمْشِي مِنَ الظُّلْمَاءِ
 طَوْرًا تَضِلُّ وَتَارَةً تَبْعُرُّ وَفُؤَادَهَا مُتَفَرِّعٌ مُتَطَيِّرٌ

وَتَكَادُ إِنْ لَمَحَتْ إِشَارَةَ نُورٍ تَنَحَّلُ مِثْلَ غِيَاهِبِ الدَّيْجُورِ ^(١)
 لَكِنَّ ذَاكَ الْخَوْفَ لَمْ يَتَجَرَّدِ مِنْ لَذَّةِ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ
 وَرَجَاءِ نُورٍ مُقْبِلٍ وَأَمَانٍ وَسَعَادَةٍ يَأْتِينَهَا فِي آنِ
 حَتَّى إِذَا جَاءَتْ مَكَانَ الْمَوْعِدِ حَيْرَى النَّوَاطِرِ وَالنَّهْيِ لَا تَهْتَدِي ^(٢)
 سَمِعَتْ خُطَى بِالْقُرْبِ ثُمَّ وَرَى لَهَا بَرَقَ وَأُغْمِدَ فِي الظَّلَامِ فَهَالَهَا ^(٣)
 وَبَدَأَ لَهَا فِيهَا أَضَاءَ خَيَالٍ ذَاكَ الْحَبِيبِ كَأَنَّهُ تِمْنَالُ
 فَاشْتَدَّ خَفَقُ فُؤَادِهَا مُتَوَزَّعًا بَيْنَ الْمَهَابَةِ وَالْمَنَى مُتَصَدِّعًا
 وَكَأَنَّ ذَاكَ الْبَارِقِ اللَّمَاعَا سَيْفٌ مَضَى فِيهِ فَطَارَ شَعَاعَا
 فَهَوَتْ لِسَاعَتِهَا وَقَرَّتْ نَائِمَةً وَقَضَتْ لُبَانَتَهَا وَمَاتَتْ نَاعِمَةً ^(٤)
 فَتَحَ الْغَرَامُ لَهَا بِتِلْكَ النَّظْرَةِ بَابَ النِّعَمِ السَّرْمَدِيِّ فَمَرَّتْ

وَرَأَتْ عُيُونَ النَّاسِ السَّهْرَانَ مَا قَدَّ جَرَى فِي هَضْبَةِ البُسْتَانِ
 فَأَشَارَ أَنْ يُوتَى بِذَاكَ الْحَارِسِ مِنْ حَيْثُ كَانَ مِنَ الظَّلَامِ الدَّامِسِ
 فَأَتَوْا إِلَيْهِ بِهِ كَطِيمًا شَاحِبًا قَلِقَ النَّوَاطِرِ حَائِرًا لَا هَائِبًا
 فَرَنَّا إِلَيْهِ كَمَا يُضِي الكَوْكَبُ إِذْ شُقَّ عَنْهُ مِنْ بَعِيدٍ غَيْهَبُ
 وَعَلَى مُجِيَّاهُ ابْنِسَامُ عِتَابِ كَالْكَهْرَمَانِ مُغْتَبَرًا بِرَبَابِ
 « مَا هَكَذَا يَا أَصْدَقَ الْأَعْوَانِ شَأْنُ الشُّجَاعِ مُصَاهِرِ السُّلْطَانِ

(١) الـديجور : الظلام (٢) النهي : العقل (٣) وري : ظهر
 (٤) قضت لبانتها : نالت مشتهاها من اللقاء

سَبَقَ الْجَمَامُ إِلَى الْعُرُوسِ فَنَالَهَا وَأَخَذَتْ مِنْهَا ظِلْمًا وَخِيَالَهَا
لَكِنْ رَأَيْتُكَ سَامِيَ الْأَعْرَاضِ كَلِفًا بِيصُونِ طَهَارَةِ الْأَعْرَاضِ
وَجَزَاءَهُ هَدَى الْخَلَّةَ الْإِكْرَامُ فَاجْلِسْ وَحَادِثْنِي وَلَا اسْتِعْظَامُ ^(١)
أَمَّا الْفَتَى فَأَقَامَ غَيْرَ مُبَالِي مَا كَانَ يَسْمَعُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ
وَكَأَنَّهَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنْ جِلْدٍ نُحِتَتْ مِثَالًا لِلذُّهُولِ الْمُجْمَدِ

وَأَشَارَ رَبُّ الْقَصْرِ نَحْوَ الْبَابِ فَذَا فَتَى آتٍ مِنَ الْحِجَابِ
فِي كَفِّهِ فِنْجَانٌ تَبْرٍ فَخِرٌ قَدْ فَاحَ مِنْهُ نَشْرُ بْنُ عَاطِرٍ ^(٢)
وَأَفَى عَبُوسَ الْوَجْهِ وَالْفِنْجَانُ ضَحِكُ الْبِيَاضِ يَثُورُ مِنْهُ دُخَانُ
فَتَحَرَّكَ الْجَنْدِيُّ حِينَ تَنَسَّمَ ذَاكَ الشَّدَا وَرَأَى الْغَلَامَ تَقَدَّمَ ^(٣)
وَتَنَاوَلَ الْفِنْجَانَ ثُمَّ تَقَطَّنَا لِمَقَالِ سَيِّدِهِ وَأَدْرَكَ مَا عَنَى
فَاخْتَارَ فِي الْكُرْسِيِّ جِلْسَةَ مَالِكٍ لَا جِلْسَةَ الْعَبْدِ الْمَرْوَعِ الْمَالِكِ
مُتَرَشِّفًا فِنْجَانَهُ مُتَمَهِّلًا كَثُرَ شُفِّ السَّكْرِ كَأْسًا مِنْ طِلَا
حَتَّى إِذَا اشْتَدَّتْ بِهِ الْأَسْقَامُ وَتَقَسَّمتْ أَخْشَاءُهُ الْآلَامُ
وَأَكَبَّ مُنْطَوِيًا عَلَى أَمْعَانِهِ مُتَلَوِي الْأَعْضَاءِ مِنْ بُرْحَانِهِ
رَمَزَ الْمَلِيكَ فَرَنَّا خَلْفَ سِتَارِ نَعَمَّ جَرَى بِيَدِهِ عَلَى أَوْتَارِ ^(٤)
مَرْجٍ مِنَ الْأَخْزَانِ وَالْأَفْرَاحِ مُرْدٍ كَمَرْجِ السَّمِّ فِي الْأَقْدَاحِ ^(٥)

(١) الخلة: الصفة (٢) تبر: ذهب (٣) الشنا: الرائحة (٤) رمز: أشار
(٥) مرد: قاتل

العالم الصغير

مرآة العالم الكبير

فنجان قهوة

أرأيت صوغ الدرّ في العقيان؟ هذا حبابُ البُنِّ في الفنجانِ
فلكٌ تمثّلُ شمسه ونجومه أفلاكنا في السّيرِ والدورانِ
«ليلي» أجلي الطرفِ فيه تنظري سرّ الكيانِ وآيةَ الأزمانِ
تجدي سماواتٍ وسفنَ عوالمٍ فتانةَ الإبداعِ والإيقانِ
منشورةَ الأفرادِ منظومةً جمعاً بما لا تدركُ العينانِ
سيارةً بينَ الجهاتِ حوائراً مُرتادةً في البحثِ كلِّ مكانِ
كلٌّ يصيرُ إلى حبيبٍ مُرتجى حتّى يدانيه فيلتصقانِ
فيذوبَ كلٌّ منهما في صنوه وكذلك يحمياً بالهوى الصنوانِ^(١)
جسمانِ يفتديانِ جسماً واحداً كتوحدِ الحبيبينِ يقترنانِ
روحانِ تَمزجانِ حتّى تُصبحا شبهَ الصّبَا والطيبِ يَمزجانِ

تلكَ الحياةُ عتيدها ومصيرها حتّى يكونَ الحبُّ آخرَ فاني^(٢)
إذ تُنثرُ الشهبُ النيرةُ مثلاً تنهلُ أدمعُ عاشقٍ ولهانِ

(١) صنوه : مثله (٢) عتيدها : حاضرها

وَتَذُوبٌ فِي لَهَبِ الشَّمْسِ هَوَانًا وَبِهَا الشَّمْسُ تَذُوبٌ وَهِيَ هَوَانِي ^(١)
 وَيَكُونُ يَوْمَئِذٍ شِفَاءً غَلِيلَهَا وَمَتَاعَهَا وَفَنَائِهَا فِي آنِ
 قَالَتْ: أَذَاكَ مَصِيرُنَا؟ فَأَجَبْتُهَا: ألسَّعْدُ آخِرُ شِقْوَةِ الْإِنْسَانِ
 وَهُوَ الْحَيَاةُ نَعِيشَهَا فِي لِحْظَةٍ مَجْمُوعَةَ الْأَفْرَاحِ وَالْأَحْزَانِ
 عُدِي إِلَى الْفِنْجَانِ أَيْنَ شُمُوسُهُ؟ وَالطَّائِفَاتُ بِهَا مِنَ الْأَكْوَانِ؟
 عَاشَتْ عَلَى شَوْقٍ فَلَمَّا أَدْرَكَتْ أَوْطَارَهَا مِنْ مُلْتَقَى وَقِرَانِ
 زَالَتْ وَمَا أَبْقَى الْهُوَى مِنْهَا سِوَى عِطْرِ يَضُوعُ هُنَيْهَةً وَدُخَانِ

الزنبقة

طَفْتُ وَالصُّبْحَ طَالِبًا فِي الْجِنَانِ سَلَوَةً مِنْ نَوَاصِبِ الْأَشْجَانِ
 فَتَنَى حُسْنَهَا الْأَسَى عَنْ ضَمِيرِي وَجَلَا نَاطِرِي وَسَرَّ جَنَانِي ^(٢)
 زَنْبَقٌ نَاصِعُ الْبِيَاضِ نَقِيٌّ تَرْتَوِي مِنْ بِيَاضِهِ الْعَيْنَانِ
 وَجُفُونٌ مِنْ نَرَجِسٍ دَاخَلَتْهَا صُقْرَةٌ الدَّاءِ فِي مَحَاجِرِ عَانِي
 وَوُرُودٌ كَأَنَّهَا مَلِكَاتُ بَرَزَتْ فِي غَلَائِلِ الْأَرْجَوَانِ
 وَأَقَانِينُ مِنْ شَقِيقٍ وَمِنْ قَلِيٍّ وَمِنْ مُضْعَفٍ وَمِنْ رَيْحَانِ

(١) هواناً : مهناً (٢) جناني : قلمي

كُلُّ ضَرْبٍ شَبِيهُ سِرْبٍ جَمِيعٍ مُفْرَدٍ عَن لِدَاتِهِ فِي مَكَانٍ^(١)
طَالَ فِيهَا تَأْمَلِي وَكَأَنِّي كُنْتُ مِنْهَا فِي رَوْضِ عَيْنِ حِسَانِ

فَتَوَخَّيْتُ مُشَبَّهًا « لِأَلَيْسِ » بَيْنَهَا فِي صِفَاتِهَا وَالْعَانِي^(٢)
فَإِذَا الْبَاهِرُ النَّقِيُّ مِنَ الزَّرِّ نَبَقَ مِرَاةً حُسْنَهَا الْفَتَّانِ
رَشْمُهَا فِي سَنَائِهَا وَسَنَاهَا وَصَدَى لِاسْمِهَا أَوْ اسْمٌ ثَانِي^(٣)
فِيهِ مِنْهَا الْبَهَاءُ وَالْقَامَةُ الْهَيْسَفَاءُ وَاللَّوْنُ صُورَةُ الْوَجْدَانِ
وَالْعَبِيرُ الَّذِي يُحَدِّثُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ الْأَخْفَى بِأَذْكَى بَيَانِ
وَالشُّعَاعُ الَّذِي بِهِ يُرَى الْبَغْيُ زُهْرًا وَيُرِيهَا آزَاهِرًا فِي أَنْ
فَهْمِي فِي الرَّوْضِ وَالنُّجُومِ قَوَاصٍ وَهَمِّي فِي الْأَوْجِ وَالنُّجُومِ دَوَانِي
تَتَرَاءَى السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ كُلُّ فِي سِوَاهَا وَتَلْتَقِي الْجَنَّتَانِ

إِنَّمَا التَّرْجِسُ ابْتِسَامَةٌ فَجَرِي أَلْطَفَتْ نَسَجَهَا يَدُ الرَّحْمَنِ
قَامَ فِي حُلَّةِ الْبَيَاضِ فَكَانَتْ تَوْبَ رُوحٍ لَا تَوْبَ جِسْمٍ فَانِي
وَاسْتَزَادَ الْحَلِي سِوَاهَا فَجَاءَتْ حَيْثُ زَادَتْ عَلَامُ النَّقْصَانِ

(١) لداته : أشباهه (٢) أليس : اسم آنسة فرنسوية (٣) ذلك ان اسم الزنبقة في
الفرنسوية « ليس » والصدى يضيع الحرف الأول من اسم « أليس » فابقى يكون اسم الزنبقة .
ولو بقى الاسم على أصله لصح أن يسمى الزنبق به لما اتصفت به تلك الفتاة من المحاسن

هَكَذَا سِرُّ كُلِّ حَيٍّ تَرَاهُ خَلَّ الشَّكْلِ بَادِيًا لِلْعَيَانِ
فَتَرَى أَنْفُسَ الْحَسَانِ حِسَانًا حَيْثُمَا هُنَّ عَنْ حُلِيِّ غَوَائِي
وَتَرَى أَنْفُسَ الْأَزَاهِرِ غُرًّا إِذْ تَرَاهَا عَفِيفَةً الْأَلْوَانِ

الى أب ثاكل

فجع الجواد الوجه السيد جرجس براهمشا في بكر
أولاده فبيعة كبرت عليه فعزاه الناظم على الضريح بقوله

إِنْ تَسْتَطِيعُ أَنْقِذْ فَتَاكَ بِجَمِيعِ مَا مَلَكَتْ يَدَاكَ
أَنْشِقْهُ رُوحَكَ وَاسْقِهِ مَا قَطَّرَتْهُ مُقْتَلَاكَ
وَاجْعَلْ ضُلُوعَكَ دِفْنَهُ وَغِذَاءَهُ بَاقِي قُورَاكَ
وَاخْبِئْهُ خَبَاءَ الْعَيْنِ فِي الْأَجْفَيْنِ مَا شَاءَتْ مُنَاكَ
وَاسْهَرْ عَلَيْهِ وَلَا تُحَا ذِرٌّ فِي أَذَاهُ مِنْ أَذَاكَ
وَأَقِمْ لَهُ صَرْحًا يَقِيهِ مُشِيدًا حَتَّى السَّمَاءِ
وَادْعُ الْأُسَاةَ وَنُطِّ بِمَا يَصِفُونَ مِنْ حَيْلِ رَجَاكَ^(١)
وَابْذُلْ حَيَاتَكَ فِي فِدَا هُ وَلَا تَضَنَّ بِمُقْتَلَاكَ

(١) الأساة : الأطباء

فَإِذَا وَجَدتَ الأَمْرَ مُقْضِيًا ، أَسْرَكَ أَمَّ شَجَاكَ
وَعَلِمْتَ أَنَّ اللهَ يَبْلُو خَائِفِيهِ كَمَا بَلَكَ
وَوَسَّيْتَ أَنَّ عَظِيمَ حُزْ نِكَ إِيمًا بِدُمِي حَشَاكَ
سَلِّمْ إِلَى تِلْكَ الْجَلَا لَهَ فَهَيَّ مِنْ عَلِي تَرَكَ
وَاسْجُدْ وَقُلْ : يَا رَبُّ إِنَّ رِضَايَ مَا فِيهِ رِضَاكَ
مَا الأَرْضُ دَارٌ لِلْمَلَا كِ فَلَا يُقِيمُ بِهَا الْمَلَاكَ
فَاجْعَلْ شِقَايَ نِعْمَةً لِابْنِي وَسَعْدًا فِي حِمَاكَ
هَذَا هُوَ السَّنُّ الْقَوِيمُ فَكِلْ أَسَاكَ إِلَى تُقَاكَ

وَإِلَيْكَ يَا مَنْ صَارَ مِنْ أَسْرِ الحَيَاةِ إِلَى النِّكَالِ
كَلِمَاتِ بَاكِ أَنْ تَبَيِّنَ وَلَمْ يَزَلْ غَضًا صِبَاكَ
مَا أَمَهَلْتِكَ يَدُ المَنِيَّةِ رِيثَمَا يُجْنِي جَنَاكَ
مَا أَمَهَلْتَ حَتَّى نَرَا كَ كَمَا وَدِدْنَا أَنْ نَرَكَ
مُتَقَدِّمًا بَيْنَ الرَّجَا لِي مُحَاكِيًا فِيهِمْ أَبَاكَ
غُرًّا فِعَالِكَ ، عَلِيًّا مَسْعَاكَ ، مَرَجُؤًا نَدَاكَ
لَكِنْ رَاكَ اللهُ أَجْدَرَ بِالسَّعَادَةِ فَاصْطَفَاكَ
فَادْخُلْ إِلَى جَنَاتِهِ وَاهْتَأُ وَرِحْمُ وَالِدَاكَ

رثاء

لخادم الله

التجرد عن ثروته وسرور شبابه النقطع للارشاد
والخير المرحوم المبرور الراهب فلايانوس مطران

فَهَيْتَ مَعْنَى الْعُمْرِ فَهَمَّ الْأَرِيبُ وَعِشْتَ فِي دُنْيَاكَ عَيْشَ اللَّيْبِ
جُبِلْتَ مِنْهَا ثُمَّ أَنْكَرْتَهَا وَكُنْتَ فِيهَا أَهْلًا كَالْغَرِيبِ
وَكَنْتَ فِيهَا سَاعِيًا كَالَّذِي يَجُوزُ وَغَرًّا لِلِقَاءِ الْحَبِيبِ
فَاعْتَضْتَ مِنْ وَفْرِ بِنَقَرٍ وَمِنْ وَادٍ خَصِيبٍ بِعَرَاءِ جَدِيبِ
وَاعْتَضْتَ بِالْمِسْحِ وَأَطْمَارِهِ مِنْ كُلِّ تَوْبٍ ذِي بَهَاءٍ قَشِيبِ
وَاعْتَضْتَ مِنْ مَلْهَى وَمِنْ لَذَّةِ بِمَعْبَدِ اللَّهِ وَمَنْفَى الْقُلُوبِ

فِي الدَّيْرِ تُلْفَى عَاكِفًا ضَارِعًا مُهَجَّدًا إِيْلَ الضَّنَى وَالشُّحُوبِ
وَقَدْ تُرَى بَيْنَ الْوَرَى مِثْلَمَا يُسْعِفُ غَرْقَى الْبَحْرِ حُرًّا مُجِيبِ
تَمُّدٌ أَسْبَابَ الْهُدَى تَحْوَمُّ مَدًّا مَنَارِ نُورِهِ لِلرَّقِيبِ
لَوْ رَابَهُمْ زُهْرُ الدِّيَاجِي فَمَا فِي نُورِ ذَاكَ الْغَوْثِ مِنْ مُسْتَرِيبِ

فِيَا صَفَى اللَّهِ يَهْنِيكَ أَنْ قَدْ فُزْتَ مِنْهُ بِاللِّقَاءِ الْقَرِيبِ

وَسِرْتَ لَمْ تُخْلِفْ أَسَى مُظْلَمًا كَمَا يُرَى لَيْلُ الْقُنُوطِ الْعَصِيبِ
 بَلْ شَفَقًا لِأَلَاؤُهُ نَاصِعٌ يُرَى خِلَالَ الدَّمْعِ شِبْهَ الْمَشُوبِ^(١)
 أَبَيْتَ نَوْحَ الْيَأْسِ يَا شَادِيًا عِلْمٌ شَدَوُ الْأَمَلِ الْعَنْدَلِيبِ^(٢)
 وَأَنْتَ يَا حَادِي رَكِبِ الرَّدَى بِنِعْمِ الْبِشْرِ أَبَيْتَ النَّجِيبِ^(٣)
 فَلَا مُنَادَاةٌ وَلَا صَيْحَةٌ وَلَا مُبْكَاءٌ هَهُنَا أَوْ وَجِيبِ
 هَذَا قَرَارٌ لِلْبَلَى صَامِتٌ صُمٌّ بِهِ السَّمْعُ وَعَى الْخَطِيبِ
 حَصِيرَةٌ فِي الْأَرْضِ لَكِنَّهَا بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ عَالٍ رَحِيبِ
 مَبِيتُ خُلْدٍ لِفَتَى صَالِحٍ سَمَّحٌ نَقَى النَّفْسَ حُرِّ أَدِيبِ
 عَاجِلُهُ الْبَيْنُ فَوَلَّى وَلَمْ يَزِنُهُ مِنْ بَعْدِ الشَّبَابِ الْمَشِيبِ
 عَاشَ نَهَارًا لَمْ يَكْذُ يَنْقُضِي صَبَاحُهُ حَتَّى تَلَاهُ الْغُيُوبِ
 صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ مِنْ عُمُرِهِ ثُمَّ عَلَى الْإِثْرِ صَلَاةَ الْغُرُوبِ

(١) المشوب : المتزوج (٢) العندليب : طائر غرد يدعى الهزار
 (٣) ركب الردى : الجنازات . كان رحمه الله يتقدمها منشداً فلما توفى في غربته لم يصحبه أحد
 يعول عليه وينتجب

الطفلة البويرية

نظمت في أول الحرب بين بريطانيا والبوير

«أدماء» فتانة لعوب خفيفة ما لها قرار
كل مكان تكون فيه يقامه وثبها مرار
كانها طائر حبيس في قفص يبتغي الفرار
لطافة في بديع حسن ورقة في مزاج نار
صغيرة أمرها كبير وهكذا الشأن في الصغار
حار بها فكر والدينها والفكر في مثلها يحار

وليلة بانها أبوها مسهداً فاقد اضطبار
رأته فيها كثير غم يبدو على وجهه اصفرار
يبحثو على مهدها ويبنكي بأدمع ذرف حراز
وينثني حاراً جزوعاً يمضي ويأتي بلا اختيار
وأبصرت أمها عبوساً يشوب أفاقها احمرار
تجلو سلاحاً يثور منه أنا ومن لحظها شرار
ما ذاك شأن الحسان لكن في الشر ما يدفع الحيار
ما أئمت بالذي أعدت من عدد القتل والدمار

بَلِ الْاِثْمِ الَّذِي دَعَاكَ قَسراً فَلَبَّتْ عَلَى اضْطِرَّازِ

لَمْ يَشْغَلِ الْخَطْبُ فِكْرَ «أَدْمَا» وَسَنَى وَلَمْ يَعْرِهَا الْحِذَارُ^(١)
فَهَوَّمتُ قَلْبَهَا خَلِيٌّ وَفِي الْمَحْيَا مِنْهَا افْتِرَازُ^(٢)
كَأَنَّ أَنْفَاسَهَا دَعَا تَقُولُهُ الرُّوحُ فِي سِرَارِ
مَا ذَنْبُ هَذِي الْفَتَاةِ تَعْدُو سَبِيَّةَ الظُّلْمِ الشَّرَّازِ ؟
أَمِنْ سَرِيرِ الصِّغَارِ تُتَلَقَى إِلَى سَرِيرِ مِنَ الصِّغَارِ ؟^(٣)

تَنْبَهتُ بَاكِراً وَكَانَتْ مِنْ قَبْلُ لَمْ تَأَلَفِ ابْتِكَارُ
مَرَّ بِهَا الهمُّ وَهُوَ عَادٍ يَنْتَهِبُ البرَّ وَالْبِحَارُ
كَطَائِرٍ رَاقَهُ غَدِيرٌ فَرَفَهُ جَانِحاً وَطَارُ
وَاسْتَمَعَتْ فِي الْغَدَاةِ قِيلاً إِنَّ أَبَاهَا لِلْحَرْبِ سَارُ
وَإِنَّ قَوْمًا جَاؤُوا لِيُفْنُوا أُمَّتَهَا بَغِيَّةَ النُّضَارُ
لَا يَرْتَحِمُونَ الصِّغَارَ مِنْهُمْ وَلَا يَرِقُونَ لِلْكِبَارُ
وَلَا يُرَاعُونَ حَقَّ حُرِّ وَلَا يَصُونُونَ عَهْدَ جَارُ
وَإِنَّ كُلَّ «البُوَيْرِ» خَفُوا لِيَدْفَعُوهُمْ عَنِ الدَّمَارُ

(١) وسنى : نائمة (٢) هومت : غفلت (٣) الصغار (الثانية) : الذل

وَإِنَّ أَنْصَارَهُمْ قَلِيلٌ وَإِنَّ أَعْدَاءَهُمْ كَثِيرٌ
 مَضَوْا وَلَا رَاحِلٌ يُرْجَى عَوْدًا لِأَهْلِ لَهُ وَدَارِ
 فَرَاعَهَا الْأَمْرُ وَاسْتَقَرَّتْ حَزِينَةً ذَلِكَ النَّهَارِ
 حَتَّى إِذَا مَا الْمَسَاءُ أَمْسَى وَأَسْدَلَ اللَّيْلُ كَالسُّتَارِ
 جَثَّتْ عَلَى مَهْدِهَا بِمَا لَمْ تُعْهَدْ عَلَيْهِ مِنْ الْوَقَارِ
 شِبْهَ مَلَكٍ أَغْرَّ بِأَكِّ عَلَيْهِ سِيَاءُ الْإِنْكَسَارِ
 تَدْعُو وَمَا لُقِّنْتَ وَلَكِنْ عَلَّمَهَا الْحُزْنَ الْإِبْتِكَارِ :
 « يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا مَنْ يُخْفِي ضَعِيفًا بِهِ اسْتِجَارِ
 أَنْصُرْ أَبِي وَانْتَقِمْ لِقَوْمِي وَلَا تُبِحْ هَذِهِ الدِّيَارِ »

كَذَلِكَ مُمَّ كَلَّهُمْ جُنُودٌ لَصِدَّةً عَادٍ أَوْ أَخَذِ ثَارِ
 لَا يُفْرَقُ الْمُقْتَنِ حُسَامًا عَنِ الَّتِي تَقْتَنِ السَّوَارِ
 كَبِيرُهُمْ قَائِدٌ بَنِيهِ إِلَى رَدَى أَوْ إِلَى انْتِصَارِ
 وَطِفْلُهُمْ ضَارِعٌ إِلَى مَنْ إِذَا بَرَى دَعَا أَجَارِ

اشتباها الضياء

قلت في فتاة حسن وأدب بعد ترويحها نفس على شاطئ النيل في ضوء القمر ، وكانت الفتاة قد تباعدت عن رفاقها دقيقة وهي لابسة ملبساً أبيض . فلما نظر الرفاق إليها من بعد كانت تلوح وتحنى كالطيف لتلاعب النور في موقفها بين مصب النور ومنعكسه من النيل

مِزَاجٌ رَقِيقٌ وَجِسْمٌ نَحِيفٌ وَقَلْبٌ رَفِيقٌ وَظِلٌّ خَفِيفٌ
 وَلَفْظٌ لَعُوبٌ وَلِحْظٌ وَثُوبٌ وَعَقْلٌ رَصِينٌ وَرَأْيٌ حَصِيفٌ
 كَذَاكَ خُلِقْتَ فَكُنْتِ كَمَا يَشَاءُ الصَّبِيُّ وَالضَّمِيرُ الْعَفِيفُ
 وَلَمْ تَرْضَى الْحُسْنَ إِلَّا الصَّحِيحَ وَلَا الطَّبَعُ إِلَّا الْأَنْبَسَ الْأَنْبِيفُ
 وَلَيْلَةٌ بَدْرٍ صَفَا جَوْهَا وَبَاحَ بَسْرٌ الشُّكُونِ الْحَفِيفُ^(١)
 وَأَلْقَتْ بِسْمِجِ ظِلَالِ الرِّيَا ضِ لِنَجْوَى قُلُوبٍ بَهِنٍ تُطِيفُ
 وَصَبَّ عَلَى النَّيْلِ شِبْهُ السُّيُ لِ مُنِيرِ الدُّجَى مِنْ سَنَاءِ الضَّعِيفِ
 فَمَوَّجْنَهُ ثُمَّ ضَا حَكْنَهُ وَجَارَيْنَهُ فِي دِعَابِ لَطِيفِ
 رَأَيْتُكَ خَلَابَةً لِلْعُقُ لِ فِي مُتَجَلَّى سَنَى مُنِيفِ
 مَنِي وَمَعَانِ أَبِي الْحُسْنِ أَنْ تُرَى فِي مِثَالِ التُّرَابِ الْكَثِيفِ
 فَخَيْلَهَا الْبَدْرُ رُوحًا بَدَتْ عَلَى الْبُعْدِ فِي حُلَّةٍ مِنْ شُفُوفِ^(٢)

(١) الحفيف : صوت الشجر (٢) شفوف : الثوب الرقيق

تُلُوْحٌ وَتَمَخَّنِي كَانَ الْأَشْيَءَ آفَا. مَرَاءٌ وَأَنَا سَجُوفٌ. (١)
فَيْلَتِي شُعَاعٌ عَلَيْهَا نَصِيفًا وَيَنْزِعُ آخِرُ عَنْهَا النَّصِيفُ. (٢)

إهداء ديوان

أهدى الناظم الى فتاة عقل وحسن وأدب نسخة من ديوان الشاعر الفرنسي
ألفريد دي موسه وكتب على الصحيفة الأولى موجز ترجمة الرجل بهذه الأبيات

عَاشَ هَذَا الْفَتَى مُحِبًّا شَقِيًّا وَقَضَى نَجْبَهُ مُحِبًّا شَقِيًّا
وَبَكَى دَمْعَ عَيْنَيْهِ فِي سَطُورٍ جَعَلْتَهُ عَلَى الْمَدَى مَبْكِيًّا
مُنْشِدٌ لِلْغَرَامِ لَمْ يَشُدْ إِلَّا كَانَ إِنْشَادُهُ نُوْحًا شَجِيًّا
شَاعِرٌ كَانَ عُمُرُهُ بَيْتَ تَشْبِيْبٍ وَكَانَ الْأَنْبِيْنُ فِيهِ الرَّوِيًّا (٣)
فَأَقْرَأْتِي شَرْحَ حَالِهِ وَاعْجَبِي مِنْ ذَلِكَ الْقَلْبِ كَيْفَ بَاتَ خَلِيًّا (٤)
إِنَّ فِي نَظْمِهِ لِحَسًّا لَطِيفًا بَاقِيًّا مِنْهُ فِي الشُّطُورِ خَفِيًّا
فَأَذْرِي دَمْعَةً عَلَيْهِ تُعِيدِي وَرَقَ الطَّرْسِ بِالْحَيَاةِ نَدِيًّا
وَتُسِيرِي مِنْ رُوحِهِ نَسَمَاتٍ وَتُفِيحِي مِنْهَا عَبِيرًا ذَكِيًّا

(١) مرآة : جمع مرآة . سجوف : حرير (٢) النصيف : البرقع
(٣) تشبيب : غزل (٤) خليا : خالي القلب من العشق

تهنئة بزفاف

الوجيه الهمام عمر سلطان بك

إلى سايّة بيت المجد كريمة للرحوم حسين باشا الدرهملى .
وكانت حفلة هذا الزفاف أعظم ما رآته مصر من عهد اسماعيل

تَجْرِي عَلَى أَمَالِكَ الْأَقْدَارُ فَكَأَنَّهِنَّ مَنَّاكَ وَالْأَوْطَارُ
وَمَنْ اصْطَفَتْهُ عِنَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ تَأْتِي الْأُمُورُ لَهُ كَمَا يَخْتَارُ
يَا ابْنَ الْأَعَزِّينَ الْأَكْرَمِ مُحَمَّدًا لَكَ مِنْ طَرِيفِكَ لِلنَّجَارِ نِجَارُ^(١)
شَيْمٌ مُطَهَّرَةٌ وَعِلْمٌ رَاسِخٌ وَنَهْيٌ وَجَاهٌ وَاسِعٌ وَفَخَارُ
وَمَكَارِمٌ تُحْيِي الْمَكَارِمَ فِي الْمَلَا كَالْبَحْرِ مِنْهُ الصَّيْبُ الْمِدْرَارُ^(٢)
يَسْتَنْبِتُ الْبَلَدَ الْمَوَاتَ فَيُجْتَلَى حُسْنٌ يَرُوقُ وَتُجْتَنَى أُمَمَارُ
وَبِنَاهُ تَجِدُ مَثَلَهُ لِلْوَرَى هَذِي الْقِبَابُ الشَّمُّ وَالْأَسْوَارُ
وَمَا تَرَى سَطَعَتْ كَبْعُضِ شُعَاعِهَا هَذِي الشَّمُوسُ وَهَذِي الْأَقْمَارُ
وَخَلَّاتِيقٌ جَمَلَتْ وَلَا كَجَمَالِهَا هَذِي الرِّيَاضُ وَهَذِي الْأَزْهَارُ
لِلَّهِ يَوْمٌ زِفَافِكَ الْأَسْنَى قَدَّ حَسَدَتْ عَلَيْهِ عَصْرُكَ الْأَعْصَارُ
أَشْهَدَتْ فِيهِ «مِصْرَ» آيَةَ بَهْجَةٍ أَبَدًا يُرَدُّ ذِكْرَهَا الشَّمَارُ
مِنْ عَهْدِ «إِسْمَاعِيلَ» لَمْ تَرَ مِثْلَهَا «مِصْرَ» وَلَمْ تَسْمَعْ بِهَا الْأَمْصَارُ

(١) النجار : الأصل (٢) الصيب : السحاب

مُجِعتُ بِهَا التُّحَفُ الْجِيَادُ قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا وَالْعَهْدُ وَالتَّذْكَارُ
 وَتَنَافَسَ الشَّرْفَانِ حَيْثُ تَجَاوَرَتِ فِيهَا عُيُونُ الْعَصْرِ وَالْآثَارُ
 وَاسْتَكْمَلَتْ فِيهَا الطَّرَائِفُ كُلُّهَا فَكَانَهَا الدُّنْيَا حَوْثَهَا دَارُ
 يَهْنِيكَ يَا عَمْرُؤَ ابْنَ سُلْطَانَ النَّدَى لَيْلٌ غَدَا بِالصَّفْوِ وَهُوَ نَهَارُ
 زُفَّتْ بِكَ مِنْ سَمَاءِ عَفَافِهَا شَمْسٌ تَنْكَسُ دُونَهَا الْأَبْصَارُ
 مِنْ بَيْتِ مَجْدٍ فَارَقْتَهُ فَضَمَّهَا بَيْتُ كَفِيلَةَ مَجْدِهِ الْأَدْهَارُ

رسالة مفاكهة

أرسلت الى الصديق العزيز أسعد نقولا وكان
 قد ذهب مع أسرته الكريمة للاصطياف في لبنان

إِلَى صَدِيقِي الْعَزِيزِ الْحَاضِرِ فِي قَلْبِي، الْغَائِبِ عَنِّي نَوَاطِرِي
 السَّارِحِ الْمَارِحِ فِي «لُبْنَانِ» بَيْنَ رِيَاضِ الْأُنْسِ وَالْجِنَانِ
 الشَّارِبِ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ الصَّافِي النَّاشِقِ النَّسَائِمِ الشَّوَافِي
 الْأَكْلِ الْقَوَاكِهِ الْأَطْيَابِ الْحَاضِرِ اللَّذَاتِ وَالْمَلَاعِبِ
 حَقَّكَ أَنْ تَنْسَى الْأُولَى فِي «مِصْرِ» يَبْتَرِدُونَ بِلَهَيْبِ الْحَرِّ
 وَيَنْشَقُونَ نَسَمَ الزُّكَامِ وَيَشْرَبُونَ مُتَلَجَّ الضَّرَامِ

وَيَأْكُلُونَ مِنْ جَلِيْبِ الْفَاكِهَةِ كُلَّ عَجْوَزٍ مُبْتَلَاةٍ تَأْفِيهِ
وَيَأْنَسُونَ اللَّيْلَ بِالْبَعُوضِ ، لَا عَاشَ مِنْ مُوَأْنِسٍ بَفِيضِ
وَمَا لَهُمْ سَلْوَى سِوَى تَذْكَارٍ مُنْعَمٍ نَسِيَهُمْ فِي النَّارِ

لَكِنَّا بِمَا نُعَانِي مِنْ نَصَبٍ وَمَا نُقَاسِي مِنْ سُهَادٍ وَوَصَبٍ
تَرْجُو لَكَ النَّعِيمَ وَالصَّفَاءَ وَحَسْبُنَا مِنْ دَهْرِنَا هِنَاءُ
وَعَايَةُ الْمَأْمُولِ وَالْمُلْتَمَسِ مِنْكَ السَّمْحُ بِكِتَابِ كَيْسِ
يُنَبِّئُنَا عَنْكَ وَعَنْ «مُورِيسٍ» مَا نَشْتَهِي مِنْ نَبَأِ نَفِيسِ^(١)
«مُورِيسٍ» ذَلِكَ الْحَبِيبُ الْمُفْتَدَى ذَاكَ الْهَلَالُ الْمُسْتَمْتِمُ لِلِنْدَى
ذَاكَ الْفَتَى الْمَحْضُونُ لِلِسَعَادَةِ الْمُرْتَجَى لِلْمَجْدِ وَالسِّيَادَةِ
الْمَلِكُ الْمُصَوَّرُ الْإِنْسِيُّ الْبَشَرُ الْمَكْمَلُ السَّوِيُّ
الذَّهَبِيُّ الشَّعْرُ الْمَعْقُودُ كَأَنَّ لَشْمَهُ جَنَى الْعُنُقُودِ
الْمُزْهَرُ الْخَلْدَيْنِ يُحْسَبَانِ مِنَ الْبَهَاءِ شَطْرَتِي رُمَانِ
الْمُشْرِقُ الْجَبِينِ فَوْقَ حَدَقِ مِثْلِ النُّجُومِ بِالسَّنَى وَالْقَلَقِ
الْأَكْلُ الشَّارِبُ مِنْ غَيْرِ مَلَلٍ الضَّاحِكُ الْإِلَهِى وَلَوْ ذَالَتْ دُولُ
الْمُدْرِكُ الدُّنْيَا كَمَا تَكُونُ وَخَيْرُهَا اللَّعْبُ وَالْجُنُونُ

(١) موريس : نجل المكتوب اليه

وَأَنْتَ أَيْضاً مُخْبِرِي عَنِ «شَرْلِ»
 أَرَاهُ يَنْمُو زَاكِيًا مُبَشِّرًا
 لَكِنَّهُ مِنْ دُونِهِ بَجَالًا
 هَلْ بَدَأَ الْخُطْبَةَ فِي دُنْيَاهُ
 أَمْ لَمْ يَزَلْ فِي صَمْتِهِ الْقَدِيمِ
 وَهَلْ تَرَى يَخْرِقُ حُرْمَةَ الْأَدَبِ
 وَهَلْ يَمُدُّ يَدَهُ لِلشَّارِبِ
 وَهَلْ يُغْنِي عَنْهُ فَكْلًا
 وَجَمَعَ الْأَمْلاكَ حَوْلَ الْمَهْدِ
 غَزَسِ الْعَلَاءِ وَرَجَاءِ النَّبْلِ^(١)
 بَانَ يَكُونُ كَأَخِيهِ مَخْبِرًا
 كَمَا يُرِيدُ الْفِكْرُ أَنْ أَخَالَ
 يَقُولُ : يَا أَبَا ، وَيَا أُمَّاهُ ؟
 صَمْتَ الْأَرِيبِ الْعَاقِلِ الْحَكِيمِ ؟
 رَشًّا عَلَى أَبِيهِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ ؟
 وَيَنْتِفُ الشَّعْرَ بِلَا مُحَاسِبٍ ؟
 أَنْشَدَ عِلْمَ الطُّيُورِ النَّعْمَا ؟
 يُسْمِعُهَا شِدْوَ الْمَنَى وَالسَّعْدِ ؟

وَقُلْ لَنَا مَا سِنَّتُهُ وَأَطْلِ
 عَنْ خَيْرِ زَوْجِ ذَاتِ قَلْبٍ صَالِحِ
 عَنْ رَبَّةِ الْخِذْرِ الْمَصُونِ «إِمْلِي»
 وَخَيْرِ أُمَّ ذَاتِ عَقْلِ رَاجِحِ

وَأَقْرَأُ سَلَامِي لِأَخِي «بَاسِئِلِي»
 وَقُلْ لَهُ : أَوْحَشْنَا كَثِيرًا
 فَالْيَشْرَبِ الصِّحَّةَ شُرْبَ الْمَاءِ
 وَلِيَأْتِنَا بِسَلِّ مَاءِ سَاسِلِ
 وَاشْفَعُهُ بَعْدَ الْإِذْنِ بِالتَّقْبِيلِ
 وَأَوْحَشَ الْأَرْبَعِ وَ«الْقُصُورَا»
 وَلِيَنْشَقِ الشَّرُورَ فِي الْمَوَاءِ
 وَ«طَرْدِ خَيْشِ» مِنْ هَوَاءِ مُمْتَلِي

(١) شرل : اسم النجل الثاني

وَهَمْنَا بِجَمِيعِنَا دَاعُونَ بِعَوْدِكُمْ حَالًا لَنَا آمِينًا
وَمِنِّي التَّسْلِيمُ وَالتَّقْبِيلُ يَا مَنْ فِدَاهُ : خَلَهُ « خَلِيلٌ »

الحا

هَذَا كِتَابِي لَيْسَ نَثْرًا مُرْسَلًا وَلَيْسَ شِعْرًا ، فَهَوَّ شَيْءٌ لَا وَلَا
سَطْرَتُهُ كَقَوْلِهِمْ عَلَى عَجَلٍ فَلَا تُؤَاخِذْنِي عَلَى هَذَا الْخَلَلِ

حرب غير عادلة

ولا متعادلة

بين أمة كبيرة وأمة صغيرة

- ١ -

فِيمَ اخْتِبَاسِكَ لِلْقَلَمِ وَالْأَرْضُ قَدْ خُضِبَتْ بِدَمٍ؟
سَدَّدَ قَوْمٍ سِنَانِهِ فِي صَدْرِ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمِ
نَبَّهُ بِأُمِّ الزَّوَا لِ فَعَلَهُ يُحْيِي الرُّمَمَ
أَلْيَوْمُ يَوْمُ الْقِسْطِ قَدْ قَامَ الْأُولَى ظَلَمُوا فَعَمَّ
بَيْنَ الدِّينِ يُقَاتِلُونَ وَبَيْنَنَا قُرْبَى النِّقَمِ

- ١٧١ -

مَنْ يَسْتَبِيحُهُ عَدُوْنَا فَلَهُ بِنَا صِلَةُ الرَّحْمِ
لَا أَمْنَ لِلْبَلَدِ الْأَمِينِ وَفِي غَدٍ قَدْ يَهْتَضَمُ

قُلْ يَا فَتَى الشُّعْرَاءِ قُلْ : لَبَّتْكَ أُمُّ عَصْتِ الْمِمْ
أُدْعُ الْخَامِرِ الشَّبَابِ عَ إِلَى الْحَفِيزَةِ وَالذَّمِّ
كُلُّ يَوْمٍ بِمَا عَلَيْنَاهُ وَمَنْ تَتَأَقَّلُ فَلَيْسَ
بِمَنَا عَلَى جَهْلٍ وَقَدْ عَاشَ الْكِرَامُ وَنَحْنُ لَمْ
فَإِذَا انْقَضَتْ آجَالُنَا فَمِنَ الرَّقَادِ إِلَى الْعَدَمِ
وَإِذَا بُعِثْنَا بَعْدَهَا فَكَأَنَّمَا رُؤْيَا حُلْمٍ

- ٢ -

لِمَنِ الْخِيَامُ ؟ فَمَا عَلَى جَبَلٍ لِنَسْرِ مُعْتَصِمٍ
شَرُفَتْ عَلَيْهَا خَيْمَةٌ وَتَفَرَّدَتْ بَيْنَ الْخَيْمِ
بَادٍ بِهَا عِلْمٌ عَلَى عِلْمٍ أَقَامَ بِهِ عِلْمٌ (١)
شَيْخٌ مِنَ الصَّوَّانِ مَنْ يَمْسَسُهُ يَقْتَدِحُ الضَّرْمِ
مُتَعَوِّدٌ قَهَرَ الْعِدَى كَالنُّورِ فِي كَشْفِ الظُّلْمِ
لَأَنْتَ عَرِيكَتُهُ لَطُو لِمِرَاسِهِ وَقَسَا الْأَدَمِ (٢)

(١) علم : راية . علم (الثانية) : جبل . علم (الثالثة) : رجل عظيم
(٢) الأدم : ظاهر الجسم

تَتَشَلَّمُ الْآفَاتُ مِنْهُ بِصَارِمٍ لَا يَنْتَلِمُ
 وَيَرِقُّ مَشْحُودًا بِهَا فَإِذَا أَصَابَ قَدَّ قَصَمُ
 بِمُبَارَكٍ فِي مَعَشَرٍ كَالْجَيْشِ مِنْ نَسْلِ كَرَمٍ
 جَيْشٌ وَلَكِنْ لِلْمُرُوءَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالشَّمَمِ
 مَقْسُومَةٌ أَخْلَاقُهُ فِيهِمْ ، وَنِعَمَ الْمُقْتَسَمِ

هَذَا الرَّئِيسُ وَمِثْلُهُ فِي النَّاسِ يَعْظُمُ مَنْ عَظُمُ
 وَمِنْ الْمُلُوكِ أَعِزَّةٌ لَا يَصْلُحُونَ لَهُ حَسَمُ
 لَمْ يَكْبُرُوا بِسِوَى الْغِنَى وَالْكِبْرِيَاءِ عَنِ الْخِدْمِ
 قَدْ قَامَ يَرْتَقِبُ الْعِدَى كَالزَّادِ يَرْقُبُهُ النَّهْمُ
 وَتَحَفُّ أُمَّتُهُ بِهِ كَصِغَارِ لَيْثٍ فِي الْأَجْمِ (١)
 هِيَ أُمَّةٌ مُسْتَحَدَثٌ تَارِيخُهَا بَيْنَ الْأُمَّةِ
 مَا شِيدُوا مِنْ هَيْكَلٍ ضَخْمٍ وَلَا رَفَعُوا هَرَمَ
 قَلُوا وَلَكِنْ أَدْرَكُوا بِالْبَأْسِ شَأْوَ لَمْ يَرَمِ
 ذَادُوا عَنِ اسْتِقْلَالِهِمْ وَدِيَارِهِمْ ذَوْدَ الْبِهْمِ (٢)
 أَرْزَأَهُمْ حِلٌّ لَهَا وَمَوْطِنُهُمْ حَرَمٌ
 شُمٌ رَوَاسِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ وَمَعَطَسُهُمْ أَشْمٌ

(٢) البهم : الأبطال

(١) الأجم : ماوى الأسد

يَا يَوْمَ غَارَةِ ذِي الْغُرُو رٍ وَقَدْ دَهَاظُم مِّنْ أُمَّ (١)
 ذَيْبٌ تَوَقَّهْمُ نِيَا مَا فِي الْحَظِيرَةِ كَالنَّعْمِ
 وَإِذَا بِهِ فِي أَسْرِهِمْ شَاةٌ وَشَيْعَتُهُ غَمٌّ
 لَيْسَ تَوَقَّهْمُ مَغْنَمًا وَإِذَا الْعُقُوبَةُ مَا غَمٌّ
 صَادُوا الْمَيْءَ وَرَهْطُهُ صَيْدَ الْبَوَاسِقِ وَالرَّخْمِ
 وَجَزَوَهُ بِالذَّلِّ الْعَظِيمِ، كَذَلِكَ يُجْزَى مَنْ لَوْثُمْ
 ثُمَّ ارْتَأَوْا أَنْ يَقْتُلُوهُ بِصَفْحِهِمْ عَمَّا اجْتَرَمَ
 نَعْمَ الْمُرُوءَةُ لَوْ جَنَّتْ غَيْرَ الْإِسَاءَةِ وَالنَّدَمِ

— ٣ —

مَن هَذِهِ الزَّلَّاءُ قَدْ أَخْنَى بِهَا طُولُ الْعَقَمِ؟
 فِي الشُّجْبِ هَامَتْهَا وَوَطِئَتْ رِجْلَهَا فَوْقَ الْعَلَمِ
 بَرَزَتْ لَهُمْ مِنْ خِدْرِهَا مَهْتُوكَةً لَمْ تَلْتَمِمْ
 عِزْرِيْلُ أَوْلَادَهَا وَمِنْ سَفَاحِهَا الْقَوْمُ الْفُشْمِ
 تَرْنُو لِمَنْ غَشَى الْوَعْيَ وَلَهَا بِأَكْلِهِمْ وَحَمِ (٢)
 تُورِي نَوَاطِرُهَا اللَّظِي وَتَسِيلُ مِنْ فَمِهَا الْحَمَمِ
 وَنَهَا ذَوَائِبُ مُرْسَلَاتٍ لِلْكَرَائِهِ وَالزَّيْمِ (٣)

(١) ذى الغرور : كناية عن اسم مرتكب الغارة (٢) الوعى : غبار الحرب
(٣) الزيم : الغارات

شِبهُ الْعَثَانِينَ الْجَوَا رِفٍ فِي الْعَصِيبِ الْمُدْلَمِ (١)
 أَنَّى تَمْرٌ فَنَابِعٌ يَصْدَى وَرَاسٍ يَنْهَدِمُ (٢)
 بَشْتِ رَسُولُ الشَّرِّ تِلْكَ وَبِئْسَ وَالِدَةُ الْغَمِّ (٣)
 تِلْكُمْ هِيَ الْحَرْبُ الزَّبُؤُ نْ، وَذَلِكُمْ هَتَّكَ الْحَرَمُ

— ٤ —

وَيْلَ الْقَوِيِّ الْيَوْمَ مِنْ ذَاكَ الضَّعِيفِ وَقَدْ هَجَمَ
 أَتْرَى نُكُوصَ الْمُعْتَدِي مَلَأَ الْفَلَا مِمَّا ضَخُمَ ؟
 مُتَقَهِّراً وَهُوَ الَّذِي فِي بَأْسِهِ لَا يُتَّهَمُ ؟
 وَوُثُوبَ أَبْنَاءِ الدِّيَا رِيهِ إِلَى حَيْثُ انْهَزَمَ ؟
 كَالطَّيْرِ إِسْنَفَاً وَكَالْحَيَاتِ زَحْفَاً فِي الْأَكْمِ
 كَالذُّبِّ لَمْحَاً فِي الدُّجَى كَالْحَوْتِ خَوْضَاً فِي الْعَرَمِ
 يَمْشِي الْخَيْسُ كَوَاحِدٍ فِي السَّيْرِ نَحْوَ الْمُلْتَحَمِ
 بَأْسٌ بِلَا يَأْسٍ وَحَزْؤٌ فِي الْأَزَالِ بِلَا لَمَمٍ (٤)
 لَا خَوْفَ تَهْلُكَةٍ وَلَا عَنَ ضَعْفِ نَفْسٍ أَوْ سَأَمِ
 لَكِنْ لِعِزَّةٍ مَنْ يَكُونُ بَدِيلَ أَيِّهِمْ ارْتَطَمَ (٥)

(١) العثانين : جمع عثنون وهو ما يتدلى من السحاب شبه الخرطوم ينسب كل ما يمر به .
 العصيب : اليوم الشديد (٢) يصدى : يعطش أى ينضب . راس : راسخ متين
 (٣) الغم : جمع غمة وهى الكربة (٤) لم : جنون (٥) ارتطم : هلك

وَلْيَنْبِتُوا وَيُجَدِّدُوا نَجْدَاتِهِمْ مِنْهُمْ مِنْهُمْ (١)

هَذَا لِقَاءُ بُوغْتُوا فِيهِ بِنَارٍ تَحْتَدِمُ
أَنْظُرُ إِلَى هَظْلِ الْجَمَا رِ كَأَنَّهُ وَكْفُ الدِّيْمِ (٢)
وَإِلَى الْقَنَابِلِ تَسْتَقِي مَهَجَ الْجِيُوشِ وَتَلْتَمِمْ
عَمِيَاءَ تُبْصِرُ فِي الْوَعَى سُبُلَ الْعَدُوِّ فَتَخْتَرِمُ
مَضْمُومَةَ الْفَكِّينِ حَتَّى تَلْتَقِي مَا تَلْتَقِمُ
تَنْقُضُ وَهِيَ عَوَابِسُ حَتَّى تُمِيتَ فَتَبْتَسِمُ
أَنْظُرُ جُمُوعَ نِسَائِهِمْ مِيسًا كَبَانَاتِ الْعَلَمِ
غَيْدٌ يُفَازِلُهَا الرِّصَا صُ وَهَلْ لَهُ أَنْ يَحْتَشِمُ؟
أَنْظُرُ إِلَى الْأَطْفَالِ تَحْدِفُ وَهِيَ تَلْعَبُ بِالرُّجْمِ
وَإِلَى الشُّيُوخِ تَمَخَّضَتْ بِدِمَائِهَا مِنْهَا اللَّعْمُ
أَنْظُرُ إِلَى صَرَاعِمٍ كُلِّ كَصْرَحٍ مُنْهَدِمٍ
أَنْظُرُ إِلَى فُرْسَانِهِمْ ثَارُوا كَأَرْيَاحِ هُجْمِ
وَإِلَى الْمَشَاةِ كَانَهُمْ سُورٌ يَسِيرُ عَلَى قَدَمِ
وَالذَّاهِبِينَ الْآيِبِينَ بِمَا بَدَا وَبِمَا رُمِمَ
وَالْقَائِمِينَ الْجَائِعِينَ وَمَنْ يَكْرُهُ وَمَنْ يَهُمُّ

(١) البهم : جمع بهمة وهو الشجاع الذي يستبهم مأناه على أقرانه (٢) الديم : رش السحب

وَالْمَاطِبِينَ إِلَى النَّرَى وَالصَّاعِدِينَ إِلَى الْقِمَمِ

وَأَسْمَعَ صَهِيلَ خِيُولِهِمْ مُتَحَفِّزَاتٍ لِلْقَحْمِ
وَزَمَاجِرَ الْخُرْمِ الضَّوَّا رِي مِنْ مُعِدَّاتِ الْأَزْمِ (١)
وَالرَّاعِدَاتِ كَأَنَّهَا صَعَقَاتُ مُوسَى فِي الْقِدَمِ
وَزَيْبَرَ آسَادِ الْحَدِيدِ وَزَجَرَ فِتْيَتِهَا الْهَضْمِ
وَأَسْمَعَ صَدَى الْأَطْوَادِ تُو شِكُ أَنْ تُصَدِّعَ أَوْ تُصِمَّ
وَأَسْمَعَ أَنْبِنَ الْأَرْضِ وَآ جِفَةً أَسَى مِمَّا تَجِمُّ (٢)

غَلَبَ الْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ وَعَفَّ عَنْهُ فَمَا انْتَمَ
لَكِنَّهُ مَهْمَا يَفُزُ بَدَأَ يَسُوءُ الْمُخْتَمَ
طُفْ فِي قُرَاهُ فَمَا تَرَى مِنْ يَأْسٍ كُلِّ أَبٍ وَأُمِّ
وَمِنْ الْجِيَاعِ الْمَأْمِيِّينَ عَلَى الْوُجُوهِ مِنَ الْأَلَمِ
وَمِنْ الْحَبَالَى الْمُجَهِّضَاتِ مِنَ التَّضَوُّرِ وَالسَّقَمِ
وَمِنْ الْيَتَامَى فِي الْمُهْوِ دِ عَلَى الْمَجَاعَةِ تَنْفِطِمِ
وَمِنْ الْكَوَارِثِ بَيْنَهُمْ تَسْتَنُّ كَالْوَبْلِ الرَّذْمِ (٣)
وَطُفِ الْمَنَاجِمِ ، كَمْ أَسَى مِنْهَا وَكَمْ خَطْبِ نَجْمِ؟

(١) الأزم : الأزمات (٢) تجم : تألم (٣) الرذم : المطر الغزير

مَغْفُورَةٌ. الْأَفْوَاهِ طَا وَيَهُ الْخَشَى بَعْدَ الْبَشْمِ. (١)
يَا لَيْتَهَا غُفْلٌ ، فَكَمَ نَقِمَ تَلَتْ تِلْكَ النَّعْمَ ؟

سُخْطًا عَلَى الظُّلَامِ أَقْدَرَمَا نَكُونُ عَلَى الْكَلِمِ
وَلَتَبِكَ مَنْ مَاتُوا وَمَا مِنْهُمْ جِبَانٌ مُنْهَزِمٌ
وَلَتَرْتِ لِلضُّعْفَاءِ يُفْنِينِهِمْ قَوِيٌّ مُفْتَنِمٌ. (٢)
خَطْبُ رَأَاهُ الْمُنْصِفُ نَ كَانَ أَحْيَاهُمْ صَمَ
رَأُوا الذَّنَابَ فَحَاوَلُوا أَنْ يَدْرَأُوهَا بِالْحِكْمِ
أَيْنَ الْقَضَاءِ إِلَيْهِ أَرْبَابُ الْمَالِكِ تَخْتَصِمُ ؟
أَيْنَ الْحَقِيقَةُ ؟ أَيْنَ إِنْ صَافُ الْبَرِيءِ إِذَا ظَلِمَ ؟
مَنْ لِلضَّعِيفِ إِذَا شَكَأَ ؟ وَعَلَى الْقَوِيِّ إِذَا أُنِمْ ؟
يَا مَنْ يُدْأَجُونَ أَرْجِعُوا قَدْ خَابَ مَنْ بِكُمْ اعْتَصَمَ
لَا تَسْفَلُوا أَذْهَانَكُمْ بِمُحَقِّقِ شَعْبِ تَهْتَضَمُ
حَلَمُوا إِذَا لَمْ يَنْظُرُوا لِعَاشِ مِنْهُمْ مَنْ سَلِمَ
فَدَعُوهُمْ يَحْيُونَ أَوْ يَفْنُونَ بَرَاءَ بِالْقَسَمِ
وَخَذُوا الضَّمِيرَ فَكَفَنُوا هُ بِالْكَرِيمِ مِنَ الشِّمِ
وَاسْتَوْدِعُوهُ تَرَابَهُ مَيْتًا وَقُولُوا : لَا رُحِمَ

(٢) مفتشم : ظالم

(١) البشم : الشبع الزائد

فتاة الجبل الاسود

في حادثة جرت قبيل استقلال ذلك الجبل

طَفَّتْ أُمَّهُ الْجَبَلَ الْأَسْوَدَ عَلَى حُكْمِ فَاتِحِيهَا الْأَيْدِ (١)
وَهَبَّتْ مُنِيخَاتُ أَطْوَادِهَا نَوَاشِرَ كَالِإِبِلِ الشُّرْدِ (٢)
وَأَبْلَى النِّسَاءُ بِلَاءَ الرَّجَا لِي لَدَى كُلِّ مُعْتَرِكٍ أُرَيْدِ (٣)
نِسَاءً لِدَانُ الْقُدُودِ لَهَا خُدُودٌ كَزَهْرِ الرَّيَاضِ النَّدَى
تَنْظَمُ مِنْ حُسْنِهَا جَنَّةٌ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ الْأَجْرَدِ

وَيَوْمَ كَانَتْ شُعَاعَ الصَّبَا حِ كَسَاهُ مَطَارِفَ مِنْ عَسْجَدِ (٤)
تَفَرَّقَتِ التُّرُكُ فِيهِ عَصَا نَبَّ كُلُّ فَرِيقٍ عَلَى مَرَصِدِ
يَسُدُّونَ كُلَّ شِعَابِ الْجِبَا لِي عَلَى النَّازِلِينَ أَوْ الصُّعْدِ
أَسْوَدٌ تَرَاقِبُ أُمَّتَاهُمَا وَلَا يَلْتَقُونَ عَلَى مَوْعِدِ
وَكَانَ عِدَاهُمْ عَلَى بُؤْسِهِمْ وَطُولِ جِهَادِهِمُ الْمُجْهِدِ
يُؤَافُونَهِمْ بَغْتَاتِ اللُّصُ صِي وَيَرْمُونَ بِالنَّارِ وَالْجِلْمَدِ (٥)
وَيَفْتَرِقُونَ تَجَاهَ الصُّفُوفِ فِي وَيَجْتَمِعُونَ عَلَى الْمَفْرَدِ

(١) الأبد : القدير
(٢) أطوادها : جبالها . نواشر : ذاهبة كل منعب
(٣) أريد : أغبر
(٤) عسجد : ذهب (٥) الجلمد : الصخر

وَيَمْتَنِعُونَ بِكُلِّ خَفِيٍّ عَصِيٍّ عَلَى أَنْهَرِ الرُّوَدِ
وَأَيُّ رَأَى شَارِدًا يَقْتَنِضُهُ وَأَيُّ رَأَى وَارِدًا يَضْطَدُّ
وَيَلْتَقِمُونَ جَنَاحَ الْخَيْسِ إِذَا الْعَوْنُ أَعْيَى عَلَى الْمُنْجِدِ (١)
مَنَامُهُمْ جَائِعِينَ وَقُوًّا وَلَا يَهْجَعُونَ عَلَى مَرَقِدِ
وَمَا مِنْهُمْ لِلْعَدَى مُرْشِدٌ سِوَى غَادِرِ سَاءٍ مِنْ مُرْشِدِ
إِذَا لَمْ يَقْدُمْ إِلَى مَهْلِكِ أَضَلَّ بِحِيلَتِهِ الْمُهْتَدِي
وَيَعْتَسِفُ التُّرْكَ فِي كُلِّ صَوْبٍ بِ فَهَذَا يَرُوحُ وَذَا يَفْتَدِي

وَمَا التُّرْكَ إِلَّا شَيْوُخُ الْحُرُوبِ بِ وَمُرْتَضِعُوهَا مِنَ الْمَوْلِدِ
إِذَا أَلْقَحُوهَا الدَّمَاءَ فَلَا نِتَاجَ سِوَى الْفَخْرِ وَالشُّوَدُودِ
سَوَاءً عَلَى الْمَجْدِ أَيًّا تَكُنْ عَوَاقِبُ إِقْدَامِهِمْ تَمُجِّدِ
وَلَكِنَّ قَوْمًا يَدُودُونَ عَنْ حَقِيقَتِهِمْ مِنْ يَدِ الْمُعْتَدِي (٢)
وَتَعْصِيهِمْ شَائِحَاتُ الْجِبَا لٍ وَكُلُّ مَضِيْقٍ بِهَا مُوَصَّدِ (٣)
وَيَدْفَعُهُمْ جُبٌّ أَوْطَانِهِمْ وَيَجْمَعُهُمْ شَرْفُ الْمَقْصِدِ
لَوْ الْمَوْتُ مَدَّ إِلَيْهِمْ يَدًا لَرَدَّوهُ عَنْهُمْ كَلِيلَ الْيَدِ

وَكَانَ مِنَ التُّرْكِ جَمْعُ الْقَلِيلِ عَلَى رَأْسِ مُنْحَدَرٍ أَضَلَدِ

(١) الخيس : الجيش (٢) حقيقتهم : وطنهم (٣) موصلد : مفلق

كَبِيرِ اِثْلُومٍ كَأَنَّ الفَتَى إِذَا زَلَّ يَهْوِي عَلَى مِبْرَدٍ
وَقَدْ نَصَبُوا فَوْقَهُ مِدْفَعًا يَهْزُ الرِّوَايِخَ إِنْ يَرَعِدُ
وَحَفُوا كَأَشْبَالِ لَيْثٍ بِهِ وَهُمْ فِي دِعَابٍ وَهُمْ فِي دَدٍ
فَقَاجَأَهُمْ هَابِطٌ كَالْقَضَا فِي شَكْلِ غَضِّ الصَّبِيِّ أَمْرَدٍ
فَتَى كَالصَّبَاحِ بِإِشْرَاقِهِ لَهُ لَقْتَةُ الرِّشَاءِ الْأَغْيَدِ
يَدَا سَنَاهُ وَسِيَاوُهُ عَلَى شَرَفِ الْجَاهِ وَالْمَحْتَدِ
تَرْدُ سَوَاطِعُ أَنْوَارِهِ سَلِيمِ النَّوَاطِرِ كَالْأَرْمَدِ
أَقْبُ التَّرَائِبِ غَضُّ الرِّوَا فِي يَحْتَالُ عَنْ غُصْنِ أُمَيْدٍ (١)
لَهَيْبِ الْحُرُوبِ عَلَى وَجْنَتَيْهِ وَالنَّقْعُ فِي شَعْرِهِ الْأَسْوَدِ (٢)
وَفِي مَحْجَرِيهِ بَرِيقُ السُّيُوفِ فِي وَظِلِّ الْمَنِيَّةِ فِي الْأَثْمَدِ
فَأَكْبَرَ كَلْمُهُمْ أَنَّهُ رَأَاهُ تَجَلَّى وَلَمْ يَسْجُدِ
وَوَظْنُوهُ مُسْتَنْفَرًا هَارِبًا أَتَاهُمْ بِذِلَّةٍ مُسْتَنْجِدِ
وَلَمْ يَحْسَبُوا أَنَّ ذَا جُرْأَةٍ يُهَاجِمُ جَمْعًا بِلَا مُسْعِدِ
تَبَيَّنَ هُلُكًا فَلَمْ يَخْشَهُ وَأَقْدَمَ إِقْدَامَ مُسْتَأْسِدِ
فَأَفْرَغَ نَارَ سُدَاسِيهِ عَلَى الْقَوْمِ أَيًّا تُصَبُّ تُقْصِدِ (٣)
وَضَارَبَ بِالسَّيْفِ يُمْنَى وَيُسْرَى فَأَيْنَ يُصَبُّ مَغْمَدًا يُغْمِدِ
سَقَى الصَّخْرَ مِنْ دَمِهِمْ فَارْتَوَى وَلَمْ يَشْفِ مِنْهُ الْفُؤَادَ الصَّدَى (٤)

(١) الترائب : متقدم الصدر (٢) النقع : دخان الحرب (٣) قصد : قتل
(٤) الصدى : الظمان

فَمَا لَبِثُوا أَنْ أَحَاطُوا بِهِ فِدَانٍ لِكَثْرَتِهِمْ عَنْ يَدِ
 وَلَوْلَا اتِّقَاءُ الْخِيَانَةِ فِيهِ لَكَانَ الْأَلَدُ لَهُ يُفْتَدَى
 فَلَمَّا اخْتَوَاهُ مَقَرُّ الْأَمِيرِ مَقُوداً وَمَا هُوَ بِالْقَيْدِ
 أَشَارَ، وَمَا كَادَ يَرْنُو إِلَيْهِ، بَانَ يَقْتُلُوهُ غَدَاةَ الْغَدِ (١)
 فَأَقْصَى الْفَتَى عَنْهُ حُرَّاسَهُ وَشَقَّ عَنِ الصَّدْرِ مَا يَرْتَدِي
 وَأَبْرَزَ نَهْدَى فِتَاةٍ كَمَا بِ بَطْرِفٍ حَيٍّ وَوَجْهِ نَدَى
 كَحَقِّي لُجَيْنٍ بِقُفْلِي عَقِيْقِي وَكَغَزَيْنِ فِي رَصْدِ مُرْصِدِ
 فَكَبَّرَ مِمَّا رَأَاهُ الْأَمِيرُ وَهَلَّلَ أَشْهَادُ ذَاكَ النَّدَى
 وَرَاعَهُمْ ذَانِكَ التَّوَامَا نِ وَطَوَقَاهُمَا مِنْ دَمِ الْأَكْبَدِ
 وَوَثَبَهُمَا عِنْدَمَا أُطْلِقَا بِعَزْمٍ إِلَى ظَاهِرِ الْمَجْسَدِ (٢)
 كَوْتِبِ صِنَارِ الْمَهَا الظَّامِنَا تِ نَفْرَنْ خِفَافًا إِلَى مَوْرِدِ

وَأَرْخَتْ ضَفَائِرَهَا فَارْتَمَتْ إِلَى مَنْكِبَيْهَا مِنَ الْمَقِيدِ
 تُحِيطُ دُجَاهَا بِشَمْسٍ عَرَا هَا سَقَامٌ فَحَالَتْ إِلَى فِرْقَدِ
 وَقَالَتْ : أُمُهْجَةُ أَنْثَى تَنِي بِثَارَاتِ صَرَعَاكُمْ أُمُهْدِ ؟
 تَفَانُوا فَمَا خَاسَ فِي وَقْعَةٍ فَنِي مِنْ مَسُودٍ وَلَا سَيْدِ
 يَرَى الْعِزَّ فِي نَصْرِ سُلْطَانِهِ وَإِلَّا فَنِي مَوْتٍ مُسْتَشْهِدِ

(١) غداة : صباح (٢) المجد : ستر الصدر

وَمِنْ خُلُقِ التُّرْكِ أَنْ يُورِدُوا سِيُوفَهُمْ مُهَجَّ الحُرْدِ (١)
فَدُونَكُمْ قِتْلَةً حُلَّتْ تَدِي مِنْ دِمَائِكُمْ مَا تَدِي (٢)

فَأَضْفَى الأَمِيرُ إِلَى قَوْلِهَا وَلَمْ يُسْتَفْزَرْ وَلَمْ يَحْقِدِ
وَأَعْظَمَ نَفْسَ الفِتَاةِ وَبَأْسًا مَا بِهَا فِي الصَّنَادِيدِ لَمْ يَعْبُدِ
وَحُسْنًا بِمُشْرِكَةٍ دَاعِيًا إِلَى الشَّرْكِ مَنْ يَرَهُ يَعْبُدِ
أَبِي عِزَّةً قَتَلَ أَنْتَى تَدُو دُ ذِيَادَ المُدَافِعِ لَا المُنْتَدِي
قَالَ : انْقُلُوهَا إِلَى مَا مَنِ وَأَوْضُوا بِهَا نُطْسَ العُودِ
لِتَعْلَمَ أَنَا بِأَخْلَاقِنَا نَزَّهَةٌ عَنِ تَهْمِ الحَسَدِ
فَإِذَا أُخْرِجَتْ قَالَ لِلْمَا كَيْبِنِ وَهُمْ فِي ذُهُولِهِمُ المُجَمَدِ :
لَهَا اللهُ فِي النِّيدِ مِنْ غَادَةٍ ! وَفِي الصَّيْدِ مِنْ بَطَلِ أَصِيدِ !
أَنْهَلِكُ شَعْبًا غَزَتْ دَارَهُ يُقَالُ الجِيُوشِ فَلَمْ يَخْلُدِ !
خَلِيقٌ بِنَا أَنْ نَرُدَّ القَلِي وَدَادًا وَمَنْ يَصْطَنِعُ يُوَدِّدِ
فَمَا بَلَدٌ تَفْتَدِيهِ النِّسَاءُ كَهَذَا الفِدَاءِ بِمُسْتَعْبَدِ

(١) الحرد : النساء (٢) تدي : تكون دية أى عوضاً

حِكَايَةُ عَاشِقَيْنِ

من سنة ١٨٩٧ إلى غاية سنة ١٩٠٣

تتبع الناظم وقائعها وكان فيها ترجان ضمير العاشق ولسان فؤاده



تنبيه — قد أُفرد لهذه الحكاية مكان خاص بها من هذا الديوان ليتمكن تفهم حوادثها من الاشارات الشعرية واستقراء وقائعها غير مبعثرة بين متفرقات كثيرة لا صلة لها بها . ولهذا اجتزى بتاريخ عام لها كما هو وارد تحت العنوان عن إثبات كل منظومة بتاريخها . وقد أبدل الناظم اسم العاشق بضمير المتكلم وسمى المعشوقة أسماء متعددة لتخفي حقيقتها وتنصرف عنها الظنون

حكاية عاشقين

الفصل الأول

سعادة الحب

أول المعرفة

اجتماع في حديقة . لسعة نحلة

أَفْتَدِي مَنْ لَسَعَهَا نَحْلَةٌ تَطْلُبُ وِرْدًا
ظَنَنْتِ الْوَجْنَةَ وِرْدًا فَاتَتْ تَرَشُفُ شَهْدًا

سكوى الحساء

من ألم اللسعة

مَرَّةً^(١) لَهَا الْحَسَنُ عَلَى كَوْنِهِ حُلُومًا وَقَدْ أُغْرِيَ بِهَا النَّحْلًا
لَعَلَّهَا كَفَّارَةٌ قُدِّمَتْ عَمَّنْ سَيَقْضُونَ بِهَا قَتْلِي

(١) مرّة : ضدّ حلا

صعرة منظار

حضرها العاشقان

وَدَدْتُ لَوْ أَنَّ مُنْطَادًا خَفِينًا تَحَمَّلْنَا إِلَى أَوْجِ الْعَلَاءِ
وَأَطَقْنَا فَرُحْنَا فِي عِنَاقِ طِوَالِ الدَّهْرِ فِي عُرْضِ الفَضَاءِ
كَفَرَحْنِي طَائِرٌ رُفِعًا فَطَارَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ خَلَلَ المَوَاءِ
بِأَجْنِحَةٍ ضِعَافٍ شَدَّدَتْهَا مِمَّالَةً الصَّبَابَةِ وَالرَّجَاءِ (١)
فَهَامَا فِي العَمِيقِ مِنَ المَهَاوِي وَعَامَا فِي السَّحِيقِ مِنَ الخَلَاءِ
وَذَاقَا لِلِلهْوَى سُكْرًا عَجِيبًا طِلَاحًا مِنَ الطَّلَاقِ وَالضِّيَاءِ (٢)
لَدُنْ شَمْسِ النِّهَارِ تَسِيلُ حُبًّا وَتَسْقِي الطَّيْرَ فِي كَأْسِ السَّمَاءِ

جواب سؤال

في أي اللبسين أفضل للنساء ، أهو الأبيض أم الأسود ؟

إِذَا مَا تَرَدَّيْتَ البَيَاضَ لِتَنْجَلِي فَكَالشمْسِ يَجْلُوهَا الصَّبَاحُ لِتَسْطَعَا
وَإِنْ تَوَثَّرِي سُوْدَ المَطَارِفِ مَلْبَسًا فَكَالْبَدْرِ يَخْتَارُ اللَّيَالِي مَطْلَعَا

(١) ممالاة : مساعدة (٢) طلاه : خره

شُفِّ وَتَلْمَأُ

ضَجِيعٌ مَهْدٍ لَفَى الْحُمَى يُسَاوِرُنِي صَرِيحٌ وَجْدٍ كَوَقْدِ النَّارِ مُشْتَعَلِ
رَأَيْتُ حُلْمًا كَأَنِّي قَدْ ثَوَيْتُ عَلَى قُرْبٍ مِنَ النَّيْلِ فِي يَوْمٍ أُغْرَجَلِي
وَقَدْ صَفَا صِفْوَةَ الْمِرَاةِ مُنْبَسِطًا سَوَى وَجْهِ كَأَنَّ الْمَاءَ لَمْ يَسِلِ
وَشَفَّ حَتَّى بَدَأَ لِي رَسْمَ فَاتِنَتِي كَمَا يُمَثِّلُهُ فِكْرِي تَخْيِيلَ لِي
قُتِرْتُ لِلْمَاءِ مِنْ شَوْقِي وَمِنْ ظَمَائِي أَرْجُو شِفَاءَهُمَا مِنْهُ بِمُنْتَهَلِ
فَلَمْ أَقْدَمْ إِلَى بِلْوَرِهِ شَفَتِي حَتَّى تَكْسَرَ مُنْحَلًّا . . . إِلَى قُبَلِ

شكوى

إِلَى كَمِّ جَوَابِي الْعُمَرَاءُ؟ كَنِضُو جَائِبٍ قَفْرًا^(١)
يَرَى آلاً عَلَى ظَمَائِي فَيَنْظُمُ مَرَّةً أُخْرَى^(٢)
وَيَنْخَبِطُ فِي الدُّجَى وَلَهُ ضَمِيرٌ يَجْتَلِي بَدْرًا
وَلِي حَبٌّ هُوَ الدُّنْيَا لِرُوحِي وَاللَّيْ طُرًّا^(٣)
قَرِيبُ الدَّارِ مُبْتَعِدٌ وَكَمِّ قُرْبٍ حَكَى هَجْرًا

(١) كنضو، النضو: الذي بلغ منه عناء السفر (٢) آلا: سراباً

(٣) حب: حبيب

كَذَّكَ الْآلِ مُلْتَمِعًا وَذَاكَ الْبَدْرِ مُفْتَرًا
 فَيَا آمَالُ مَا بِكَ أَنْ تَنَالِي الْأَنْجَمَ الزُّهْرَا
 وَيَا قَلْبِي كَفَاكَ صَدَى وَرَوْدُ الْآلِ مُفْتَرًا (١)
 بَلَّغْنَا الْيَأْسَ مَرَّحَلَةً وَنَبْلُغُ بَعْدَهَا الْقَبْرَا

أَعْتَابُ (٢)

قِيلَ غَضَبِي فَهَلْ أُجَازِي وَغَيْرِي مِثْلَمَا تَعْلَمِينَ صَدَّ وَأَذْنَبِ
 هَكَذَا الطُّفْلُ إِنْ أَثَارَ بِذَنْبِ أُمَّهُ، رَاحَ قَبْلَهَا وَهُوَ مُفْضَبِ
 فَلَيْكُنْ مَا اقْتَرَفْتِهِ أَنْتِ ذَنْبِي فَاعْفِرِي مَا جَرَى وَلَا مُتَعَتَّبِ
 إِنِّي كَاتِبٌ إِلَيْكَ وَوُدِّي أَنْ شَوْقِي بِالشَّوْقِ لِالْخَبْرِ يُكْتَبِ
 قَلْبِي بِالرَّجَاءِ يَنْدَى وَدَمْعِي رَاسِمٌ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ كَوْكَبِ

(١) صدى : عطشاً (٢) أعتاب : استرضاء

قَوْمُكَ لَا يُعَادِلُهُ قَوْمٌ وَمِنْ أَوْصَافِكَ الْحُسْنُ التَّمَامُ
 وَفِي عَيْنِكَ سِحْرٌ بَابِلِيٌّ فَلَا يُدْرِي ، أَمَا أَمْ ضِرَامٌ ؟
 وَفِي الْأَهْدَابِ ضَعْفٌ وَانْكِسَارٌ فَكَيْفَ تُمَيِّنُنَا مِنْهَا السَّهَامُ ؟
 وَفِيكَ عُبُوسَةٌ تَحْلُو لَدَيْنَا فَكَيْفَ إِذَا جَلَاكَ لَنَا ابْتِسَامُ ؟
 وَفِيكَ لِكُلِّ عَيْنٍ كُلُّ مَعْنَى تَبَاحٌ لَهُ النُّفُوسُ وَلَا يُرَامُ
 تَحَاسِنٌ دُونَهَا ثَارَاتُ قَوْمٍ فَمَا لِفَتَى سِوَى النَّظَرِ اغْتِنَامُ
 كَتَمْتُ هَوَاكَ دَهْرًا لَا يَخُوفُ وَمَا أَنَا مَنْ يُرَوِّعُهُ الْحَمَامُ
 وَلَكِنِّي حَرَضْتُ عَلَيْكَ مِنْهُمْ وَلَوْ أَوْدَى بِمُهْجَتِي الْغَرَامُ
 وَكَمْ عَاتَبْتُ فِيهِ النَّفْسَ لَوْ مَا فَإِنْ عُوْتِبْتُ رَاعِنِي الْمَلَامُ
 كَجُرْحٍ قَدْ أَطْفَهُ بِلَسِي وَإِنْ هُوَ مَسَّهُ غَيْرِي أَضَامُ
 ظَلَلْتُ عَلَيْهِ أُخْيِي وَأَشْقَى إِلَى أَنْ بَاتَ وَهُوَ بِنَا سَقَامُ
 فَمَا أَنْسَى تَلَاقِينَا هَجِيعًا بِلَا وَعْدٍ كَمَا شَاءَ الْهَيَامُ
 كَأَنَّا شُعْلَتَانِ إِذِ اعْتَنَقْنَا عَلَى ظَمًا فَلَمْ يُرَوْ الْأَوْامُ^(١)
 وَمَا إِنْ تَنْطَفِي نَارٌ بِنَارٍ فَيَشْفِينَا التَّمَانِيُّ وَاللِّزَامُ^(٢)
 رِعَاهُ اللَّهُ لَيْلًا فِيهِ دُقْنَا نَعِيمَ الشُّهْدِ وَالرُّقْبَاءِ نَامُوا
 فَكَانَ مِنَ الظَّلَامِ لَنَا ضِيَاءُ وَكَانَ مِنَ الضِّيَاءِ لَنَا ظَلَامُ

(١) الأوام : الظلمة (٢) اللزامة : الملازمة

آدم وهواه

حَمَلَتْ مِظَلَّاتٍ لَنَا الشَّجَرُ وَأَعَدَّ مُخْتَبَأً لَنَا الْحَمْرُ (١)
 وَدَنَا النَّسِيمُ الْعَاشِقِينَ إِلَى رَوْضٍ يَقْرَأُ بِحُسْنِهِ النَّظْرُ
 فِيهِ الْعِمَادُ الْخَضِرُ يَنْظِمُهَا فَنُ بَدِيعُ الْوَحْيِ مُبْتَكِرُ
 يَأْرَاقُهَا عَمْدٌ مُذَهَّبَةٌ مِنْ حَيْثُ نُورُ الشَّمْسِ يَنْحَدِرُ
 مُتَنَاسِقٌ مَا بَيْنَهَا حِجْرًا نِعْمَ السِّيَاحُ وَنِعْمَتِ الْحِجْرُ (٢)
 تَجْرِي سَوَاقِيهِ فَعَابِسَةٌ فِيهَا الظَّلَالُ وَيَضْحَكُ الْحِجْرُ
 وَكَأَنَّمَا نَسَمَاتُهُ كَلِمٌ وَكَأَنَّمَا نَفَحَاتُهُ فِكْرُ
 وَكَأَنَّ « هِنْدًا » فِي تَخَطُّطِهَا سُلْطَانَةٌ رُفِعَتْ لَهَا سُرُرُ

حَوَّاهُ هَدَى جَنَّةً أَنْفُ أَنَا آدَمُ فِيهَا وَذَا الثَّمَرُ (٣)
 فَرَنْتَ إِلَى غُضْنٍ بِهِ عَلِقْتَ بُمَّاحَةٌ يَشْتَاقُهَا الْبَصْرُ
 قَالَتْ : أَلَا أَرْقَى فَأَقْطِفَهَا؟ فَأَجَبْتُ إِنَّ الْعَبْدَ يَا عَمْرُ
 وَأَنْلَتْهَا كِنْفِي لِأَرْفَعَهَا فَسَمْتُ لِتَجْنِيهَا وَلَا حَذْرُ
 ثُمَّ أَقْدَسَمْنَاهَا كَمَا أَقْدَسِمْتُ قَدِمًا عَلَى مَا قَدَرَ الْقَدْرُ
 فَتَحَوَّلَ الْجَهْلُ الْعَهِيدُ بِنَا عِلْمًا وَبَانَ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ (٤)

(١) الحمر : ما يظل من الشجر (٢) حجراً : غرقاً (٣) أنف : بكر
(٤) العهيد : القديم

وَإِذَا بِنَا مُتَدَارِيَانِ وَمَا غَيْرَ الْهَوَى سِتْرٌ فَسْتَرُ

ذَنْبٌ أَتَيْنَاهُ مُشَاطِرَةً وَالذَّنْبُ شَفَعٌ وَهُوَ مُنْشَطِرُ
لَا بَأْسَ مِنْ فَقْدِ النَّعِيمِ بِهِ وَقَدِ اسْتَعَاضَتْ بِالْهَوَى الْبَشْرُ
حَوَاهِ! فِتْنَتِكَ النَّعِيمُ لَنَا لَا الْمَاءَ وَالْأَطْيَارُ وَالزَّهْرُ
حَوَاهِ! مَا أُغْوَيْتِ آدَمَ بَلْ أُخْيَيْتِهِ وَالصَّبَوَةَ الْعُرُ
مَنْ لَمْ يُحِبَّ فَمَا الصَّفَاءُ لَهُ صَفْوٌ وَمَا كَدَّرَ بِهِ كَدَّرُ
يَنْجَابُ عَنِ وَجْهِ الْحَيَاةِ كَمَا تَنْجَابُ عَنِ مِرَاتِمَا الصُّورُ

اعتذار

لَكَ الْأَمْرُ إِنْ أَنْصَفْتَنِي فَكُنِّي غُنْمًا وَإِنْ تَظَلِمِي فَالْحَبُّ شَاءَ وَلَا إِثْمًا
وَلَكِنِّي أَخْشَى ارْتِيَابَكَ فِي الْهَوَى فَإِنِّي إِذَنْ مِنْ دُونِهِ أُورِ الْظُلْمًا
أَبِيتُ طَوَالَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُسْهِدِي أَعَنَّفُ نَفْسِي وَهِيَ لَمْ تَقْتَرِفْ جُرْمًا
عَلَى ذِكْرِ عَهْدِكَ كَانَ لِي مِنْكَ مَوْعِدٌ بِتَجْدِيدِهِ لَوْ لَمْ تَحُلْ دُونَهُ الْخَمِي
عَدَّتْ فَعَدَّتْ دُونَ الْمَزَارِ وَلَمْ أَكُنْ بِمُسْتَأْخِرٍ لَوْ أَنَّ لِي مَعَهَا عَزْمًا
فِي الْجِسْمِ نَارٌ يَلْدَعُ الْقَلْبَ وَقَدْهَا وَفِي الْقَلْبِ نَارٌ مِثْلُهَا تَلْدَعُ الْجِسْمًا

وَيَنْهَضُ بِي حُبِّي إِذَا الشَّوْقُ هَاجَهُ وَيَقَعْدُ بِالْجِسْمِ الْكَلَالُ إِذَا هَمَّ

وَأَيُّ بِهٍ طُفْنَا الْجَزِيرَةَ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُهُ لَا تَدْمَعُ الْعَيْنُ بَلْ تَدْمَى
كَأَنَّ غُبَارًا أَخَذَتْهُ حِيَادُنَا كَسَا الْكُوكَبَ الدَّرِيَّ مِنَ كَدْرِ سُمَامَا
كَأَنَّ الدُّجَى سَوَّرْنَا بِسِرَادِقِي وَسَمَّرْتُهُ بِالشَّهْبِ حَبَسًا لِيَنْ ضَمَامَا
نَسِيرُ بِقُرْبِ النَّيْلِ وَهُوَ مُخَضَّبٌ عَلَى أَنَّهُ كَالنَّضْلِ فِي كَيْدِ الظَّلَامَا
وَيَرْنُو إِلَيْنَا مِنْ بَعِيدٍ بِعَيْنِهِ سِرَاجٌ رَقِيبٌ ثُمَّ يُغْمِضُهَا لَوْثَمَا
وَتُبْدِي لَنَا الْأَغْصَانُ شِبْهَ تَحِيَّةٍ وَتَسْتَقْبِلُ الْأَرْوَاحُ أَوْجُهَنَا لَنَا
كَأَنَّ لَنَا الدُّنْيَا وَمَا فِي سَمَائِهَا وَمَا دُونَهَا مُلْكًا وَأَنَّ لَنَا الْحُكْمَا

وَلَكِنَّهُ عَهْدٌ مَعِي أُسْتَعِيدُهُ لَدَى يَقْظَتِي ذِكْرًا وَفِي رَقْدَتِي حُلْمَا
وَأَسْأَلُ فِي الْبُحْرَانِ طَيْفَكَ زُورَةً تَحْتَفُّ عَنِّي ذَلِكَ الْأَلَمَ الْجَمَامَا
فَلَا حُسْنَ إِلَّا حُسْنُهُ إِذْ ضَمَمْتُهُ وَلَا صِحَّةَ إِلَّا سَقَامِي وَقَدْ ضَمَامَا
إِذْ رُمْتُ أَنْ لَا أَبْرَحَ الدَّهْرَ ذَاهِلًا لِأَشْفِي مِنْهُ وَجَدَ قَلْبِي وَلَوْ وَهَمَامَا
أَحِبُّكَ حَتَّى لَا سُرُورَ وَلَا مَنِي وَلَا شَمْسَ إِلَّا أَنْ أَرَكَ وَلَا نَجْمَامَا
أَحِبُّكَ حَتَّى يُنْكِرَ الْحُبُّ رُسْلَهُ جَمِيلًا وَقَيْسًا وَالْأَوْلَى اسْتَشْهِدُوا قَدَمَامَا
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الْمَوْتِ سَلَوَى أَخَافُهَا لِأَحْبَبْتُ حَتَّى الْمَوْتِ فِيكَ وَلَوْ دُمَامَا

أشعر رتجن

جَلَسْتُ إِلَى «هِنْدَ» ذَاتَ مَسَاءٍ وَأَنَسْنَا الْقَمَرُ السَّاهِرُ
 فَحَدَّثْتُهَا عَنْ ضِيَاءِ عَجِيبٍ يُسْرُ بِرُؤْيَتِهِ الزَّائِرُ
 لَهُ زُرْقَةُ الْمَاءِ (١) لَكِنَّهُ شَرَارٌ مِنَ النَّارِ مُطَابِرُ
 كَمُنْتَشِرٍ مِنْ غُبَارِ الزُّمُرِ يَحْمِلُهُ لَهَبٌ ثَائِرُ
 كَانَ بِهِ لِلْعَيُونِ عُيُونًا فَكُلُّ خَفِيٍّ بِهِ ظَاهِرُ
 يُرِينَا الْجِسْمَ أَضَالِعَ جَفَّتْ وَزَايِلَهَا حُسْنَهَا النَّاضِرُ
 هِيَ كُلُّ مُحْكَمَةٍ شَادَهَا لَطِيفٌ لِمَا شَاءَهُ قَادِرُ
 يُرْفِرُ فِيهَا الْفُوَادُ كَمَا يُرْفِرُ فِي الْقَفْصِ الطَّائِرُ
 قَالَتْ وَقَدْ رَابَهَا مَا وَصَفْتُ وَأُورَى اللَّطَى طَرْفَهَا الْقَاتِرُ:
 أَتَبْدُو خَبَايَا الْقُلُوبِ بِهِ شَوَاحِصَ يَنْظُرُهَا النَّاطِرُ؟
 فَيَا حَبْدًا هُوَ نُورًا يُرِيكَ مِثَالِكَ فِي الْقَلْبِ يَا جَائِرُ
 قُلْتُ: أُعِيدُ وَفَاءُكَ نَمَّا يَرِيبُ فَاِنِّي إِذْ غَادِرُ
 بِهَذَا الضِّيَاءِ يُرَى كُلُّ جُرْمٍ عَنِ الْعَيْنِ يَسْتُرُهُ سَاتِرُ
 وَلَكِنَّهُ لَا يُرِينَا الضَّمِيرَ وَلَا مَا يَجُولُ بِهِ الْخَاطِرُ
 فَثَابَتَ إِلَى دَعْوَتِي عَنْ رِضَى كَمَا يَأْنَسُ الرَّشَاءُ النَّافِرُ (٢)

(١) ويكون بمضرة التبت (٢) ثابت : رجعت

فَجِئْنَا مَكَانًا كَثِيفَ الدُّجَى يُنِيرُ سِرَاجٌ بِهِ سَاهِرُ
يَفِيضُ ضِيَاءً وَمِنْ حَوْلِهِ ظَلَامٌ مُحِيطٌ بِهِ غَامِرُ
عَلَى كَثَبٍ وَيُرَى قَاصِيًا كَمَا يُنْظَرُ الكَوْكَبُ السَّافِرُ
فَدَانِيَتُهُ وَلِهِنْدٍ فُوَادُ خَفُوقٌ وَفِكْرٌ بِهِ حَاطِرُ
فَلَمَّا رَأَيْتَنِي أَضَالِعَ سُودًا يُحِيطُ سَدِيمٌ بِهَا بَاهِرُ^(١)
كَأَلَوْ بَدَتُ فِي زُجَاجِ مُضَاءٍ تَخَاطِيطٌ نَكَّرَهَا سَاحِرُ
أَبَتْ أَنْ أَرَاهَا وَقَدْ زَالَ عَنْهَا جَمَالٌ مَلَاحِمَهَا الزَّاهِرُ
وَقَالَتْ عَصَيْتُكَ فِيمَا أَشْرْتَ وَبِالرُّوحِ أَمْرُكَ وَالْأَمِرُ
أَضُنُّ بِحُسْنِي وَهُوَ شَفِيعِي لَدَيْكَ وَعَلَّكَ لِي عَازِرُ
فِيَا «هِنْدُ» إِنْ زَالَ مِنْكَ الْجَمَالُ فَحَسْبُ الَّتِي قَلْبِكَ الطَّاهِرُ
وَإِنْ بَانَ حُسْنُكَ عَنِّي نَاطِرِي فَإِنَّ الْفُوَادَ لَهُ نَاطِرُ^(٢)

مغاضبة

بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا «سَلْمَى» مُغَاضِبَةٌ أَنْتِ الَّتِي عَلَّمْتَنِي الْحُزْنَ وَالْأَرْقَا
وَأَنْتِ عَلَّمْتِ جَنِّي الْفِرَاقَ فَمَا تَلَاقِيَا طَرْفَةً إِلَّا لِيَفْتَرِقَا
وَأَنْتِ أَوْقَدْتِ فِي جَنِّي الْغَرَامَ فَمَا رَقَدْتُ إِلَّا حَسِبْتُ الْمَهْدَ مُحْتَرِقَا

(١). سديم : شبه الغمام أبيض لامع (٢) بان : خفي

«سَلَمَى» انظُرِي الرَّوْضَةَ الْغَنَاءَ سَاكِئَةً
 مَنْ عَلَّمَ الزُّهْرَ أَنْ يَفْتَرَّ لِي كَذِبًا
 وَنَاصِحَ الطَّيْرِ إِيلَافِي بِمَنْطِقِهِ
 وَمَائِسَ الْفُضْنِ إِغْرَائِي بِعِطْفَتِهِ
 هَدِي ذُنُوبُكَ يَا «سَلَمَى» جَعَلْتِ بِهَا
 قَالَتْ : أَلَيْسَ غَرِيمَ الشَّرِّ جَالِبُهُ ؟
 فَقُلْتُ : لَا تَظْلِمِي هَذَا الْمَصَابَ فَقَدْ
 هَلَّ مِنْ جُنَاحٍ عَلَيَّ قَلْبٍ رَأَى شَرَكًا
 فَلَيْتَنِي مِتُّ لَا عَيْنِي إِلَيْكَ رَنَتْ
 قَالَتْ : كَأَنَّكَ بَعْدَ الْحُبِّ تُبْفِضُنِي ؟
 سَلَمَى ! أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الضَّرَامَ إِذَا
 إِنِّي لَا أَبْفِضُ رُوحِي عِنْدَكَ اخْتَبِسْتِ
 وَأَبْفِضُ الْعُمَرَ مُمَسَّاهُ وَمُضَبَّحَهُ
 وَأَبْفِضُ النَّاسَ لَا مُسْتَثْنِيًّا أَحَدًا

 حُبًّا لِحُسْنِكَ يَا «سَلَمَى» وَإِنْ هُوَ لَمْ
 عَلَيَّ نَعِيمٍ وَقَلْبِي ذَاكِيًا قَلِقًا
 وَبَاكِيًا السُّحْبِ أَنْ يَنْدَى وَمَا صَدَقًا ؟
 كَأَنَّهُ شَارِحُ حَالِي بِمَا نَطَقًا ؟
 فَإِنْ دَنَوْتُ تُسَامِي نَافِرًا فَرَقًا ؟
 بَعْدَ الصَّفَاءِ حَيَاتِي مَوْرِدًا رَنِقًا (١)
 فَإِنْ تُعَاتِبُ فَعَاتِبْ قَلْبِكَ النَّزِقًا
 ظَنَّ الْهَوَى نِعْمَةً لَكِنْ أَصَابَ شَقَا
 مِنْ غَزَلِ عَيْنَيْكَ أَنْ أَعْرَاهُ فَاعْتَلَقَا ؟ (٢)
 وَلَا فُؤَادِي كَمَا شَاءَ الْهَوَى خَفِقًا
 فَقُلْتُ : أَعْدَرَ قَالَ شَدَّ مَا وَمِقًا (٣)
 مَا شَبَّ فِي جَوْفِ طَوْدٍ رَاسِخٍ صُعِقًا ؟
 وَدَمَعَ عَيْنِي إِثْرَ الرُّوحِ مُنْطَلِقًا
 وَفَجْرَهُ قَاتِلَ الْأَمَالِ وَالشَّفَقَا

 إِلَّا الَّتِي لَمْ تَدْعُ مِنْ مُهَجَّتِي رَمَقًا
 يَسْتَبِقُ مِنِّي إِلَّا الرَّسْمَ وَالْحَرْقَا

(١) رنقا : كدرا (٢) جناح : ذنب (٣) أعذر قال : أي بلغ العذر من أبغض بعد شدة الحب

قَالَتْ وَقَدْ سَأَلَ دَمْعٌ مِنْ مَحَاجِرِهَا أَسَى عَلَى وَدَمْعِي بِالشُّرُورِ رَقَا
 وَكَاشَفْتَنِي بِمَا تُخْفِي ضَمَائِرُهَا وَهَكَذَا الزَّهْرُ إِنْ نَدَيْتَهُ عِبَقَا:
 فَدَتِكَ نَفْسِي مَشْفُوقًا شُغِفْتُ بِهِ فَمُرْ مُطَاعًا وَلَا رَأْيَ لِيْنَ عَشِقَا
 فَلَمْ أُجِبْ، وَعَدَّتْ فِي الرَّوْضِ نَافِحَةٌ مَالَتْ بِفُضْنَيْنِ بَعْدَ الصَّدِّ فَاعْتَنَقَا

تزلزل

قلت بعد سفر الحبيبة واجدة على محبها لوشايات سمعتها فيه

أَيَا دَارَ مَنْ أَهْوَى فَدَيْتُكَ دَارَا غَدَتُ بَعْدَنَا لِلْعَاشِقِينَ مَزَارَا
 تَذَكَّرُنِي أَيَّامَ أَنْسِي بِقُرْبِهَا قَدِيمًا وَلَيْلَاتٍ مَضِينَ قِصَارَا
 وَسَاعَاتٍ لَهْوٍ كُنَّ لِلْعُمْرِ زِينَةً كَمَا زَانَ فِي الْكَاسِ الْحَبَابُ عُقَارَا^(١)
 وَسَاعَاتٍ شَجْوٍ تَسْتَفِيضُ دُمُوعَهَا بِهَا فَأَرَى دُرًّا نُثْرَنَ كِبَارَا
 وَكُنْتُ إِذَا بَا كَيْتُهَا مِنْ صَبَابَتِي يُكْفِكِفُ دَمْعِينَا الْعِنَاقُ مِرَارَا
 كَانَ الَّذِي فِي مُهْجَتَيْنَا مِنَ الْأَسَى غَمَامٌ تَسَامَى لِلْجُمُونِ فَنَارَا

أَحْمًا تَوَلَّى ذَلِكَ الْعَهْدُ وَانْقَضَى كَمَا لَاحَ بَرَقٌ فِي الدُّجَى وَتَوَارَى؟
 وَأَنَّ شَبَابِي وَهُوَ فِي بَدءِ عَهْدِهِ عَلَى كَتُوبٍ أُرْتَدِيهِ مُعَارَا؟

(١) عقاراً : خراً

وَأَنِّي كَبَعْتُ النَّبْتَ يُحْسَبُ نَاصِرًا
 أَحِبَّائِي إِنِّي مُذْ أَقْتَتُ مِنَ الْهَوَى
 صِلُوا فِيهِ بِالشَّهْبِ الْجُفُونَ تَسَهِّدًا
 أَفِيضُوا إِلَيْهِ جَارِيَاتِ دُمُوعِكُمْ
 رِدُوا الشَّمَّ فِيهِ مَوْرِدًا تَهْنَأُوا بِهِ
 تَمَلَّؤْا مِنَ الْأَسْقَامِ وَالذُّلِّ وَالْأَسَى
 أَذِيبُوا الْقُلُوبَ الدَّامِيَاتِ تَصَبُّبًا
 وَقَدْ جَفَّتِ الْأَعْوَادُ فِيهِ أَوَارًا؟ ^(١)
 شَقِيٌّ فَكُونُوا الدَّهْرَ فِيهِ سُكَارَى
 إِلَى أَنْ تَبَيَّتَ الشَّهْبُ وَهِيَ حَيَارَى
 كَمَا رَاحَ فِي الْبَحْرِ السَّحَابُ مُمَارًا ^(٢)
 وَإِنْ هُوَ أَصْلَى وَارِدِيهِ جَارًا ^(٣)
 نَعِيمًا، وَخُوضُوا الْمُفْنِيَاتِ غَمَارًا
 وَلَا شُوا النُّفُوسَ الذَّاكِيَاتِ شَرَارًا

كَذَلِكَ قَدْ أَحْبَبْتِكِ الْحَبَّ كَلَّهُ
 فَيَا وَرَدْتِي مَاذَا أَحَالَكَ جَمْرَةً؟
 جَزَى اللَّهُ إِخْوَانًا وَشَوَا بِي عِنْدَهَا
 يُسِرُّونَ لِي شَرًّا وَيُبْدُونَ رَأْفَةً،
 يَسُومُونَنِي خَسْفًا وَكُنْتُ بِمُهْجَتِي
 يُعَاطُونَنِي كَأَسَا كَأَنَّ بِهَا دَمِي
 فَإِنَّ أُنْكَ مِنْ جُرْحِي تَبَا كَوَا كَأَنَّهُمْ
 عَلَى أَنَّنِي أُغْضِي وَحَسْبِي سَمَاحَةً
 فَصَفَحَا لَكُمْ عَمَّا اقْتَرَفْتُمْ أَحِبَّتِي
 وَأَخِرُّ حَظِّي مِنْكَ كَانَ نِفَارًا
 وَيَا جَنَّتِي مَاذَا أَصَارَكَ نَارًا؟
 فَكَانُوا لِسَعْدِي حِينَ تَمَّ عِثَارًا
 أَكَانُوا إِذَنْ يَبْغُونَ عِنْدِي نَارًا؟
 أَكُنْتُ أَذَى عَنْهُمْ وَأَذْرًا عَارًا
 أَرَاهُ عَلَى الْمُسْتَهْزِئِينَ مُدَارًا
 هُمْ لَمْ يُدِيرُوا فِي الْفُؤَادِ شِفَارًا
 وَحَسْبُ الْمُدَاجِي ذَلَّةً وَصَفَارًا
 وَتَدْرُونَ أَنِّي مَا صَفَحْتُ حِدَارًا

(١) أوارا : عطشاً (٢) مमारاً : منسكباً (٣) ردوا : اشربوا

تَوَهَّمْتُمْ حِينًا كِبَارًا بِنُبُلِكُمْ
وَلَمْ يُغْنِ مَالٌ مِنْ مَهَانَةِ سَعْيِكُمْ
فَأَلْفَيْتُمْ كَالْجُرْمِينَ صِفَارًا
إِذَا الْمَالُ حَلَّى صَدْرَ أَحْمَقٍ خَامِلٍ
أَتَشْرُونَ خُلُقًا بِالنُّضَارِ نُضَارًا؟
فَصَارَ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ مُشَارًا
وَأُضْلِحَ تَشْوِيهِ الْقَبِيحَةِ فَأَعْتَدْتُ
تُبَارِي بِهِ حَسَنَاءَ لَيْسَ تُبَارِي
فَلَا كَانَ إِلَّا الْفَقْرُ حَظًّا أُولَى النَّهْيِ
وَلَا خَلَعَتْ عَنْهَا الْحِسَانُ سِتَارًا (١)

ظَلَمْتُكَ مَا طَاوَعْتِهِمْ وَأَنَا الَّذِي
هَجَرْتُكَ لَا كُرَّةَ الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا
تَبَاعَدْتُ عَنْ رُوحِي رِضَى وَخِيَارًا
وَيَا حَبْدًا لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مُعْجِزًا
بِذَلِكَ قَضَى دَهْرِي عَلَى وَجَارًا
فَأَجْعَلَ هَذَا الْعُمَرَ سَعْدًا وَنِعْمَةً
تَمُّ لَهُ الْأَوْطَارُ كَيْفَ أَشَارًا (٢)
لَنَا وَشَبَابًا دَائِمًا وَفَخَارًا
عَقِيقًا وَتَبْرًا سَاكِبًا وَنُضَارًا
وَتَاجًا وَعِقْدًا فَخِرًا وَسِوَارًا
وَأَنْسِجَ مِنْ غَزْلِ الضِّيَاءِ دِثَارًا
وَلَكِنِّي الْأَمَالُ سِلْعَةٌ خَاسِرٍ
وَقَدْ أَضْبَحْتُ سُوقَ الْوِدَادِ بَوَارًا

فِيَا مُنِيَّةً لِلْقَلْبِ كُنْتُ بِقُرْبِهَا
عَلَى الدَّهْرِ مَا شَاقَ الرَّبِيعُ هَزَارًا
أَرَى كُلَّ عُسْرِ فِي الزَّمَانِ يَسَارًا
وَيَا جَنَّةَ النُّعْمَى لِشَادٍ تَشْوِقُهُ

(١) أولى النهى : أرباب العقول (٢) الأوطار : المآرب

بِرُوحِي أَفْدِي وَرَدَّةً قَدْ حَفِظْتَهَا لِذِكْرِكَ أَسْقِيهَا الدُّمُوعَ حِرَارًا
أَقْبَلَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ تَشَوُّقًا لِمَنْ نَسَجَتْهَا لِلْغَرَامِ شِعَارًا
وَأُخِي بِهَا آثَارَ حُبِّكَ شَاكِيًا وَأَسْمَعُ نَجْوَاهَا دُجَى وَنَهَارًا

الفهم

للاستعطاف والاستعادة من السفر

بِاللَّهِ بَارِيٍّ حُسْنِكَ التَّعْبُودِ بِهَوَاكِ إِنَّ هَوَاكِ رُوحٌ وَجُودِي
بِالْفِرْقَدَيْنِ الْبَاهِرَيْنِ تَلَاذِمًا تَحْتَ الْجَبِينِ لِشِقْوَةٍ وَسُعُودِ
بِالْحَاجِبَيْنِ الْعَاكِفَيْنِ عَلَيْهِمَا لَصِيَانَةٍ وَلِكَفِّ عَيْنٍ مَرِيدِ
بِالْوَجْنَتَيْنِ كَجَنَّةٍ أَزْهَارُهَا بِيضٌ إِذَا هِيَ قَانِثَاتٌ وَرُودِ^(١)
تُسْقَى الْجِنَانُ مِنَ السَّحَابِ وَهَذِهِ تُسْقَى بِمِثْلِ سَلَاقَةِ الْعُنُقُودِ
بِالْمَبْسِمِ الْعَذْبِ الْمَذُوبِ شَهْدُهُ فِي نُورِ كُلِّ تَبَسُّمٍ مَشْهُودِ
بِقَوَامِكَ اللَّذْنِ الَّذِي فِي أَوْجِهِ سَطَعَ الْجَمَالُ لِقُبْلَةٍ وَسُجُودِ^(٢)
بِالشَّعْرِ يَغْشَى غَيْهَبٌ مِنْ تَبْرِهِ مَلَكًا يَهُمُّ بِمُرْتَقَى وَصُعودِ
أَقْسَمْتُ مَا أَشْرَكَتُ فِيكَ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِي الْهَوَى دِينَ سِوَى التَّوْحِيدِ

(١) قانثات : ذات احمرار باهر (٢) اللذن : اللين

يَا عِلَّةَ الْحُبِّ الصَّحِيحِ وَصِحَّةِ الْقَلْبِ الْعَلِيلِ وَأَجْرَ كُلِّ شَهِيدٍ
يَا وَرْدَةَ يَرْتَاخُ جَانِبَهَا وَإِنْ دَمِيَّتْ يَدَاهُ بِشَوْكِمَا الْمَدُودِ
كَذَبَ الْوُشَاةُ بِمَا أَدْعُوهُ وَإِنِّي لَا تُمَكِّنِيهِمْ مِنْ سَعَادَتِنَا الَّتِي
عُودِي إِلَى الصَّفْوِ الْقَدِيمِ فَإِنَّمَا عُودِي نَفْرًا كَجَانِبَيْنِ إِلَى الرَّبِّي
عُودِي تُرَجِّحُنَا الْأَرَانِكُ غَضَّةً طِفْلَانٍ خَفَّفْنَا زَوَالَ هُمُونَا
عُودِي فَتَقْتَطِفُ الْأَزَاهِرَ نَضْرَةً عُودِي نَظْرًا كَفَرَاشَتَيْنِ تَنْقَلَا
عُودِي فَتَنْتَهَبُ الزَّمَانَ تَضَاحًا مُتَعَانِقَيْنِ إِذَا انْتَبَهْنَا رَابِنَا
عُودِي فَتَجْتَنِبُ الْمَجَامِعَ رَغْبَةً وَنُطَالِبُ الْخَلَوَاتِ بِالْأُنْسِ الَّذِي
فَلَنْ يَكُنْ هَذَا الْجَفَاءَ تَمْحُؤَلَا أَوْ إِنْ يَكُنْ تَيْهًا فَلَا تَقْضِ الصَّبِي

مُسْتَعْصِمِينَ بِرَأْيَةِ الْأَمْلُودِ (١)
إِذْ نَعَقِدُ الْأَغْصَانَ عَقْدَ مُهُودٍ وَتَهْزُنَا الْأَطْيَارُ بِالتَّفْرِيدِ
عَرَاءَ حَلَّاهَا النَّدَى بِعُقُودِ تَمَلِّينِ يُرْقِصُنَا الصَّبَا بِنَشِيدِ
وَتَبَاكِ يَا بِالذِّكْرِ وَالتَّجْدِيدِ ظِلَانٍ مُعْتَنِقَانِ غَيْرَ بَعِيدِ
عَنْ كَذِبٍ مِنْ أُنْسِهَا مَفْقُودِ فِيهِ شِفَاءُ الْخَاطِرِ الْمَكْدُودِ
فَهُوَ التَّحَوُّلُ مِنْ طِبَاعِ الْغَيْدِ بَيْنَ التِّقَاءِ سَاعَةً وَصُدُودِ

(١) الربِّي : المنزهات المرتفعة . الأملود : النصف

عنان

الشاعر والطارء

يَا أَيُّهَا الطَّائِرُ الْمُغْنَى بِلَا تَثِيرِ وَلَا تَنْظِمِ
مَنْ لِي بِشَدْوِ طَلِيقِ فَنِّ كَشَدْوِكَ الْمُطْرِبِ الرَّخِيمِ
فَأَنْتَ تَشْدُو بِلَا بَيَانَ وَمَا تَشَاءُ النَّيُّ تُجِيدُ
وَنَحْنُ بِاللَّفْظِ وَالْمَعَانِي نَعْتَجِرُ عَنْ بَعْضِ مَا تُرِيدُ
أَعِزَّ جَنَاحَيْكَ يَا رَفِيقُ أَطِرْ وَامْرَحْ خَلِيَّ بَانَ
مِنْ سَاكِبِ النُّورِ لِي رَحِيقُ وَفُسْحَةَ الْجَوِّ لِي تَجَالُ
أَشْرِقْ وَأَغْرِبْ بِلَا مَرَامِ فَلَا مَكَانٌ وَلَا زَمَانُ
وَلَا هِيَامٌ إِلَّا هِيَامِي بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْجِنَانِ
لَيْشَكَ مَا شَاءَ كُلُّ شَاكِي بِمَا دَهَاهُ مِنَ الْأُمُورِ
وَمَا عَلَيْنَا مِنْ حُزْنٍ بَاكِي إِذَا خَلَصْنَا إِلَى الشُّرُورِ
هَجْرًا لِهَذِي الدِّيَارِ سَاءَتْ وَضَاقَ قَلْبِي بِرُحْبَاهَا
مَا بِي وَجُدُّ إِذَا تَنَاءَتْ وَلَا اثْتِنَاسِي بِقُرْبَاهَا
وَلَنَبْتَعِدُ عَنْ نِضَالِ زَيْدٍ وَنَوَاحِ عَمْرٍو وَكَيْدِ خَالِدِ

وَلَنَكْسِرَ الْيَوْمَ كُلَّ قَيْدٍ نَرَسَفُ فِيهِ مِنْ حُبِّ نَاهِدٍ

يَا أَيُّهَا الطَّائِرُ الْمُنَى بِلَا تَثِيرٍ وَلَا نَظِيمٍ
مَنْ لِي بِشَدْوٍ طَلِيقٍ فَنَ كَشَدْوِكَ الْمُطْرِبِ الرَّخِيمِ

فَإِنَّ لِي يَا أَلَيْفُ هَمًّا أَفْرُ مِنْهُ مُبْرَحًا
كَتَمْتُهُ خَوْفَ أَنْ يَلْمَأَ بِهِ عَدُولٌ فَيَفْرَحَا

لَوْ كَانَ قَوْلِي بِلَا بَيَانٍ كَقَوْلِكَ الْمُعْجِبِ الْمُبِينِ
لَبَاحَ قَلْبِي عَلَى لِسَانِي بِحُبِّهِ السَّاكِنِ الدَّفِينِ

لَكِنَّ سَكَنِي الْقَرَى بِيُوتَا صُفْنَنْ عَنْ كُلِّ جَانِبِ
عَوَّدَتِ النَّاسَ أَنْ تَمُوتَا حَشْرًا بِضِيقِ الْمَذَاهِبِ

سَاءَتْ خِلَالَ وَسَاءَ خَلْقُ وَبَدَّلَتْ أَحْرَفُ الْكَلِمِ
فَالصِّدْقُ كَذِبٌ وَالْكَذِبُ صِدْقٌ وَالْكَيْدُ فِي وَجْهِ مُبْتَسِمِ

فَإِنَّ تَجِدُ سَمْحَةَ الْجَبِينِ صَافِيَةَ الْقَلَةِ الْمُنِيرَةِ
لَمْ تَرَ فِي حُسْنِهَا الْمُبِينِ إِلَّا الَّذِي لَيْسَ فِي السَّرِيرَةِ

وَلَمْ تَكُنْ خَرْدُ الْخِيَامِ نَوَاكِثَ الْعَهْدِ نَكْتًا مِينِ^(١)

(١) خرد : نساء البادية . نواكث : مخلفات العهد

مَنْ أَدْخَلَ الْإِفْكَ فِي الْغَرَامِ وَهُوَ خُفُوقٌ فِي مُهْجَتَيْنِ^١
 وَبِي هَوَى فِي حَشَى سَقِيمٍ يَلِدُهُ وَهُوَ يَقْتُلُهُ
 كَالنُّورِ يَفْتَرُّ لِلنَّسِيمِ مِنْ حَوْلِهِ وَهُوَ يُشْعِلُهُ
 أَحْبَبْتُ حَسَنَاءَ ذَاتَ دَلٍّ تَهْوَى الْمَنَى فِي جَمَاهِمَا
 لَوْ أَبْصَرَ الرَّاهِبُ الْمُصَلِّيَ طَلَعَهَا عَادَ وَالْمَاهَا
 رَأَتْ غَرَامِي فَعَاهَدَتْنِي عَلَى الْهَوَى الطَّاهِرِ الْمُبَاحِ
 ثُمَّ جَفَّتْنِي وَبَاعَدَتْنِي بَغَيْرِ إِثْمٍ وَلَا جُنَاحِ
 فَأَعْتَمَتْ بَعْدَهَا حَيَاتِي مِنْ ذَلِكَ الطَّالِعِ السَّعِيدِ
 وَصِرْتُ أَمْشِي إِلَى تَمَائِي فِي ظِلْمَةِ الْبَاسِ الطَّرِيدِ
 أُعْلَلُ الْقَلْبَ بِالْأَنَاءِ وَمَا لِقَلْبِي عَنْهَا اصْطِبَارُ
 يَا لِعَرِيقِ بِلَا نَجَاةٍ فِي الْبُعْدِ يَبْدُو لَهُ مَنَارُ

فِدَى لَكَ النَّفْسُ يَا مُجِيبِي إِلَى مَرَامِي مِنَ الصُّعُودِ
 أَرَاكَ أَنْشَأْتَ تَعْتَلِي بِي فِي دَارَةِ كُلِّهَا سُعُودِ

(١) الإفك : الكذب

يَا أَيُّهَا الطَّائِرُ الْمُنَى بِلَا نَشِيرٍ وَلَا نَظِيمٍ
مَنْ لِي بِشَدْوٍ طَلِيقٍ فَنِّ كَشَدْوِكَ الْمَطْرِبِ الرَّخِيمِ

طِرْبِي وَأَنْتَ الْأَخُ الرَّفِيقُ إِلَى مَعَرٍّ مِنَ الْأَنَامِ
لَا غَدَرَ فِيهِ وَلَا عُقُوقُ وَلَا رِيَاءٌ وَلَا خِصَامٌ

مَا أَجَلَ السَّكُونِ مِنْ قَصِيٍّ وَأَبْدَعَ الْأَرْضَ مِنْ عِلِّ
لِهَارِبٍ فَازَ بِالرُّقِيِّ تَنْحَطُّ عَنْهُ وَيَعْتَلِي

أَعْجِبْ بِمَرَأَى هَدَى الْجِبَالِ مُنْخَفَضَاتٍ إِلَى الْمِهَادِ (١)
حَتَّى غَدَّتْ وَهِيَ كَالظَّلَالِ مِنْ انْحِلَالٍ وَمِنْ سَوَادِ

أَعْجِبْ بِمَرَأَى هَدَى اللَّبَانِي عَقَّتْ كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ دِيَارَ
وَكَيْفَ صَارَتْ خُضْرُ الْجِنَانِ مِنْ ازْدِهَاءِ إِلَى بَوَازِ

مَا أَنْهَجَ الثُّورَ فِي عُيُونِي مَا أَطْيَبَ النَّفْسَ فِي انْخِلَاءِ
شَفَانِي اللَّهُ مِنْ جُنُونِي وَالْبَعْدُ عَنْ خَلْقِهِ شِفَاءِ

هَذَا نَهَارٌ مَضَى وَلَيْلٌ سَاهَرْتُ فِي جُنْحِهِ النُّجُومِ
يَعُومُ فِي جَوْهٍ سَهِيلٌ وَالطَّيْرُ فِي جَوْهَا تَعُومُ

هَنَا هَنَا عَالَمُ النَّعِيمِ نَعَمٌ وَلَكِنَّ بِي وَجِيبًا (٢)

(١) المهاد : الأرض المنخفضة (٢) وجيباً : حزناً

مَا لِلْأُمَى الْمُقَعِدِ الْمُقِيمِ عَاوَدَنِي عَوْدَهُ الْمُدِيبَا !
 لَوْ أَنَّ حَيِّي فِيهِ بِقُرْبِي لَتَمَّ حَقًّا لِي الصَّفَاةُ
 لَكِنَّهُ غَائِبٌ وَقَلْبِي بِأَكِّ مِنَ الْمُهْجِرِ وَالْجَفَاةُ
 لَتَعْلُ أَوْ تَنْخَفِضُ جِبَالُ وَلَيْسَ النَّسْرُ مَنَكِبِي (١)
 وَلَيَتَسِعُ أَوْ يَضِيقُ نَجَالُ لِلنَّفْسِ فِي كُلِّ مَذْهَبِ
 وَلَتَصْلُحَ الطَّيْرُ وَالنُّجُومُ وَلَتَفْسُدَ النَّاسُ مَا تَشَاءُ
 مَا لِأَخِي مُهْجَةً نَعِيمٌ بِلَا حَبِيبٍ وَلَوْ أَسَاءُ

روعة نبأ

زار العاشق صديق له من رفاق صباه كان قد انقطع عنه زمناً طويلاً .
 وأخبره ان تلك الحبيبة الغائبة مصابة بمرض عضال فقال في ذلك :

أَلَيْفَ الصَّبِيِّ إِنْ خَانَنِي بَارِحُ الصَّبِيِّ قَدَّ كُنْتَ لِي أَبْتَى وَأَوْفَى وَأُحْبَبَا
 هَنِيئًا لِقَلْبِي عَوْدُكَ الْيَوْمَ ، إِنَّمَا يُخَيِّلُ لِي أَنِّي أَرَاكَ مُقَطَّبَا (٢)
 فَهَلْ أَنْتَ تَشْكُو حَالَهُ لِي بِهَا يَدٌ فَأَشْكِي مَا اسْطَعْتُ الصَّبِيَّ الْمُحَبَّبَا ؟
 فَقَالَ : لِعَيْرِي لَا لِنَفْسِي تَأَلَّمِي وَعَلَى بُوْدِي بَالِغٌ مِنْكَ مَأْرَبَا

(١) النسْر : اسم نجم (٢) مقطَّباً : غاباً

وَأَوْمَضَ بَرْقٌ كَالْحُجِّ مِنْ عُيُونِهِ
فَشَقَّ عَلَى الْخُدُنِ يَبْكِي، وَهَلْ بَكَى
وَهَاجَ أَسَاهُ بِي أَسَى لِفَارِقِ
فَبَاكَيْتُهُ مِمَّا شَجَانِي أَنْ أَرَى
أَسَالَ نَدَى فِي إِثْرِهِ مُتَصَبِّبًا
فَتَى لِسَوَى حُبِّ تَصَبَّاهُ فَاصْطَبِي؟^(١)
تَحَجَّبَ عَنِّي النُّورُ حِينَ تَحَجَّبَا
صَدِيقِي مِثْلِي مُسْتَهَامَا مُعَذَّبَا

وَلَمَّا تَنَاهَيْنَا إِلَى الرَّشْدِ بَعْدَ أَنْ
أَهَابَ فَأَوْرَى كَالزَّنَادِ صَبَابَتِي
وَإِنْ هُوَ إِلَّا قَوْلُهُ مُتَهَدِّجًا
فَقُلْتُ أَيْنَ عَلَّ الْمُنْبِيِّ كَاذِبٌ
فَمَا لَجِنِي حَتَّى إِذَا مَا أَقْرَنِي
وَقَالَ: عُضَالٌ مَا بِهَا، فَوَدِدْتُ لَوْ
وَأَلَيْتُ إِلَّا مَا حَثَّتْ لِدَارِهَا
فَبَادَرَنِي بِالنُّصْحِ، قَالَ لِي: اتِّدْ
فَإِنَّكَ إِنْ وَافَيْتَهَا هَاجَ دَاءُهَا
وَإِنَّكَ إِنْ تَرَحَّمْتَ شَبَابَكَ فَالَّذِي
وَإِنَّكَ مَرَجُوهُ الْعَزَائِمِ وَالنُّهَى
وَإِنَّكَ إِنْ عَرَّضْتَ نَفْسَكَ مُؤْتِمًّا
تَسَاقَى فَوَادَانَا الْمَدَامِعَ سُكَّابًا
بِمَا خَلَّتُهُ أَذْكَى الْفَضَاءِ وَالْهَبَا^(٢)
لَقَدْ سَاءَنِي مِنْ دَارِ « مَارِيَّةِ » نَبَا^(٣)
وَإِلَّا أَعِنِ أَطْوِرِ الْبِلَادَ تَوْثُبَا
شَجَانِي بِأَنْكِي مُمَّ رَاعٍ بِأَنْكَبَا
رَكِبْتُ إِلَيْهَا وَامِضَ الْبَرْقُ مُقْرَبَا
جَنَاحِي شِرَاجِ أَوْ بُخَارًا مُؤَهَّبَا
وَلَا تَجْعَلَنَّ الْعَقْلَ لِلْجَهْلِ مَرَكَبَا
لِقَاؤِكَ، فَاسْتَعَصَى وَأَصْبَحَ أَعْطَبَا
يَرَاهُ لَكَ الْوَافُونَ أَنْ تَتَجَنَّبَا
لِتَرْقَى بِهَا فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ مَنْصَبَا
عُفَاةً وَأَطْفَالًا وَأُمَّكَ وَالْأَبَا

(١) الخدن : الصديق (٢) أهاب : تكلم (٣) مارية : اسم مستعار

خَلِيلِي مَنْ لِي بِالتَّعَلُّقِ وَالْمُهْدَى فَأَقْوَى عَلَى نَفْسِي بِهِ مُتَغَلِّبًا ؟
 سَأْمِضِي إِلَيْهَا وَلِيُصِيبَنِي نَصِيبُهَا وَلَا يَرِثَنِي حَبُّ وَلَا يَبُكُّ أَقْرَبًا
 وَلَا أَقْضِي مَذْكَورًا ذَكَائِي وَقَدْ عَمَّا وَلَا أَمْضِي مَقْشُودًا مَنَارِي وَقَدْ خَبَا
 لَئِنْ كَانَ مَوْتُ فِي مُقْبَلِ ثَغْرِهَا سَأَرْشُفُهُ مِنْهُ شَيْئًا مُطِيبًا
 خَلِقْنَا لَكِنِّي نَحْيِي وَتَقْضِي فِي الْهَوَى أَلَيْفَيْنِ يَا أَبِي الْحُبُّ أَنْ نَتَشَعَّبَا
 فَإِنْ سَاءَ نَا دَهْرٌ أَثِمُّ بِفِرْقَةٍ فَرِزْنَا إِلَى قَبْرِ رَحِيمٍ قَرِيبًا
 وَأَحْبِبُّ بِهَذَا الْوَصْلِ بَعْدَ انْفِصَالِنَا وَيَا مَوْتُ أَنْتَ الْمُسْتَفَاثُ فَرَحَبَا !

تَكْرِيبُ النَّبَأِ

قال العاشق وقد بشره بشفاء حبيته أصدقاء أرادوا تسكين جزعه

يَا فَرَحًا بِالرَّبِيعِ وَالزَّهْرِ وَالْجُدُولِ الْمُسْتَظِلِّ فِي الْحَمْرِ
 يَا فَرَحًا بِالنَّسِيمِ يُطْرِبُنِي مِنْ غَيْرِ مَا مِزْهَرٍ وَلَا وَتْرِ
 يَا فَرَحًا بِالْعَبِيرِ يُسْكِرُنِي مِنْ كُلِّ كَيْمٍ مُقْبَلِ عَطْرِ
 يَا فَرَحًا بِالشَّبَابِ أَحْسَبُهُ يَدُومُ حَتَّى نِهَائِهِ الْعُمُرِ
 يَا فَرَحًا بِالحَيَاةِ أَجْمَعِهَا بِالنَّفْعِ مِنْهَا مَعًا وَبِالضَّرْرِ
 فِي كُلِّ شَيْءٍ بِهَا تَجَدَّدَ لِي مَعْنَى آتِي مِنْ وِرَاءِ مُنْتَظَرِي

وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ يَحْسُنُ لِي مَا دُمْتُ فِي مَأْمَنِ مِنَ الْغَيْرِ
أَكَادُ بِمَا اسْتَخَفَّنِي فَرَجِي أَطِيرُ فِي عَالَمٍ مِنَ الْعِكْرِ

أَهْلًا بِشِيرِ الشِّفَاءِ ، قُلْ ، وَأَعِدْ مَا شِئْتَ تَفْصِيلَ ذَلِكَ الْخَبَرِ
قَدْ كَذَبَ الطَّبُّ وَالطَّيِّبُ إِلَّا أَنَّهُمَا عِلْتَانِ لِلْبَشْرِ
مُسْعُوذٌ طَائِفٌ بِشَعْوَذَةٍ أَحْسَرُ فِي عَقْلِهِ وَفِي الْبَصْرِ
يَحْمِلُ بِأُورَةٍ لِيُدْرِكَ مَا نُدْرِكُهُ مِنْ مُجَرَّدِ النَّظَرِ
أَلْحَدُ لِلَّهِ أَنَّهُ سَلَتْ وَأَفَلْتَتْ مِنْ تَحَالِبِ الْخَطَرِ
لَا كَسَلٌ فِي اتِّقَادِ أَعْيُنِهَا وَلَا نُضُوبٌ فِي تَغْرِهَا الْخَصْرِ
وَلَا اغْبِرَارٌ عَلَى ابْتِسَامِهَا مِنْ طُولِ لَيْلِ الْعَنَاءِ وَالسَّهْرِ
عَادَ إِلَيْهَا تَمَامُ رَوْتِقِهَا وَلَيْسَ لِلدَّاءِ فِيهِ مِنْ أَثَرِ
وَجْهٌ كَنَفَاحَةِ الشَّامِ إِذَا مَا رُوِّتَتْ مِنْ مَدَامِجِ الْمَطَرِ
وَمُبْسِمٌ تَبْسِيمُ الْحَيَاةِ بِهِ عَنْ قَائِيِ اللَّوْنِ سَاطِعِ الشَّرْرِ

إِنِّي رَاضٍ فَيَا زَمَانِي كُنْ عَلَى صَفَاءٍ أَوْ كُنْ عَلَى كَدْرِ
وَكُنْ مُنَارًا بِالنَّيِّرِينَ مَعًا أَوْ مُطْفَأً الشَّمْسِ مُطْفَأً الْقَمَرِ
لَمْ يَكُ فِي الْعُمْرِ لِي سِوَى وَطَرٍ فَمَا أُبَالِي إِذِ انْقَضَى وَطَرِي

الفصل الثاني

سقاء الحب

اشتد المرض على الفتاة فأودى بشبابها ونعت
إلى محبتها فسكى واستبكى عليها بالقصائد التالية

مثال في مرآة

مَنْ بِالْمُنُونِ لِوَالِهِ صَبَّ ذَاكِي الْأَضَالِحِ مُتَلَقٍ الْجَنْبِ
لَيْتَ الرَّزِيَّةَ فِيكَ أَوَدَتْ بِي فَنَجَوْتُ مِنْ أَلَمِي وَمِنْ كَرْبِي
وَفَزَعْتُ مِنْ نَفْسِي إِلَى رَبِّي

يَا مُنِيَّتِي مَا كُنْتُ بِالْجَزَعِ فِي حَادِثِ أَيَّامٍ كُنْتُ مَعِي
وَالآنَ بَيْتٌ مُخَلَّدٌ الْقَزَعِ مَيْتًا بِلَا أَمَلٍ وَلَا طَمَعِ
حَيًّا يَذْكُرُ مَعَاهِدِ الْحَبِّ

كُنَّا وَكَانَ الْحَبُّ يَجْعَلُنَا مَلَكَينِ فِي فُلكِ يُجَلِّلُنَا
رُوحَيْنِ فِي رُوحٍ يُظَلِّلُنَا نُورَيْنِ فِي نُورٍ يُكَلِّلُنَا
مُتَقَلِّدَيْنِ قَلَائِدِ الشُّهْبِ

كُنَّا وَكَانَ الْحَبُّ يَنْصِبُنَا مَلَكَينِ تَاجُ السَّعْدِ يَعْصِبُنَا
لَا شَيْءَ يَحْزُنُنَا وَيُفْضِبُنَا وَالذَّهْرُ يَخْدُمُنَا وَيَرْهَبُنَا
وَسَرِيرُنَا عَلِ عَلَى السُّحْبِ

كُنَّا وَكَانَ الْحُبُّ يَجْمَعُنَا فِي الْفَيْنِ فِي الْفِرْدَوْسِ مَرْتَعًا
لَا شَيْءَ بَعْدَ الْحُبِّ يُطْمَعُنَا لَا نَبْتَغِي أَمْرًا فَيُوجِعُنَا
إِخْفَاقُنَا فِي الْمَطْلَبِ الصَّعْبِ

كُنَّا كَعُصْنِي دَوْحَةٍ نَبْتًا بَلْ زَهْرَتِي عُصْنٍ تَعَانَقَنَا
بَلْ حَبَّتَيْنِ بِزَهْرَةٍ نَمَّتَا وَتَسَاقَتَا لَمَّا تَعَاشَقَتَا
نَارَ الْفِرَامِ مَعَ النَّدَى الْعَذْبِ

تَمَّتْ سَعَادَتُنَا عَلَى قَدْرِ فَسَطَتْ عَلَيْهَا غَيْرَةُ الْقَدْرِ
أُودَتْ مَعًا بِالْعَيْنِ وَالْأَثْرِ وَتَخَلَّفَ الْبَاقِي مِنَ الْخَبْرِ
ذِكْرِي وَتَبْصِيرَةَ لِيذِي لُبِّ

فَكُنَّا الْمَلِكَانَ مَا نَعِمَا وَكُنَّا الْمَلِكَانَ مَا حَكَمَا
وَكُنَّا النُّورَانَ مَا ابْتَسَمَا أَعْجِبْ بِرُؤْيَا وَاهِمِ وَهَمَا
تَقْضِي بِلَا بَدءٍ إِلَى غَيْبِ

وَكُنَّا الرُّوحَانَ مَا اعْتَلَقَا وَكُنَّا الْإِلْفَانَ مَا اتَّفَقَا
وَكُنَّا الْفُضُنَانَ مَا اعْتَنَقَا أَلْذَهْرُ يَكْذِبُ حَيْثُمَا صَدَقَا
مَا أَقْرَبَ الْمَاضِي إِلَى الْكِذْبِ

وَكَانَنِي بِالزَّهْرَتَيْنِ مَعًا وَهَمَا كَغَفْرِ بَشٍّ فَأَنْفَرَعَا

وَالْحَبَّتَيْنِ إِذِ الْهَوَى انْقَطَعَا لُطْفًا لِيَجْمَعِيهَا كَمَا جَمَعَا
مَا كُنَّ مِنْ زَهْرٍ وَلَا حَبٍّ
زَالَتْ حَقِيقَةُ ذَلِكَ الْحُلْمِ وَقَضَى الْأَبْرُ الطَّاهِرُ الشِّمَّ
مِنَّا فَرَاخَ فَرِيَسَةَ الْعَدَمِ وَظَلَّتْ فِيهِ فَرِيَسَةَ الْأَلَمِ
حَتَّى يَمُنَّ اللَّهُ بِالْقُرْبِ

فَقَدَّتْ مَنْ كَانَتْ تَقْرَأُ بِهَا عَيْنُ الْمُتِّيمِ فِي تَقْرُبِهَا
وَالنَّفْسُ تَشْقَى فِي تَغْيِبِهَا فَتَظَلُّ حَيْرَى فِي تَرْفِئِهَا
مَحْبُوسَةً فِي مُقَلَّةِ الصَّبِّ
قَدَّ النُّفُوسِ عُدُوبَةَ الْأَمَلِ قَدَّ الْعَيُونِ النُّورَ وَهُوَ جَلِي
قَدَّ الْعَزِيزِ الْعِزَّ لَمْ يَطُلْ قَدَّ الْفَتَى الدُّنْيَا عَلَى عَجَلِ
إِذْ جَاءَهَا ضَيْفًا عَلَى الرَّحْبِ
بَلْ قَدَّ مَحْرُورِ الْفُؤَادِ ظَمِي قَطْرًا يَبُلُّ أَوَارَ مُضْطَرِمِ
بَلْ قَدَّ مُخْتَلِجِ مِنَ الْأَلَمِ آمَالُهُ بِنَيْهَاةِ السَّمِّ
وَعَزَاءُهُ لِلْوَكُولِ بِالطَّبِّ
مَاتَتْ وَكَلَّ ضَا حِكُّ جَدِلُ مَا لِلْوَرَى وَلِمَوْتِ مَنْ جَهَلُوا؟
لَا قَلْبَ يَنْبِكِيهَا وَلَا مَقْلُ بَلْ نُبْلُهَا وَاللُّطْفُ وَالْأَمَلُ
وَشَبَابُهَا وَطَهَارَةُ الْقَلْبِ

مَاتَ وَنُورُ الْفَجْرِ مُرْتَسِمٌ فِي الْمَاءِ فَهَوَ أَغْرًا مُبْتَسِمٌ
وَالرَّوْضُ زَاهٍ بِالنَّدَى شِيمٌ وَالطَّيْرُ تَصْدَحُ فِيهِ وَالنَّسَمُ
وَالزَّهْرُ وَالْأَغْصَانُ فِي لَعِبِ .

تِلْكَ الْمَحَاسِنُ فِي تَفَرُّدِهَا تِلْكَ الْفَضَائِلُ فِي تَعَدُّدِهَا
تِلْكَ الشَّمَائِلُ فِي تَجَرُّدِهَا عَنْ كُلِّ شَائِبَةٍ بِمَوْرِدِهَا
أَنَّى تَبَيْتُ وَدَيْعَةُ التُّرْبِ

أَيْنَ الدُّمُوعُ تُدِرُّهَا السُّحُبُ ؟ أَيْنَ الْحَمَامُ يَبَيْتُ يَنْتَجِبُ ؟
وَلِمَنْ رِيَاضُ الْأَنْسِ تَكْتَبُ ؟ وَلِمَنْ تَعُدُّ حِدَادَهَا الشُّهْبُ ؟
فَتَغِيْبُ فِي سُودٍ مِنَ الْحُجُبِ

وَعَلَامَ لَا خَوْفٌ وَلَا عَجَبٌ ؟ وَعَلَامَ لَا نَوْحٌ وَلَا طَرْبٌ ؟
مَنْ عَاشَ لَمْ تُكْتَبْ بِهِ كُتُبٌ أَوْ مَاتَ لَمْ تُخْطَبْ لَهُ خُطَبٌ
يُفْقَدُ بِلَا أَهْلِ وَلَا صَحْبِ

مَرَّتْ بِهَيْدَى الدَّارِ وَانصَرَفَتْ وَالنَّاسُ تَجْهَلُهَا لِمَا لَطَفَتْ
مَا خَطَبَهُمْ فِي وَرْدَةِ قَطِيفَتِ مِنْ رَوْضَةٍ ، أَوْ بَانَةٍ قُصِفَتْ
فِي عُنفوانِ شَبَابِهَا الرَّطْبِ ؟

كَانَتْ لَهَا الدُّنْيَا بِمَا اشْتَمَلَتْ مِرَاةَ حُسْنٍ كَيْفَمَا انْتَقَلَتْ
حَتَّى إِذَا مَا عُوْجِلَتْ فَجَلَّتْ عَنْهَا صَقَتْ مِرَاةًهَا وَخَلَّتْ
مِنْهَا وَمِنْ أَثَرِ بِهَا يُنْبِي

إلى هيب بيت

من مائة بدائه

أقام العاشق زمناً وهو يتوهم أنه مصاب بالداء الذي ماتت به حبيبته وفي هذا قوله

عَفَاءَ هَذَا الْعَيْشِ مَالِي وَمَالَهُ وَقَدْ سَاءَ عِنْدِي مَا مِيرٌ وَمَا يُحْلِي
أَخْشَى لِقَاءَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ مُنْقِذٌ وَأَخْرِصُ فِي الدُّنْيَا عَلَى الضِّيمِ وَالغَلِّ؟
عَدِمْتُ إِذَا قَلْبِي وَلَوْ كَانَ وَافِيًا تَلَقَى الرَّدَى كَالِخَلِّ يَأْسُ بِإِخْلٍ
وَلَكِنِّي بِي دَاءٍ أَلَانَ عَرِيكَتِي وَأَوْهَنَ مِنْ عَزْمِي وَأَضْعَفَ مِنْ نُبْلِي
تَوَاصَلْنِي الْحَمَى وَتَوَشَّكُ نَارُهَا تَأَجَّجُ فِي وَجْهِي وَفِي مَلْسِي تُضَلِي
وَرَأْسِي مَضْدُوعٌ وَصَدْرِي ضَائِقٌ وَجِسْمِي كَشَخْصٍ قَامَ الرَّسْمِ مُنْحَلٌ
وَقَلْبِي مَسْمُوعٌ الْخَفُوقِ مُعَلَّقٌ بِمُنْهَدِمِ الْأَرْكَانِ أَجُوفَ مُعْتَلٌ
وَرَقَّتْ حَوَاشِي مُهَجَّتِي وَتَلَطَّفَتْ بِعَيْنِي مَأْلُوفَاتُهَا حِينَ أُسْتَجَلِي
أَرَى خَلَّ الْأَشْيَاءِ رَسْمَ مُطَوِّحٍ بِهِ الْغَيْبُ عَنِّي فِي بَعِيدِ مِنَ السُّبُلِ
شِهَابٌ أَنْيَرُ الْعُمَرَ حَتَّى لِقَائِهِ بِآثَارِهِ الْفَرَاءِ فِي الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ

حَبِيبَةَ قَلْبِي إِنْ تَكُونِي سَبَقْتَنِي فَحُزْنِي لَمْ يُسَبِّقْ وَمَا لِلْهَوَى مِثْلِي
قَدَدْتُكَ بِالْدَاءِ الَّذِي هُوَ قَاتِلِي فَإِنْ سَاءَ نَا بِالْفَضْلِ أَسْعَدَ بِالْوَصْلِ
كَأَنَّ مِنْ قَبْلِ بَلَوْتُ عَذَابَهُ وَأَنْتِ الَّتِي عَانَيْتُهُ بِكَ مِنْ قَبْلِ

فِيَا عَهْدَ سَعْدِي حِينَ كُنْتُ بِجَانِبِي وَيَا عُمْرًا أَبْقَيْتَ لِلْحُزْنِ وَالشُّكْلِ
 وَيَا شَمْسَ قَبْرِ صَارَ مَطْلَعَ نُورِهَا وَمَغْرِبَ صُبْحٍ قَدْ تَحَجَّبَ بِالرَّمْلِ
 عَلَيْكَ سَلَامُ الْعَاشِقِ الْمُدْنَفِ الَّذِي يَسِيرُ إِلَى قَبْرِ الْحَبِيبِ عَلَى مَهْلِ

نقمة وذكري

خطرت له وقد سمع قينة تنغى وتضرب العود

إِنَّ لِي قَلْبًا خَفُوقًا وَاهِنَ الْعَزْمِ كَسِيرًا
 يُشْبِهُ الطَّائِرَ مِنْهَا ضَ الْجَنَاحَيْنِ أُسِيرًا
 أَيُّهَا الْقَيْنَةُ يَهْنِيكَ الصَّبِي غَضًا نَضِيرًا
 وَاسْلَمِي دَهْرًا طَوِيلًا وَاعْنَمِي سَعْدًا وَفِيرًا
 أَنْشِدِينِي لَحْنَ نُكْلٍ وَاضْرِبِي صَوْتًا مُبِيرًا
 يَسْتَعْرِ مِنْهُ جَنَاحَيْنِ فُوَادِي لِيَطِيرَا
 وَيَتَّبِحُ حَتَّى يَفُوقَ أَلْ أَنْجَمَ الْعُلْيَا كَسِيرًا
 وَيُخَلِّ الشُّهْبَ فِيهَا دُونَهُ ذَرًّا نَثِيرًا

إِنَّ لِي فِي الْغَيْبِ الْفَأْ قَدْ نَأَى عَنِّي نُفُورًا

حَجَبَتْ مِنْهُ اللَّيَالِي عَنِّي الصُّبْحَ الْمُنِيرَا
مُنِيَّةٌ قَدْ أَصْبَحَتْ فِي خَاطِرِ الدَّهْرِ ضَمِيرَا
فَارَقَ الدُّنْيَا وَأَبْقَا نِي جَزُوعًا مُسْتَطِيرَا
أَبْتغِي السَّعَى إِلَيْهِ حَيْثُمَا بَاتَ قَرِيرَا

فَإِذَا أَدْرَكْتُهُ أَطْفَا تٌ مِنْ وَجْدِي السَّعِيرَا
وَإِخْدَانًا فَاغْتَدَيْنَا مَرْجَ رُوحَيْنِ سُرُورَا
وَتَأْتَفْنَا عَلَى الدَّهْرِ نَسِيًا وَعَبِيرَا
أَوْ شِعَاً إِنْ تَبَيَّنْتَ فَنُورٌ ضَمَّ نُورَا

إِنَّ لِي قَلْبًا خَفُوقًا وَاهِنَ الْعَزْمِ كَسِيرَا
يُشْبِهُ الطَّائِرَ مِنْهَا ضَ الْجَنَاحَيْنِ أُسِيرَا
أَيُّهَا الْقَيْنَةُ يَهْنِيكَ الصَّبِي غَضًا نَضِيرَا
وَاسْلَمِي دَهْرًا طَوِيلًا وَاعْنَمِي سَعْدًا وَفِيرَا
أَنْشِدِينِي لَحْنَ نُكَلٍ وَاضْرِبِي صَوْتًا مُنِيرَا
يَسْتَعِرُ مِنْهُ جَنَاحَيْنِ فُؤَادِي لِيَطِيرَا
وَيَنْبِ حَتَّى يَفُوقَ أَا أَنْجَمَ الْعُلْيَا كَسِيرَا
وَيُخَلُّ الشُّهْبَ فِيمَا دُونَهُ ذَرَا تَشِيرَا

الرؤر الباني

عنت له وقد مرض مرضاً عضالاً

يَا قَلْبُ مَاتَ بِكَ الْفَرَامُ فَعَلَى بَقِيَّتِكَ السَّلَامُ
مَا تَنْفَعُ الْكَأْسُ الَّتِي بَقِيَّتُ وَقَدْ قَنِيَ اللَّدَامُ ؟
وَلِي شَبَابُ النَّفْسِ إِنَّ شَبَابَهَا لَهْوُ الْهَيَامِ
وَعَفَا الرَّجَاءُ فَلَا السُّهَاءُ دُ إِذْنُ يَطِيبُ وَلَا النَّامُ
بَانَ الْحَبِيبُ، فَمَا صَفَا نِي فِي مُعَايَشَةِ الْأَنَامِ ؟
وَلِمَنْ سَلِمْتُ وَحُبُّ مَنْ أَتَحْمَلُ الْكُرْبُ الْجِسَامِ ؟

وَلَقَدْ أَكُونُ وَكُلُّ هَمِّي هَجْرُ يَوْمٍ أَوْ خِصَامِ
فَقَدَوْتُ أَضْمَانِي الرَّدَى بِأَشَدِّ مَا تُضْمِي السَّهَامِ
فِي خَيْرِ شَطْرِي مُهْجَتِي أَوْلَاهُمَا أَنْ لَا يُضَامِ
وَمُنَيْتُ بِالْهَجْرِ الَّذِي لَا مُلْتَقَى مَعَهُ يُرَامِ
فَعَجِبْتُ أَنِّي كُنْتُ أَشْكَو حَادِثًا قَبْلَ الْجَمَامِ
أَسْفَى عَلَى عَهْدِ مَضَى وَلَيْشَقِهِ صَوْبُ الْغَمَامِ
فَأَحْرَهُ فِي جَنْبِ مَا أَنَا فِيهِ شَافٍ لِلْأَوَامِ
أَسْفَى عَلَى حُبِّ بَرَى هَذَا الْفُؤَادِ الْمُسْتَهَامِ

فَعَذَابُهُ عَذَابٌ وَنَا رُؤْسَاهُ بَرْدٌ فِي سَلَامٍ
أَسْفَى عَلَى جُرْحِي الْقَدِيمِ— وَلَيْتَ ذَلِكَ الْجُرْحِ دَامَ
فَلَقَدْ شَفِيتُ وَمُنَيْتِي لَوْ ظَلَّ قَلْبِي وَهُوَ دَامَ
لَا كَانَ لِي هَذَا الشُّفَا ۚ وَحَبْدًا ذَاكَ السَّقَامَ

اللَّهُ فِي صَدْرِي وَهِيَ وَتَقَوَّسَتْ مِنْهُ الْعِظَامُ
خَاوٍ كَجَوْفِ الْفَارِ تَمَلَّوهُ لِلْخَاوِفِ وَالظَّلَامِ
إِلَّا سِرَاجًا حَائِلًا فِيهِ يُنِيرُ بِلَا ابْتِسَامِ
رُوحٌ تُضِي ۚ عَلَى ضَرْبِ حِجِّ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ قَامَ
تَمَحَّنُو عَلَيْهِ كَأَنَّهُ مَهْدٌ لِطِفْلِ فِيهِ نَامَ
وَبِهِ تَمَحَّنُ مَلَائِكُ لِلذِّكْرِ حِفَاظُ الذَّمَامِ
بَيْضٌ مُجَنَّبَةٌ خِفَا فُشْبُهُ مِرْبٍ مِنْ حَمَامِ
يُونِسْنَهُ يَوْمُؤِبِينَ وَشَدُوِهِنَّ عَلَى الدَّوَامِ
رُسُلٌ نَوَاقِلُ بَيْنَنَا مَا لَا يُحِيطُ بِهِ الْكَلَامُ
عَمَّا أَرَاهُ فِي الْحَيَاةِ وَمَا يَرَاهُ فِي الْمَنَامِ

فَكَأَنِّي رَسْمٌ مُحْمِلٌ فِيهِ أَعْمَدَةُ قِيَامِ
بَيْتٌ عَتِيقٌ شِيدَ فِيهِ لِعَابِدٍ وَرَعِ مَقَامِ

أَبْلَاهُ دَهْرٌ لَمْ يَدَعْ مِنْهُ سِوَى الْأَثْرِ الْحَرَامِ
تَمَثَّلَ حَسْبَ ظَاهِرِهِ لِهَوَى قَضَى وَجَوَى أَقَامِ

النديل

وجد العاشق يوماً وهو يقرب ملابسه في صوانه منديلاً أبلاه
مرور أعوام عليه ولم يسلم منه إلا الموضع الذي طرز عليه
حرفان مشتبهان من اسم حبيته . فاستبكي لذلك شاعره بقوله

أَعِدْ أَيُّهَا الْمَنْدِيلُ ذِكْرًا مُحِبِّبًا وَأَنْطِقْ بِهِ الطَّيِّبَ الَّذِي فِيكَ مُطْرِبًا
وَأَطْنِبْ بِمَا تَحْكِيهِ عَنْهَا فَإِنَّهُ إِذَا سَاءَ إِطْنَابُ حَبِيبَتِكَ مُطْنِبًا
فَذَلِكَ ذِكْرُ الْكَلْبِ أَنْتَ تُعِيدُهُ بَلِ الْعُمُرِ أَشْهُى مَا يَكُونُ وَأَعْدَبًا
وَمَا بِكَ مِنْ نَشْرِ فِي الْقَلْبِ مِثْلُهُ طَوَاهُ الْهَوَى قِدْمًا وَمَا زَالَ طَيِّبًا
لَزِمْتَ صَوَانِي خَافِيًا مُنْذُ عَهْدِهَا كَأَنَّكَ سِرٌّ فِي الطَّوِيَّةِ غُيْبًا
فَمَا آنَسْتُكَ الْعَيْنُ مِنِّي وَلَمْ يَكُنْ لِقَاؤُكَ فِي ظَنِّي وَقَدْ بِنْتَ أَحْقَبًا
وَمِثْلُكَ قَدْ يَخْفَى وَلَيْسَ نَسِيجُهُ بِأَضْحَمِّ مِمَّا فِي شُعَاعِ مِنَ الْهَبَا
كَأَنَّ الرَّشَاشَ الْمُسْتَدَقَّ مِنَ النَّدَى نَسِيلٌ لَهُ حَاكِنُهُ نَاسِجَةُ الصَّبَا

وَقَالُوا غَدَاةَ الْبَيْنِ سَلَوَاكَ فِي غَدٍ فَمَنْ عَاقَ هَذَا الدَّهْرَ أَنْ يَتَوَثَّبَا؟

أَقْلَبُ فِيهِ نَاطِرِي رَفَلًا أَرَى لِيَالِيَهُ دُهْمًا وَلَا الصُّبْحَ أَشْهَبَا
لَزِمْتُ مَكَابِي وَالزَّمَانَ مُجَانِبِي يَدُورُ حَوَالِي قُطْبِهِ مُتَقَلِّبَا
وَمَرَّتْ بِي الْأَعْوَامُ كَثْرًا طَوِيلَةً فَمَا خَفَّفَتْ وَقِرَاءً مِنَ الْعَيْشِ مُتَعِبَا
تُعَاوِدُنِي أَيَّامَهَا وَفُصُولُهَا فَلَا رَاجِيًا تَلْقَى وَلَا مُتَهَيِّبَا
وَهَلْ بَعْدَ « لَيْلِي » حَادِثٌ فَأَخَافُهُ وَهَلْ بَعْدَهَا سَعْدٌ يُظَنُّ فَأَرْقُبَا
تَشَاكَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيَّ جَمِيعَهَا أَرَاهَا وَلَكِنْ لَا أَرَى لِي مَأْرَبَا
لَسِيَّانٍ عِنْدِي صَيْفُهَا وَرَبِيعُهَا وَسِيَّانٍ عِنْدِي مَا أَضَاءَ وَمَا خَبَا
إِذَا أَيْنَعَتْ رَوْضٌ فَمَا حَظُّ نَاطِرِي يَرَى خَلَلَ الرَّوْضِ الشَّقَاءَ مُنْقَبَا
وَإِنْ جُرِّدَتْ ثُمَّ اسْتَعَادَتْ حُلِيِّهَا فَمَنْ لِي بِأَمَالِي وَهَلْ يَرْجِعُ الصَّبِي؟
وَكَيفَ أَبَالِي زِينَةَ الشُّهْبِ فِي الدُّجَى طَلَعَنَ وَلَمْ يَجَلُ الْمَوَى لِي كَوَكْبَا؟
وَكَيفَ أَبَالِي رَوْنَقَ الصُّبْحِ إِنْ بَدَا وَكَانَ الَّذِي أَهْوَاهُ عَنِّي مُغَيِّبَا؟

فِيَا لَكَ أَعْوَامًا تَوَالَتْ صُرُوفُهَا وَلَمْ تَنْفِ عَنِّي شَاغِلًا لِي مُنْصَبَا
دَخَلْتُ بِهَا غَيْرًا كَمَا تَشْتَهِي النَّيْ وَعَدْتُ كَمَا يَهْوَى الشَّقَاءَ مُجْرَبَا
أَرَانِي زَمَانِي سِرَّهُ وَهُوَ الْأَذَى فَأَدَّبَنِي وَالشَّرُّ خَيْرٌ مُؤَدَّبَا
وَشَفَّتْ طَوَايِبَا النَّاسِ لِي عَنِ حَقِيقَةِ تَسُوهُ إِذَا مَا ظَاهَرُ النَّاسِ أُعْجَبَا

رَأَيْتُ حُرُوبًا أَوْقَدَ الظُّلْمُ نَارَهَا فَمَادَتْ لَهَا الْآفَاقُ وَاهْتَزَّتِ الرَّبِّي

جَرَّتْ مَهْجُ الْأَبْطَالِ فِيهَا زَكِيَّةٌ كَأَنَّ الثَّرَى بِالْأَرْجَوَانِ تَجَلِيْبًا
إِذَا الشَّمْسُ جَرَّتْ فَوْقَهُ نُوبٌ نُورِهَا تَقَلَّصَ ذَاكَ الثَّوْبُ بِالدَّمِ مُشْرَبًا

رَأَيْتُ أَسَاطِينَ السِّيَاسَةِ حَلَقُوا فَخَلَّتْ لَهُمْ عِنْدَ الْمَجْرَةِ مَطْلَبًا
وَلَكِنْ أَسَقُوا بَعْدَ حِينٍ كَانَهُمْ نُسُورٌ هَوَتْ تَبَعِي مِنَ الدَّمِ مُشْرَبًا

رَأَيْتُ أَحِبَّاءَ تَوَلَّوْا ، وَأُسْرَةَ قَضَوْا ، وَفَرِيقًا كَالزَّمَانِ تَقَلَّبًا
فَرْمَحَاكَ رَبِّي لِلَّذِينَ اصْطَفَيْتَهُمْ وَصَفَحَكَ عَمَّنْ خَانَ عَهْدِي مُذْنِبًا

وَقَارَعْتُ فُرْسَانًا قَرَعْتُ صُفُوفَهُمْ بِأَسْمَرَ مَاضٍ فِي الْأَسِنَّةِ أَهْيَبًا
كَأَنَّ طُرُوسًا ضَمِنْتَ غَزَوَاتِنَا مِيَادِينَ فِيهَا أَخَذْتَ الْحَبْرُ غَيْبًا
بَدَارُ بِهَا أَقْلَامُنَا كَدَوَابِلِ وَيَقْدِفُ فِيهَا مَوَكِبُ الْعِلْمِ مَوَكِبًا
وَيُوشِكُ إِتْرَاقُ الْخَوَاطِرِ أَنْ يَرَى خِلَالَ مِدَادٍ لَمْ يُطْفِئْهُ مُحَجَّبًا

وَكَمْ عَرَضْتُ لِي غَانِيَاتٌ فَعَفَتْهَا وَصُنْتُ ضَمِيرِي وَاللِّسَانَ الْمُسْتَبِيبًا
وَكَمْ بَلَدٍ وَافَيْتُهُ مُتَلَهِيًا فَعَادَرْتُهُ أَدْمَى فُوَادًا وَأَكَابًا
وَمَا زَالَ هَذَا الْحُبُّ فِي مُؤَيِّدًا مَكِينًا نَبَتْ عَنْهُ السُّنُونَ وَمَا نَبَا
وَمَا زِلْتُ يَا مُنْدِيلَ « لَيْلِي » مُلَازِمِي تَنْشِقُنِي الذِّكْرَى نَسِيًا مُطَيَّبًا
أَصَابَكَ نَابٌ قَارِضٌ مِنْ فَمِ الْبَلِي إِلَى مَوْضِعٍ فِيهِ اسْمُهَا فَتَجَنَّبًا
وَعَالَ فُوَادِي الْبَيْنُ إِلَّا بَقِيَّةً قَضَى الْحُبُّ أَنْ أَحْيَا بِهَا فَأَعَذَّبًا

رمعه

على قيده

قالوا الربيع شباب الدهر
والشباب ربيع العمر

عَادَ الرَّيِّعُ وَحَبْدًا عَوْدُ الرَّيِّعِ إِلَى الرَّبُوعِ
عَوْدُ تَسْرُّ بِهِ الْخَلَا تِقُ وَهُوَ عِيدٌ لِلْجَمِيعِ
بَسَطَتْ سَنَادِمَهَا الرِّبَا ضُ وَأَوْرَقَتْ فِيهَا الْفُرُوعُ
وَأَزَيَّنَتْ أَثْوَابَهَا بِزَخَارِفِ الْوَشْيِ الْبَدِيعِ
مَا بَالُ قَلْبِي آسِفًا كَلِفًا بِإِقْلَاقِ الضُّلُوعِ؟
فَكَأَنَّ جَنِّي مَهْدُهُ وَكَأَنَّهُ عَانِي ضَجِيعِ
يَبْنِي الشِّفَاءَ مَعَ الْوُلُوعِ، وَلَا شِفَاءَ مَعَ الْوُلُوعِ
وَلَوْ أَنَّهُ رَامَ السُّلُورَ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ
أَلِفَ الصَّبَابَةِ فَهِيَ أُمَّ مُرْضِعٌ وَهُوَ الرَّضِيعُ
وَالطِّفْلُ يَشْقَى بِالْفِطَا مَ فَإِنْ يَسْمُهُ فَمَا يُطِيعُ
يَا لِلرَّيِّعِ وَزَهْرُهُ شَوَاكٌ وَأَنْهَرُهُ دُمُوعُ
يَا لِلشَّبَابِ وَلَا سُرُورَ وَلَا عَزَاءَ وَلَا هُجُوعُ
مَنْ كَانَ مَفْقُودَ الْحَبِيبِ فَلَا شَبَابَ وَلَا رَيْبَ

سُرِرْتُ فِي الْعُمُرِ مَرَّةً وَكُنْتُ أَنْتِ الْمَسْرَّةُ
كَانَتْ حَيَاتِي رَوْضًا وَكُنْتُ فِي الرَّوْضِ نَضْرَةً
وَكَانَ غُضُنًا شَبَابِي وَكُنْتُ فِي النُّصْنِ زَهْرَةً
وَكَانَ فِكْرِي سَمَاءً وَكَانَ حُبُّكَ فَجْرَةً
وَكَانَ حُسْنُكَ يُوجِي إِلَى يَرَاعِي سِرَّةً
وَكَانَ لِحَظِّكَ يُهْدِي إِلَى بَيَانِي سِحْرَةً
وَكَانَ تَفَرُّكِي يُمَلِّي عَلَى سَمَاعِي دُرَّةً
وَكَانَ طِيبُكَ يُهْدِي إِلَى ثَنَائِي نَشْرَةً
وَكُنْتُ لِلرُّوحِ رَوْحًا وَكُنْتُ لِلْعَيْنِ قُرَّةً
قَدْ كَانَ هَذَا وَلَكِنْ مَضَى وَأَخْلَفَ حَسْرَةً
فَبِتُّ لَا شَيْءَ إِلَّا حَالَيْنِ: ذِكْرِي وَعِبْرَةً

اتتهت حكاية العاشقين

الجنين الشهيد

هي قصة جرت في مصر حضر الناظم وقائعها كما شهد حكاية العاشقين
ووصفها بحقيقتها لتكون تذكرة وعبرة

أنتِ مِصرَ تَسْتَعِطِي بِأَعْيُنِهَا النَّجْلِ وَعَرَضِ بَحَالٍ لَا يُقَاسُ إِلَى مِثْلِ
غَرِيبَةٍ هَدَى الدَّارِ بَادِيَةَ الدَّلِّ جَلَّتْ طِفْلَةً عَنِ مَوْطِنٍ نَاصِبٍ قَحْلِ
إِلَى حَيْثُ يُرَوَى النِّيلُ بِأَسْفَةِ النَّجْلِ

فَلَاحِيَةٌ مَا دَرَّهَا ثَدْيُ أُمِّهَا سِوَى ضَعْفِهَا الْبَادِي عَظِيمًا وَهَمًّا
وَلَمْ تَتَنَاوَلْ مِنْ أَبِيهَا سِوَى اسْمِهَا وَمَا أَحْرَزَتْ مِنْ أَهْلِهَا غَيْرَ يُتَمِّهَا
وَأَشَقَى الْبِتَامَى فَاقِدُ الْبِرِّ فِي الْأَهْلِ

فَكَانَتْ كَنَامِي النَّرْسِ يَزُكُو وَيَنْضُرُ وَمَطْعَمُهُ طِينٌ وَمَسْقَاهُ أَكْدَرُ
يُحِيطُ بِهَا دَوْحَانٍ : شَيْخٌ مَعْمَرٌ وَأُمٌّ عَجُوزٌ. الْقَشْرِ « وَاللَّبُّ أَخْضَرُ » (١)
تَبِيْعُهُمَا قُوْتًا بِشَيْءٍ مِنَ الظِّلِّ

فَمِنْ صُبْحِهَا تَسْعَى لِجَنِّي وَمُكْتَدَى وَفِي لَيْلِهَا تَقْضِي الَّذِي يُبْتَغَى غَدَا
كَمَا كَانَ عَبْدُ الرَّقِّ جِنْحًا وَمُغْتَدَى يُوَاصِلُ مَسْعَاهُ لِيَخْدُمَ سَيِّدَا
وَيُوسِعُهُ رِزْقًا وَيُنْغِذِي مِنَ الثَّقْلِ (٢)

(١) دوحان : شجرتان كبيرتان إشارة الى أبيها وأُمها (٢) الثقل : رذال الطعام

قَضَتْ هَكَذَا بَيْنَ الْأَمْسَى وَالْمَتَاعِبِ صِبَاهَا وَلَمَّا تَفَدُّ بَيْنَ الْكَوَاعِبِ
فَصَحَّتْ كَنَبَتِ الطَّوْدِ بَيْنَ الْمَعَابِبِ وَمَدَّتْ إِلَى حَيْثُ التَّرَى غَيْرُ نَاضِبٍ (١)
جُدُورًا إِذَا أَنَهَلْنَهَا عُذْنٌ بِالْعَلِّ (٢)

فِيَا لِقَوَى التَّمَكِينِ فِي جِسْمِ سَالِمٍ يُقَاوِمَنَّ دُونَ الْعُمْرِ كُلِّ مُقَاوِمٍ
يُمَازِبَنَّ بِالْأُورَاقِ دَرَّ الْعَمَامِ يُهَابِطَنَّ بِالْأَعْرَاقِ دَرَّ الْمَنَاجِمِ
خِفَافًا إِلَى ضَمِّ صِعَابًا عَلَى الْحَلِّ

يَمُرُّ بِهَا عَهْدُ الصَّبِيِّ وَالتَّدَلُّ عَلَى شَطَفٍ فِي عَيْشِهَا وَتَدَلُّ
وَكَمْ جُرِّعَتْ مِنْ صَبْرِهَا كَأْسَ حَنْظَلٍ وَكَمْ نَالَهَا صَرْفٌ مِنَ الدَّهْرِ مُبْتَلِي
فَطَالَ عَلَيْهَا لَا يُمِيتُ وَلَا يُسْلِي

وَكَمْ ضَاجَعَ الْجُوعُ الْأَثِيمُ بِهَاءِهَا قَبْلَهَا حَتَّى أَجَفَّ دِمَاءُهَا
وَكَمْ سَاعَفَ الْحَرُّ الْمَذِيبُ شَقَاءُهَا وَكَمْ نَازَعَ الْبَرْدُ الشَّدِيدُ بَقَاءُهَا
نَوَائِبُ تَأْتِي كَاللِّيَالِي وَتَسْتَلِي

أَنْزَنَ نُهَاهَا فِي اعْتِكَارِ التَّجَارِبِ بَيْنِرَانِهِنَّ الْمُحْرِقَاتِ الثَّوَابِ
صُنْنَ لَهَا مِنْ فَحْمِ تِلْكَ الْغِيَابِ ذَكَاءٌ مِنَ الْمَاسِ الْمُضِيِّ الْجَوَانِبِ
بِهِ تَجْتَلِي مَا لَا تَرَى أَعْيُنُ النَّعْلِ

(١) ناضب : جاف - (٢) العل : الرى

دَعَاهَا بِلَيْسَى وَالِدَاهَا لِتُنْكَرَا وَهَلْ كَانَ صَوْنًا لِاسْمِهَا أَنْ يُغَيَّرَا؟
عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مِثَالًا مُصَوَّرًا تَصَوَّرَ مِنْ مَاءِ الْجَمَالِ مُقَطَّرًا
فَحَلَاهُ مَا تَهْوَى لَمَنَى وَبِهِ حُلَى

يُسْرٌ بِمَرَأَى حُسْنِهَا كُلُّ سَابِلٍ فَيَنْفَحُهَا مِنْ مَالِهِ غَيْرَ بَاخِلٍ
وَكَمُ مُدَقِّعٍ مِنْ شِدَّةِ الْفَقْرِ سَائِلٍ يَرُدُّ يَدَيْهِ لَا يَفُوزُ بِبَنَائِلٍ
وَلَا جُودَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا عَلَى دَخْلِ (١)

تَمَحَّنْ إِلَى الصُّفْعِ الَّذِي لَمْ يَبْرَهَا وَجَرَّعَهَا صَابَ الْحَيَاةِ وَمُرَّهَا
نَأَتْ وَنَأَى أَثْرَابُهَا عَنْهُ كَرَّهَا وَلَكِنْ هِيَ الْأَوْطَانُ نَحْمَدُ ضُرَّهَا
وَنَهْوَى الْأَذَى فِيهَا وَلَا النَّفْعَ إِنْ نُجِلِ

عَلَى أَنَّهُ صُفْعٌ شَحِيحُ الْجَدَاوِلِ عَقِيمُ الثَّرَى لِكِنَّةِ جِدِّ أَهْلِ
جَدِيبٌ خَصِيبٌ بِالْبَطُونِ الْحَوَامِلِ وَمَا تَقْدِفُ الْأَمْوَاجُ فِي مَتْنِ سَاحِلِ
مِنَ الرَّمْلِ مَا يَقْدِفْنَ فِيهِ مِنَ النَّسْلِ

يُعِدُّ بَنِيهِ لِلتَّبَارِيحِ وَالْفَنَاءِ إِذَا لَمْ يَرُودُوا كُلَّ أُفُقٍ مِنَ الدُّنْيَا
فَيَتَّخِذُونَ التِّيَةَ فِي الْأَرْضِ مَوْطِنًا وَمُمْ كَالدَّبِّي الْغَرْتِي نَفُوسًا وَأَبْطِنًا
إِذَا نَزَلُوا خِصْبًا فَبَشَّرَهُ بِاللَّحْلِ

فَلَا تُنْكَرُ الْأَزْوَاجُ بَعَى نِسَائِهَا وَلَا تُكْبِرُ الزَّوْجَاتُ خَلْعَ حَيَاتِهَا

(١) دخل : رية

وَوُلْدٍ خَلَّتْ أَبَاؤُهَا عَنْ إِبَائِهَا تَسَاوَمُ فِي حُسْنِ الْوُجُوهِ وَمَاهَا
وَتَنَمُّ عَلَى سُوءِ الْمَعَاظَةِ وَالتَّخَلُّ

كَذَا أَدَبَتْ « لَيْلَى » فَطِيماً وَعَالَهَا ذُؤُوهَا لِيُضْحُوا بَعْدَ حِينٍ عِيَالَهَا
فَتَطْعِمُهُمْ مِنْ خِزْيِهَا مَا جَنَى لَهَا وَتَكْسُوهُمْ مِمَّا تَعْرَى جَمَالَهَا
وَتَحْمِلُ مَا فِي الْعَيْشِ عَنْهُمْ مِنَ الثَّقَلِ

وَلَكِنَّ فِي نَفْسِ الصَّغِيرِ الْمَسَاوِيَا مِمَّا تَلَنَ بِالْحُسْنِ الْخِصَالِ الزَّوَاهِيَا
كَأَوَّلِ نَبْتِ الْحَقْلِ يَجْمَلُ نَامِيَا وَلَا تَفْرُقُ الْعَيْنُ الْغَرِيبَ الْمَضَاهِيَا
مِنَ النَّبْتِ إِلَّا فِي أَوَانِ جَنَى الْحَقْلِ

فَلَمْ يَكُ فِي « لَيْلَى » سِوَى مَا يُحِبُّ بِهَا مِنْ مَعَانِيهَا الْجِيَادِ وَيُعْجِبُ
وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ تَنَمُّ وَتَعْدُبُ كَمُثْمِرَةِ الْأَغْصَانِ وَالصُّتْعِ طَيِّبُ
يُبَشِّرَنَّ فِي فَضْلِ وَيَعْقِدَنَّ فِي فَضْلِ

إِلَى أَنْ غَدَتْ فِي أَعْيُنِ الْمُتَوَسِّمِ تَنْبِيرُ كُنُورِ الشَّارِقِ الْمُتَبَسِّمِ
مُنْعَمَةَ الْأَعْطَافِ لَا عَنْ تَنْعَمِ مُنْعَمَةٌ أَوْصَافُهَا لَمْ تُتَمِّمْ
بِحَلِيِّ وَلَمْ تُصْلِحْ بِطَلِي وَلَا صَقْلِ

ضُرُوبُ جَمَالٍ لَوْ رَأَتْهَا أَمِيرَةٌ رَأَتْ كَيْفَ تَعْلُوهَا فَتَأَةُ حَقِيرَةٌ

وَكَيفَ حَوَتْ جَاءَ الْمُلُوكِ قَهْرَةً مُضَوَّرَةً مِمَّا تَجْوَعُ ، جَدِيرَةً
بِإِحْسَانِ أَرْبَابِ الْمَبْرَاتِ وَالْبَذْلِ

بِهَاءٍ بِهِ يَسْمُو عَلَى الْجَاهِ قَهْرَهَا وَعُزَى بِهِ يَزُرِي الْجَوَاهِرَ نَحْرَهَا
وَتُوبٌ عَتِيقٌ إِنْ فَشَا مِنْهُ سِرُّهَا أَبَاحَ كُنُوزًا لِلنَّوَاطِرِ صَدْرَهَا
يُحْرِمُهَا جَفْنٌ تَرَصَّدَ بِالنَّبْلِ

وَرَأْسٌ إِذَا مَا زَانَهُ تَاجٌ شَعْرَهَا فَأَشْرَفَ مِنْ عَرْشٍ غَضَاضَةٌ قَدْرَهَا
وَقَدْ تَشْتَرِيهِ ذَاتُ تَاجٍ بِفَخْرَهَا وَتَرْضَى بِهِ تَاجًا كَرِيمًا لِفَقْرَهَا
مُعَوَّضَةً خَيْرًا مِنَ الْكُفْرِ بِالْقَلْبِ

وَقَالَ أَبُوهَا يَوْمَ تَمَّ شَبَابُهَا وَحَيْكَ لَهَا مِنْ نُورِ فَجْرِ إِهَابُهَا :
أَيَا أُمَّ لَيْلَى حَسْبُ «لَيْلَى» عَذَابُهَا تَوَفَّرَ مَسْعَاهَا ، وَقَلَّ اكْتِسَابُهَا
وَأَسْنَامُ تَكَرَّرِ السُّؤَالِ ذَوِي الْفَضْلِ

أَرَاهَا أَصَحَّ الْآنَ جِسْمًا وَأَجْمَلًا فَحَتَّامٌ لَا تَجْنِي جَنَاهَا الْمُؤَمَّلَا
نَمَتْ وَنُمُوُ الْفَقْرِ يَأْتِي مُعْجَلًا وَلَمْ أَرَ فِي الْإِعْسَارِ كَالْحَانِ مَوْثِلًا
لِيَنْ يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ مِنْ أَقْرَبِ السُّبُلِ

فَقَالَتْ لَهَا أُمَّ شَدِيدٌ دَهَاؤُهَا سَخِيٌّ مَأْقِيهَا سَرِيعٌ بُكَاءُهَا :

بُنْيَةُ هَذِي الْحَالِ أُعْضَلْ دَاوَاهَا وَأَنْتِ لَنَا دُونَ الْأُنَامِ دَوَاوَاهَا
أَغْيِرْكِ نَزْجُو لِلْمَعُونَةِ وَالْكِفْلِ؟

قَالَتْ: أَشِيرِي يَا أُمَيْمَةَ إِنِّي لَقَاعِلَةٌ مَا شِئْتِهِ فَأَمْرَنِي
وَمَا تُوْثِرِيهِ أَحْتَرِفُهُ وَأَتَقِنُ وَكُلُّ الَّذِي فِيهِ رِضَاكَ يَسُرُّنِي
فَرَوْحُكَمَا هَمِّي وَعِزُّكَمَا شُغْلِي

قَالَتْ لَهَا: إِنَّا نَرَى لَكَ مِهْنَةً تُعِيدُ عَلَيْنَا نِقْمَةَ الْعَيْشِ مِنَّةً
تَكُونِينَ فِيهَا لِلنَّوَظِرِ جَنَّةً وَلِلشَّارِبِينَ الْمُسْتَهَامِينَ فِتْنَةً
فَتَرْقِينَ أَوْجَ السَّعْدِ مِنْ مَرْتَقَى سَهْلٍ

« تَخَيْرُ لَهَا يَا أُمَّهَا الْعُدْمُ وَالطَّوَى مِنْ السَّعْدِ تُهْدِيهِ إِلَيْهَا يَدُ الْهَوَى
وَأَوْلَى بِهَا مِنْ أَنْ تُدَالَ فَتَصْفُوا مُعَانَاةً هَمٌّ نَاصِبٍ يُوْهِنُ الْقُوَى
وَسَيْرٌ عَلَى شَوْكِ الْقِتَادِ بِلَا نَعْلِ »

كَذَلِكَ نَاجَاهَا الضَّمِيرُ مُؤَنَّبًا وَلَكِنَّ جُوعَ النَّفْسِ فِيهَا تَغَلَّبَا
فَرَدَّ إِلَى الصَّمْتِ الضَّمِيرِ مُخْتَبِئًا وَأَلْقَى بِتِلْكَ الْبِنْتِ فِي أَوَّلِ الصَّبَا
إِلَى حَيْثُ يَخْشَى نَاسِكَ زَلَّةَ الرَّجْلِ

فَمَرَّ بِهَا فِي حَانَةِ نَفَرٍ أَوْلُو مُجُونٍ دَعَوْهُمْ بِالرُّمُوزِ فَأَقْبَلُوا

وَحَيَّوْا فَحَيَّيْتَهُمْ وَفِيهَا تَدَلُّ فَقَالَ فَتَى : مَا لِلْمَلِيحَةِ تَمَجُّلُ ؟
وَحَيْثُ تَكُنْ تَنْزِلُ عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّهْلِ ؟

تَسْمِينِ يَا حَسَنَاءَ . قَالَتْ تَحَبُّبًا : أَنَا اسْمِي لَيْلَى هَلْ تَرَى اسْمِي مُعْجِبًا ؟
فَقَالَ : لَيْنٌ أَنْشَدْتِهِ الصَّخْرَ أَطْرَبًا بِرِقَّةٍ هَذَا الصَّوْتِ ، أَوْ رَاهِبًا صَبَا
أَوِ النَّاِكِلِ اعْتَاضَ الشُّرُورِ مِنَ الشُّكْلِ

وَقَالَ فَتَى : مَا شَاءَ رَبُّكَ أَحْكَمَا جَمَالَكَ يَا « لَيْلَى » فَجَاءَ مُتَمَمًا
رَأَيْتُ وَلَكِنْ لَا كَثْرَكَ مَبِيسًا وَلَا مِثْلَ هَذِي الْعَيْنِ تُرْوَى عَلَى ظَمًا
وَلَا كَحَلَا فِي الْجَفْنِ أَفْضَحَ لِلْكُحْلِ

فَلَمَّا سَقَمْتُمْ قَالَ نَشْوَانُ يَمْزُحُ : أَسْقَيْنَا رَوْحًا وَجَفْنُكَ يَذْبَحُ ؟
وَمَدَّ يَدًا مِنْهُمْ فَتَى مُتَوَقِّعٌ إِلَيْهَا ، فَجَافَتْ ثُمَّ صَافَتْ لِيَسْمَعُوا
لَهَا يَمْزِيدٍ مِنْ شَرَابٍ وَمِنْ نَقْلِ

وَقَالَتْ بِتَوْلٍ فَارْتَبُوا اللَّهَ وَاتَّقُوا وَلَكِنْ أَشَارَ اللَّحْظُ أَنْ لَا تُصَدِّقُوا
فَأُضْحَكْتُمْ هَذَا الْعَفَافُ الْمَلْفَقُ وَقَالَ فَتَى : شَأْنُ الرَّحِيقِ يُعْتَقُ
وَلَكِنْ تَعْتِيقَ الْعَفَافِ مِنَ الْخَبْلِ

فَتَابَعَهُ ثَابٍ وَقَالَ تَفَنُّنًا : أَمَا زِلْتِ بِكِرًا ؟ .. بِئْسَا الدَّيْرُ هَهُنَا
وَلَكِنَّهَا الْأَنْمَارُ تُخْلَقُ لِلْجَنَى وَإِلَّا فَبَيْنُ أَنْ تَطِيبَ وَتُحْسِنَا
إِلَى أَنْ تَرَاهَا ذَابِلَاتٍ عَلَى الْأَصْلِ

وَعَقَبَ مَزَاحُ بِأَذَى وَأَغْرَبَ أَخْبِرْكُمْ مَا الْبِكْرُ فِي خَيْرٍ مَذْهَبٍ؟
هِيَ الْكَأْسُ فَارْشِفْ مَا تَشَاءُ وَقَلِّبْ فَإِنَّ هِيَ لَمْ تَعْطَبْ فَلَسْتَ بِمَذْنِبٍ
وَإِنْ كَدَّرْتَ عَادَتْ إِلَى الصَّفْوِ بِالْفَسْلِ

وَكَانَ رَفِيقٌ مِنْهُمْ مُتَأَلِّمًا يَرَى آسِفًا ذَاكَ الدَّعَابَ الْمَذْمُومًا
وَتِلْكَ الْفِتَاةَ الْبِكْرَ خُلُقًا مُتَمَلِّمًا وَعِزْضًا غَدَا تَثْلِيمُهُ مُتَحْتَمًا
قَالَ: «ارْبَاوَا جَاوَزْتُمْ الْخَدَّ فِي الْمَزَلِ

لَئِنْ جَازَمَسُ الْبِكْرِ أَوْ سَاغَ لَثْمُهَا بِلَا حَرَجٍ مَا دَامَ يُؤْمَنُ ثَلْمُهَا
فَلِمَ زَهْرَةُ الرَّوْضِ الَّتِي هِيَ رَشْمُهَا إِذَا ابْتَدَلَتْ جَفَّتْ وَلَوْ صِينَ كَثْمُهَا
وَلَمْ تَسْتَعِدْ زَهْوًا وَطِيبًا مِنَ الطَّلِّ؟»

أَيَا لَيْلٍ هَلْ تَصْفُو وَتَطْلُعُ أَنْجُمًا لِتُقْدِيَ بِأَرْجَاسِ الْوَرَى أَعْيُنُ السَّمَاءِ؟
وَيَا زَمَنًا قَالُوا بِرِ الرِّقِّ حُرْمًا عَلَامَ أُبِيحَ الطِّفْلُ لِلْجُوعِ وَالظَّمَا
فَبَاعَاهُ لِلْفَحْشَاءِ تَحْتِ يَدِ الْعَدْلِ؟

أُصِيبِيَّةٌ جَاؤُوا الْمَكَانَ لِيَسْهَرُوا وَقَدْ أَجْلَسُوهَا يَسْكُرُونَ وَتَسْكُرُ
فَلَمَّا نَفَى اللَّبَّ الشَّرَابُ الْمُخْمَرُ تَمَادَوْا بِهَا فِي غَيْبِهِمْ وَتَهَوَّرُوا
وَأَرْقَصَهُمْ طَوَافَةُ الزَّمْرِ وَالطَّبْلِ

فَهَذَا مُعَاطِيهَا وَذَلِكَ مُدَاعِبُ وَهَذَا مُدَاخِيهَا وَذَلِكَ مُشَاغِبُ

وَهَذَا مُرَاضِيهَا وَذَلِكَ مُغَاضِبُهَا وَهَذَا مُبَاكِهَا وَذَلِكَ مُلَاعِبُهَا
وَكَلَّا تَرَى مِنْهُمْ عَلَى خُلُقٍ رَذِيلٍ

يُحَاوِلُ كُلُّهُ أَنْ يَزِيغَ فُؤَادَهَا وَكُلُّهُ يُرَجِّي أَنْ يَضِلَّ رَشَادَهَا
يَرُومُونَ مِنْهَا أَنْ تُبَيِّحَ وَسَادَهَا وَيَبْفُونَ طُرُقًا بَغِيهَا وَفَسَادَهَا
سَوَاءٌ لَدَيْهِمْ بِالْحَرَامِ وَبِالْحِلِّ

ذَنَابٌ تُدَاجِي نَعْمَةً لِأَفْتِرَاسِهَا وَتَرْتَقِبُ مِنْهَا فُرْصَةً لِإِخْتِلَاسِهَا
وَلَكِنَّهَا رَدَّتْهُمْ عَنِ مِيسَاسِهَا تَبَالِغُ فِي تَشْوِيقِهِمْ بِإِخْتِبَاسِهَا
وَلَقَّتْهَا الْغَضَبِي وَمَشِيَّتَهَا الْخَزَلِ

مَا هِيَ مِنْهَا فِي الطَّهَارَةِ رَغْبَةٌ وَلَا هِيَ مِنْ قَدِّ الْبَكَارَةِ رَهْبَةٌ
وَلَكِنَّهُ عِلْمٌ لَدَيْهَا وَدُرْبَةٌ كَمَا أَبَوَاهَا أَدْبَاهَا وَعُصْبَةٌ
أَرْسَهَا فَنُونَ النِّسِّ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ

تَصِيدُ لَهَا عُشَاقَهَا بِإِخْتِبَالِهَا وَتَبْتَرُ مِنْهَا أُمَّهَا فَضْلَ مَالِهَا
فَتَنْفِقُ فِي رَوْحِهَا وَدَلَالِهَا وَتَقْنِي الْحَلِيَّ مُعْتَاظَةً عَنْ بَجَاهِهَا
بِأَوْسَمَةِ الْقُبْحِ فِي الشَّيْبِ وَالْعُطْلِ

أَعْدَلًا يُبَاهِي عَصْرُنَا زَمَانًا خَلَا وَقَدْ عُوِّدَ الْأَطْفَالُ فِيهِ الدَّسْوَلَا؟
وَسِيَمَتْ بِهِ الْأَبْكَارُ سَوْمًا مُحَلَّلًا وَبَاعَتْ نِسَاءً وُلْدَهَا وَاشْتَرَتْ حَلِيَّ
وَرُبِّيَ طِفْلُ الْبَيْتِ تَرْبِيَةَ السَّخْلِ؟

عَلَى هَذِهِ الْحَالِ الشَّدِيدِ نَكِيرُهَا تَمَّا الْحَسَنُ فِي «لَيْلَى» وَمَاتَ ضَمِيرُهَا
فَجِسْمٌ كَمِشْكَاةٍ يَعْزُّ نَظِيرُهَا بِإِتْقَانِهَا لَكِنْ خَبَا الدَّهْرُ نُورَهَا^(١)
وَعَيْنٌ كَحَالِي الْعَمْدِ أَمْسَى بِهَا نَضْلِ

فَلَمَّا اسْتَوَى شَكْلًا رَبِيعُ الصَّبَا بِهَا وَشَبَّ عَنِ الْأَكْثَامِ زَهْرُ شَبَابِهَا
وَدَلَّ عَلَى النَّعْمَاءِ غَضُّ إِهَابِهَا وَأَنْكَرَ زَهْوًا مَا مَضَى مِنْ عَذَابِهَا
حَكَتْ جَنَّةً فِيهَا مَنَى الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ

وَمَا هِيَ إِلَّا دِمْنَةٌ لَكِنْ اكْتَسَى ثَرَاهَا مِنَ النَّبْتِ الْمُزَوَّرِ مَلْبَسًا
وَيَسْتَطَعُ مِنْهَا الطَّيِّبُ لَكِنْ مُدَنَّسًا وَفِي نُورِهَا تَنْمُو الرِّذَائِلُ وَالْأَمْسَى
وَمَوْرِدُهَا عَذْبٌ عَلَى أَنَّهُ يُصَلِّي

تَكَامَلَتْ فِيهَا الْحَسَنُ وَالْمَكْرُ أُجْمَعَا كَأَنَّهُمَا صِنَوَانِ قَدْ وُلِدَا مَعَا
وَدَرَّهْمَا ثَدْيٌ لِأُمِّ فَأَرْضِعَا وَشَبَّ بِحَجْرٍ وَاحِدٍ وَتَرَعَرَّعَا
وَضَمًّا بِعَقْدٍ مُبْرَمٍ غَيْرِ مُنْحَلِّ

فَلَوْ زُرْتَهَا مَمْلُوءَةَ النَّهْدِ مُعْصِرَا لِأَبْنِكَ مَا سَاءَتْ خِصَالًا وَمُخْبِرَا
وَمَسْرُكٌ مَا شَأَتْ بَجَالًا وَمَنْظَرَا وَقُلْتَ : أَلَيْلَى هَذِهِ؟ وَبِهَا أَرَى
أَشَدَّ طِبَاقٍ فِي الطَّوِيَّةِ وَالشَّكْلِ؟

نَعَمْ، هِيَ لَيْلَى لَكِنْ الْآنَ تَكْذِبُ وَيَكْذِبُ مِنْهَا الْحَاجِبُ الْمُتَحَدِّبُ

(١) مشكاة : مصباح

وَيَكْذِبُ فِيهَا قَلْبُهَا الْمُتَقَلِّبُ وَيَكْذِبُ مِنْ بَعْدِ شَذَاهَا الْمُطَيَّبُ
عَلَى غَيْرِ مَا ظَنَّتْ بِهَا النَّاسُ مِنْ قَبْلِ

وَتَكْذِبُ فِي مِيلَادِهَا وَوَلَائِهَا وَتَكْذِبُ فِي مِيعَادِهَا وَرَجَائِهَا
وَزُرْقَةِ عَيْنَيْهَا وَبَرْدِ صَفَائِهَا وَحُمْرَةِ خَدَّيْهَا وَوَرْدِ حَيَاتِهَا
وَفِي عِطْفِهَا الْمُضَى وَفِي رِدْفِهَا الْعَبْلِ

وَمَخْلُقُ زُورًا فِي الْمَحَاجِرِ أَدْمَاءُ وَتُنْشِئُ لَوْنًا لِلْحَيَاءِ مُصَنَعًا
وَتَنْسُجُ لِلتَّمْوِيدِ فِي الْوَجْهِ بَرُوقًا وَتَبْكِي كَمَا تَفْتَرُ فِي لِحْظَةٍ مَعًا
وَتَرْضَى مَعَ الرَّاضِي وَتَأْسَى لِنَدَى الْغِلِّ

تُخَاطِبُ كُلَّ بِاللَّذِي فِي ضَمِيرِهِ لِمَا هِيَ تَدْرِي مِنْ خَفِيِّ أُمُورِهِ
وَتُعْجِبُهُ فِي حُزْنِهِ وَسُرُورِهِ وَتَضْطَّادُهُ لُطْفًا يَفْخُ غُرُورِهِ
فَيَفْتَرُّ عَنْ حَزْمٍ وَيَسْخُو عَلَى بُحْلِ

حَوَى سِيرًا مِنْ كُلِّ ضَرْبٍ فَوَادِهَا بِهَا يَهْتَدِي سُبُلَ الْخِدَاعِ رَشَادُهَا
وَيَقْوَى عَلَى ضَعْفِ الْقُلُوبِ وَدَادُهَا فَلَا تَنْشِي حَتَّى يَتِمَّ مُرَادُهَا
وَحَتَّى يَكُونَ الْحَقُّ فِي خِدْمَةِ الْبُطْلِ

يُحَدِّثُهَا كُلَّ بِأَمْرِ تَجَدَّدًا وَيُنْفِئُ لَهَا أَسْرَارَهُ مُتَوَدِّدًا
وَمَا يَكْشِفُ الْبَدْرُ الظَّلَامَ إِذَا بَدَا كَمَا تَكْشِفُ الْأَسْرَارَ لَيْلِي وَمَا الصَّدَى
بِأَمْرَعٍ مِنْهَا فِي الْحِكَايَةِ وَالنَّقْلِ

وَكَمْ تَضْطَبِي ذَا غِرَّةٍ لَا يَخَالُهَا مُحْصَنَةٌ بِكَرًّا وَذِي الْحَالِ حَالَهَا
فِيغْوِيهِ فِيهَا أَنْسَاهَا وَابْتَدَأَهَا وَيَسْخُو عَلَيْهَا مَا يَشَاءُ اخْتِيَالَهَا
وَتُعْرِضُ عَنْهُ حِينَ يَطْمَعُ فِي الْوَصْلِ

أَلَيْسَ صَفَاءَ الْبِكْرِ فِي أَوَّلِ الصَّبِيِّ كَقَطْرِ النَّدى يَحُلِي بِهِ زَهْرُ الرَّبِيِّ؟
فَإِنْ يَسْتَحِلُّ ذَاكَ الصَّفَاءَ تَلْهُبًا فَلَا عَجَبٌ أَنْ تُحْسَبَ الْبِكْرُ ثِيَابًا
وَيُخْطَى فِيهَا مَنْ يَكُونُ عَلَى جَهْلِ

وَكَمْ مِنْ سَرِيٍّ مُوَلِّعٍ بِالتَّعَفُّفِ سَبَتَ بِالْحَيَاءِ الْكَاذِبِ التَّكَلُّفِ
وَدَاجَتُ فَصَادَتْ بِالْمَقَالِ الْمُلَطَّفِ وَبِالْتِّيهِ حَيْثُ التِّيهِ مَحْضُ تَرْفِ
وَبِالْهَجْرِ حَيْثُ الْهَجْرُ أَجْمَعُ لِلشَّمْلِ

إِذَا مَا الْبَغِيَّاتُ اخْتَشَمْنَ ظَوَاهِرًا وَجَارَيْنَ فِي آدَامِيْنَ الْحَرَاثِرَا
وَكَنَّ جَمِيْعًا كَالنُّجُومِ سَوَافِرَا فَأَيُّ حَكِيمٍ يَسْتَبِينُ السَّرَاثِرَا؟
وَهَلْ فِي ضِيَاءِ الشُّهُبِ فَرْقٌ لِمُسْتَجَلِي؟

- ٢ -

عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَرْضَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا وَكَانَتْ تُنَاجِيهَا أَمَانِيٌّ سِرِّهَا
بِأَنْ تَتَوَلَّى عَاجِلًا فَكَّ أَسْرِيهَا فَإِنْ وُقِّتْ فَازَتْ بِإِعْلَاءِ قَدْرِيهَا
عَلَى كُلِّ مَنْ تَعَلَّوْ عَلَيْهَا وَتَسْتَعْلِي

وَكَانَ فَتَى طَلَقُ الْمُحْيَا جَمِيْلُهُ وَلَكِنَّهُ نَذَلُ الْفُؤَادِ ذَلِيْلُهُ

- ٢٣٤ -

يَمِيلُ إِلَيْهَا وَهِيَ لَا نَسْتَمِيلُهُ فَيَزْدَادُ فِيهِ غَيْظُهُ . وَغَلِيظُهُ
وَقَدْ طَوَّيْتُ أَحْشَاؤَهُ طِيَّةَ الصَّلِّ

وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُوَدُّ خِطَابَهَا فَتُضْفِي إِلَيْهِ وَهِيَ تَحْسُو شَرَابَهَا
فَإِنْ مَلَأَتْ مِمَّا يَقُولُ وَطَابَهَا تَوَلَّتْ ، وَكَانَ الصَّدُّ عَنْهُ جَوَابَهَا
فَأَبَ وَفِي آمَاتِهِ أَدْمَعٌ تَغْلِي

وَوَظَلَّ يُوَافِي فِي الْمَوَاعِيدِ زَائِرًا فَيَحْسُو الطَّلِيَّ جَهْرًا وَيُرْوِي النَّوَظِرَا
يُخَالِسُهَا نِيَّاتِهَا وَالسَّرَائِرَا لَطِيفًا لِمَا يَبْنِي عَلَى الذَّلِّ صَابِرَا
فَخُورًا بِرَحْبِ الصَّدْرِ وَالْكَفْلِ الْخَدْلِي

فَأَلَى لَهَا يَوْمًا بِأَنْ يَتَأَهَّلَا بِهَا ، فَأَصَابَ الْوَعْدُ مِنْهَا الْمُؤَمَّلَا
فَقَالَتْ : كَفَانِي خِدْمَةً وَتَبَثَّلَا وَذِي نِعْمَةٍ أَرْقَى بِهَا سَلْمَ الْعُلَى
وَمَاذَا تُرَجِّي بَعْدَهَا امْرَأَةً مِثْلِي ؟

فَأَبَدَتْ لَهُ الْإِقْبَالَ بَعْدَ التَّبْرُمِ وَلَكِنْ أَطَالَتْ خُبْرَهُ خَوْفَ مَنْدَمِ
فَقَالَتْ لَهَا النَّفْسُ الطَّمُوعُ : « إِلَى كَمْ تَظَلَّانِ فِي مُشَقِّ مِنَ الرَّيْبِ مُؤَلِّمِ
وَيُقْضَى نَفِيسُ الْعُمْرِ فِي الْوَعْدِ وَالْمَطْلِ ؟

فَلَمْ أَرَ أَهْوَى مِنْ « جَمِيلٍ » وَأَطْوَعَا فَوَادَا ، وَلَا وَجْهًا أَحَبَّ وَأَبْدَعَا
فَتَى لَكَ يَهْدِي قَلْبَهُ وَأَسْمُهُ مَعَا فَإِنْ طَالَ هَذَا الطَّلُ مِنْكَ تَطْلَعَا
إِلَى امْرَأَةٍ تَسْمُوكِ بِالْجَاهِ وَالْأَصْلِ «

فَخَامَرَ «لَيْلَى» الْخُوفُ ثُمَّ نَحَوَّ لَا إِلَى غَيْرَةٍ ، وَالغَيْرَةُ انْقَلَبَتْ إِلَى
غَرَامٍ ، فَمَا تَلَوَى عَلَى أَحَدٍ وَلَا تَكْشِفُ بِالْحُبِّ النَّزِيهَ مُؤَمَّلًا
سِوَى ذَلِكَ الْغَرِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْكُلِّ

وَمِنْ نَكْدِ الْمَخْدُوعِ أَنَّ زَمَانَهُ يُسَخَّرُ لِلْخَلِّ الْمُدَاجِي أَمَانَهُ (١)
فَإِذِ يَرْعَوِي الْمَغْرَى وَيَلْوِي عِنَانَهُ يَكُونُ الْمُدَاجِي قَدْ أَذَاهُ وَخَانَهُ
وَأَدْرَكَ مَا يَسْعَى إِلَيْهِ مِنَ السُّؤْلِ

أَصَمَّ الْهُوَى «لَيْلَى» وَأَعْمَى ذَكَاءَهَا وَرَدَّ عَلَيْهَا كَيْدَهَا وَدَهَاءَهَا
فَمِنْ نَفْسِهَا نَالَتْ وَشِيكًا جَزَاءَهَا وَمُسْتَقِي الْوَرَى مِنْهَا أَسَمَّ شَقَاءَهَا
بِأَنَّ أُخِذَتْ فِي فَنِّهَا بِيَدَيْ وَغَلِّ (٢)

وَلَيْلَةَ أَنْسٍ زَارَهَا مِنْ صِحَابِهَا فَرِيقٌ بَغَوْا أَنْ يَكْشِفُوا سِرَّ مَا نَبَّهَا
فَدَارَ حَدِيثٌ بَيْنَهُمْ فِي عِتَابِهَا لِإِعْرَاضِهَا عَنْ صَحْبِهَا وَانْقِلَابِهَا
إِلَى أَجْدَرِ الْعُشَاقِ بِالصَّدِّ وَالرَّذْلِ

فَخَالَتَهُمْ يَهْجُونَهُ لِمَارِبِ وَبُيْتَهُمْ مَحْضُ النَّصْحِ فِي فَمِّ ثَالِبِ
فَبَيْنَا تُجَافِي دُونَهُ كُلَّ عَاتِبِ أَيْ يَتَهَادَى بَيْنَ جَيْشِ مَعَايِبِ
تَهَادَى قِيلَ حَفَّ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ (٣)

(١) المداجي : المرأى (٢) وغل : سافل (٣) قيل : أمير

فَقَارَقَتِ الْخَضَارَ طُرًا وَأُقْبَلَتْ عَلَيْهِ وَفِي أَحْسَانِهَا غِلَّةٌ غَلَّتْ
وَفِي وَجْنَتَيْهَا حُمْرَةٌ كَاللَّظَى عَلَتْ فَحَيْتَهُ بِالْبِشْرِ الطَّلِيْقِ وَأَغْفَلَتْ
سِوَاهُ مِنَ الْجَلَّاسِ كَالسَّلْعَةِ النُّفْلِ

« أَهَذَا الَّذِي فِيهِ اللَّامُ يَرِيْبُهَا وَفِي حُبِّهِ سَعْدُ الْحَيَاةِ وَطِيْبُهَا ؟
مُمْ بُقْضَاءَ وَالْحَبِيْبُ حَبِيْبُهَا وَمُمْ بُلْهَاءَ لَا « جَمِيْلٌ » خَطِيْبُهَا
وَمَا « الْجَمِيْلُ » بَيْنَهُمْ مِنْ فِتْيِ كِفْلٍ »^(١)

وَكَانَ مِنَ الْجَلَّاسِ أَشِيْبٌ مُعْرَمٌ تَصَبَّبَتْهُ عِشْقًا وَهُوَ قَدْ كَادَ يَهْرَمُ
فَقَالَ : إِلَى كَمْ نَحْنُ نُعْطَى وَنُنْعَمُ ؟ لِيَحْظَى بِهَا قَوْمٌ سِوَانَا وَيَنْعَمُوا
وَشَرُّ جُنُونِ سَوْرَةِ الْعِسْقِ فِي الْكَهْلِ ؟

دَعَاهَا فَبَجَاءَتْهُ تُجِيْبٌ تَلْمِظًا فَأَنْحَى عَلَيْهَا بِاللَّامِ وَأَغْلَظًا^(٢)
إِلَى أَنْ جَرَتْ مِنْهَا الشُّوْرُنُ تَعِيْظًا فَتَارَ « جَمِيْلٌ » يَقْدِفُ السَّمَّ وَاللَّظَى
عَلَيْهِ بِمِدْرَارٍ مِنَ السَّبِّ مُنْهَلٌّ

وَبَارَزَهُ حَتَّى التُّرَابُ تَخَضَّبَا فَقَارَ عَلَى الشَّيْخِ الْفَتَى مُتَغَلِّبًا
وَأَشْبَعَهُ ذُلًّا لِيَكُنْ يَتَأَدَّبَا وَعَلَّمَهُ أَيْنَ التَّصَابِي مِنَ الصَّبِي
وَأَقْنَعَهُ بِاللَّكْمِ وَاللَّطْمِ وَالرَّكْلِ

(١) كفل : كفؤ (٢) تلمظا : بإشارة منكورة في الشفتين

فَلَمَّا رَأَتْ بِكَ الْجَمِيَّةَ سُرَّتِ وَفُرِّجَ عَنْهَا غَيْمٌ خِطْدٍ وَحَسْرَةٍ
بَلْ انْكَشَفَتْ غَمَاؤُهَا عَنْ مَسْرَةٍ وَنَادَتْ «جَمِيلاً»: يَا مَلَاذِي وَنُضْرَتِي
تُفَدِّيكَ نَفْسِي مِنْ شُجَاعٍ وَمِنْ خِلٍّ

وَأَلْقَتْ عِيَاءَ رَأْسِهَا فَوْقَ صَدْرِهِ فَرَأَى سَوَادَ الشَّعْرِ أَبْيَضَ نَحْرِهِ
مِثْلَ لَانٍ قَامَا لِلشَّبَابِ وَنَضْرِهِ وَلِلْحُسْنِ تَجَلُّو شَمْسُهُ وَجْهَ بَدْرِهِ
وَالْحُبِّ مَرْفُوعِ اللَّوَاءِ عَلَى الْعَدْلِ

قَالَوِي عَلَيْهَا عَاكِفًا مُتَدَانِيًا يُخَاصِرُ أُمْلُودًا مِنَ الْقَدِّ وَاهِيًا
وَيَرشِفُ مِنْ أَجْفَانِهَا الدَّمْعَ جَارِيًا عَلَى وَرْدٍ خَدِّ يُنْجِلُ الْوَرْدَ زَاهِيًا
مُحَلِّي يَا كَلِيلِ مِنْ الدَّرِّ مُخْضَلِّ

كَأَنَّ «جَمِيلاً» بَارِشَافِ شُؤُونِهَا سَقَى وَرْدَةً مَحْرُورَةً مِنْ عُيُونِهَا
كَأَنَّ النَّدَى الْمَنشُورَ فَوْقَ جَبِينِهَا مَدَامِعُ فَجْرٍ أُفْرِغَتْ فِي هَتُونِهَا
عَلَى رَوْضَةٍ شَبِهَ الْهِلَالَ مِنْ الْقُلِّ

وَأَوْحَى إِلَيْهِ الْمَكْرُ أَنْ يَتَعَجَّلَا لِيُذْرِكَ مِنْ «لَيْسَى» الْمَرَامَ الْمُؤَمَّلَا
فَإِنْ أَمَهَلَتْ حَتَّى تَفِيقَ وَتَعْمَلَا يَظَلُّ بِأَيْدِيهَا مَقُودًا مُذَلَّلَا
قِيَادَ بَعِيرٍ جَرَّهُ الطِّفْلُ بِالْحَبْلِ

فَرَأَتْ فِي جُنْحِ اللَّيْلِ أَهْمِي كَهَمِّي عَلَى صَدْرِ الْوَجُودِ مُخْمِي

إِلَى رَبِّضٍ قَفَرِ الْمَسَالِكِ مُظْلِمِ مَعْدٍ لِيُوتَى فِيهِ كُلُّ مُحَرَّمِ
بِمَا نَمَّ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ شَجَرِ جَنَلِ

فَطَارَتْ بِهِ نَفْسُ الْفَتَاةِ تَرَوُّعًا فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا مُتَضَرِّعًا
فَنَفَّتْ ، فَمَنَّاهَا ، فَزَادَتْ تَمَنُّعًا فَأَقْسَمَ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا إِذَا مَعَا
طَعِينِي حَدِيدِ بَيْنَ كَفَيْهِ مُسْتَلِّ

وَبَالِغٍ فِي إِغْرَائِهَا مُقْسِمًا لَهَا بِأَنَّ فَتَاهَا مِنْ غَدٍ صَارَ بَعْلَهَا
وَيَرْفَعُهَا شَانًا وَيَكْفُلُ أَهْلَهَا وَيَجْعَلُ فِي أُمَّتِي الصُّرُوحَ مَحَلَّهَا
وَيُنْقِذُهَا مِنْ عَيْشَةِ الْأَسْرِ وَالْغَلِّ

وَكَانَ الدُّجَى قَدْ رَقَّ حَتَّى تَصَدَّعَا وَهَبَ بِشِيرِ الصُّبْحِ يَرْتَادُ مَطْلَعَا
فَمَا زَالَ يَجْلُو خَافِيًا وَمُقْنَعَا إِلَى أَنْ نَضَا أذُنِي السُّتُورِ وَقَدْ وَعَى
دَمًا طَاهِرًا أَجْرَاهُ إِيْمُ فَتَى نَذَلِ

دَمٌ كَانَ سِرًّا فِي الْبَتُولِ مُقَدَّسًا فَلَمَّا أَرَاقَتْهُ ابْتِدَاءً تَدَنَسَا
أَفِي لِحْظَةٍ تَعْدُو الْمَصُونَةَ مُومِسَا ؟ وَتُضْحِي عُرُوسُ الْبَغْيِ إِكْلِيلَهَا الْأَسَى
وَمَرَقْدُهَا بَعْضُ الْحِجَارَةِ وَالرَّمْلِ ؟

فَمَا الْكَوْكَبُ الدَّرِيُّ زَلَّ وَأَعْتَمَا وَلَا الْمَلِكُ الْهَآوِي طَرِيدًا مِنَ السَّمَآ
بِأَعْجَلٍ مِنْ « لَيْلَى » سُقُوطًا وَأَعْظَمَا فَلَوْ رَضِيَتْ بِالْمَوْتِ بَعْلًا وَإِنَّمَا
أَتَرْضَى بِهِ بَعْلًا سِوَى امْرَأَةِ أَهْلِ ؟

مَضَتْ سَنَةٌ تَصْنُفُ اللَّيَالِيَّ وَتَعْدُبُ مِرَاراً « وَلَيْلِي » دَائِماً تَتَعَدَّبُ
صَبُورٌ عَلَى بَجْرِ النَّصَا تَتَقَلَّبُ جَفَاءَهَا الْأُولَى قَدِمْتَا إِلَيْهَا تَقَرَّبُوا
وَمَا لَقِيتَ مِنْهُمْ سِوَى الصَّدِّ وَالخُذْلِ

وَكَانَ « جَمِيلٌ » كَالنِّسَاءِ لَهُ حِلْيٌ وَيُكْسَى جَلَابِيبَ الْحَرِيرِ تَبَدُّلاً
تُسَلِّفُهُ « لَيْلِي » جَنَى خَزِيئِهَا وَلَا تَضُنُّ عَلَيْهِ خَوْفَ أَنْ يَتَحَوَّلَا
وَيُنْفِلَتَ مِنْهَا وَهِيَ فِي أَشْهُرِ الْحَمْلِ

فَيَأْخُذُ مَالَ السُّخْتِ وَالْعَيْبِ رُشُوءَةً وَيَسْخُوكَا لَوْ كَانَ يَمْلِكُ ثَرْوَةً
يُشَارِكُ فِيهِ وَالِدَيْهَا وَإِخْوَةً تَعُولُهُمْ أَكْلًا وَمَأْوَى وَكِسْوَةً
وَيُحْرَمُ « لَيْلِي » طَيِّبَ النَّوْمِ وَالْأَكْلِ

وَكَمَ سَافِلٍ مِنْ مِثْلِهِ رَقِيَ الذُّرَى وَتَاهَ عَلَى الْقَوْمِ الْكِرَامِ تَكْبَرًا
بِمُرْتَزَقٍ يَأْتِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَى كَانَ لَهُ كَنْزٌ خَفِيًّا عَنِ الْوَرَى
هَدَاهُ إِلَيْهِ سَاحِرٌ ضَارِبُ الرَّمْلِ

أَقَامَ زَمَانًا غَيْرَ وَافٍ بِوَعْدِهِ وَ« لَيْلِي » ثَبُوتٌ فِي صِيَانَةِ عَهْدِهِ
وَتَهْوَاهُ حَتَّى فِي إِسَاءَةِ قَصْدِهِ وَتَحْمِلُ مِنْهُ اللَّطْلَ خَشِيَةً بَعْدِهِ
وَتَقْبَلُ مِنْهُ مَا يُمِرُّ وَمَا يُجْلِي

مَصَائِبُهَا بَرَّأْنَهَا مِنْ خَطَائِهَا وَحَرَّرَتْهَا مِنْ خُبَيْهَا وَرِيَانِهَا

عَمَّا رَبُّهَا عَنَّا لِيَصِدِّقَ وَلَائِهَا وَأَخْلَصَهَا حَرَقًا بِنَارِ شَقَائِهَا
وَطَهَّرَهَا غَسَلًا بِمَدْمَعِهَا الْجَزَلِ

فَلَمَّا قَضَتْ مِنْ عِدَّةِ الْحَمْلِ أَشْهُرًا شَكَتُ أَلَمًا يَسْتَنْفِدُ الصَّبْرَ مُنْكَرًا
وَكَانَتْ عَلَى الْمَأْلُوفِ تَشْرَبُ مُسْكِرًا وَتَتَعَبُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ مُسْفِرًا
فَتَمْضِي بِجِسْمِ خَائِرِ الْعِزْمِ مُعْتَلِّ

قَالَتْ لِمَنْ تَهْوَى : أَرَانِي ضَنْبِيَّةً فَإِنْ تَفِينِي مَالِي يَكُنْ لِي وَسِيلَةً
لِأَسْنِي ، وَإِلَّا مَتُّ حُبْلِي عَلِيلَةً فَهَرَّحَهَا بِالْوَعْدِ إِفْكًَا وَحِيلَةً
وَفَرَّ فِرَارَ اللَّصِّ مِنْ حَوْزَةِ الْعَدْلِ

وَطَالَ عَلَيْهَا يَوْمُهَا فِي التَّوَجُّعِ وَمَرَّ زَمَانٌ بَعْدَهُ فِي التَّوَجُّعِ
تَبَيْتُ عَلَى مَهْدِ الْأَسَى وَالتَّفَجُّعِ وَتُصْبِحُ فِي يَأْسِ أَلِيمٍ مُصَدِّعِ
وَلَيْسَ لَهَا مُشْكٍ وَلَيْسَ لَهَا مُسْلِي

أَيُّهَا عِرْضَ الْبِكْرِ وَهُوَ مُخَاتِلُ وَسَرِقُ مَا تَجْنِيهِ زَلَاءُ حَامِلُ؟
وَيُرْدِي ابْنَهُ الْمَسْكِينَ وَالْعَدْلُ غَافِلُ فَوَا خَجَلْنَا : زَانٍ وَلِصٍّ وَقَاتِلُ
وَيُكْرَمُ بَيْنَ النَّاسِ إِكْرَامَ ذِي نُبُلٍ؟

وَلَيْلٍ أَشَدُّ الدَّاءِ أَيْسَرُ خَطْبِهِ بَطِيءُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فُرْجَةً كَرِيهٍ

تَجَنَّى عَلَى « لَيْلَى » بِأَنْوَاعِ حَزْبِهِ وَمَدَّ لَهَا شَوْكًا بِأَنْوَارِ شُهْبِهِ
وَأَلْحَقَ مِنْ آمَالِهَا الْعُلُوَّ بِالسُّفْلِ

أَضَاعَتْ بِهِ مِمَّا تَقَاسِيهِ رُشْدَهَا وَعَانَتْ مِنَ الْأَوْصَابِ فِيهِ أَشَدَّهَا
يُغَالِبُ أَنَا وَجَدُّهَا فِيهِ حِقْدَهَا وَيَغْلِبُ أَنَا حِقْدُهَا فِيهِ وَجَدُّهَا
وَتَضْرُخُ مِنْ فَرْطِ التَّأَلُّمِ وَالْإِزْلِ (١)

« أَيَا رَبِّ إِنِّي حَامِلٌ ثُمَّ مُرْضِعٌ وَمَالِي مِنَ الْقَوْتِ الضَّرُورِيِّ مَشْبَعٌ
أَبِي مُوسَى ذَمًّا وَأُمِّي تَقَرُّعٌ وَأَشْعُرُ أَنَّ ابْنِي بِجَوْفِي مُوجَعٌ
فَهَلْ هُوَ جَانٍ أَمْ يُعَذَّبُ مِنْ أَجْلِي؟

لَقَدْ بَغْتُ كُلَّ الْمُقْتَنَى وَرَهْنَتُهُ وَأَنْفَقْتُ حَتَّى خَافِمَا مِنْهُ صُنْتُهُ
هُوَ الْعَهْدُ مِنْ ذَلِكَ الْخُلُوفِ أَوْ مِمْنَتُهُ صَنَنْتُ بِهِ مِنْ حَيْثُ كُنْتُ ظَنَنْتُهُ
لِعَوْدَتِهِ فَأَلَا فَرَّالَ بِهِ قَالِي

إِلَهِي قَدْ يَجْنِي مَلَكَ تَحْشُرًا وَيُخْطِي عَانٍ إِنْ خَطَا فَتَعَسَّرًا
وَيَأْتِي وَلِيدٌ إِنْ تَبَسَّمَ مُنْكَرًا وَلَكِنْ جَنِينٌ لَا يَفُوهُ وَلَا يَرَى
أَفِي الْعَدْلِ أَنْ يُجْزَى بَرِيئًا بِذَنْبِ لِي؟

لَتَهْنِكَ يَا بِنْتَ النَّعِيمِ سَعَادَةٌ كَمَا شِئْتَهَا تَأْتِي وَفِيهَا زِيَادَةٌ

(١) الإزلة: العتة

وَتَهْنِئِكَ مِنْ بَعْلِ كَرِيمٍ عِبَادَةٌ وَتَهْنِئِكَ حَمْلٌ طَاهِرٌ وَوِلَادَةٌ
وَوَطْفَلٌ رَبِيبٌ الْمَجْدِ وَالسَّعْدِ وَالذَّلِّ

تَجِفُّ دِمَائِي مَا تَفَكَّرْتُ أَنِّي عَلَى وَشِكِّ وَضِعٍ وَالشَّقَاءِ يَمُحُّنِي
فَلَا يَدَّ ذِي وُدٍّ وَلَا وَجْهَ مُحْسِنٍ أُمُّ بَرِّزِقٍ يُسْتَفَادُ فَأَنْتَنِي
وَقَدْ نَاءَ بِي عَنْ قَصْدِهِ ثَقَلُ الْحَمْلِ

أَلَا لِمَ هَذَا الطُّغْلُ يَحْيَا وَلَا أَبَا لَهُ ؟ أَلَيْشَقِي شِقْوَتِي وَيُعَذِّبَا ؟
كَفَى قَلْبَ أَخِي الْوَالِدَاتِ تَحْوِبًا أَيَاتِي فَرِيًّا ذَلِكَ الْقَلْبُ إِنْ أَبِي (١)
حَيَاةَ الْأَسَى وَالْجُوعِ لِلْوَلَدِ النَّغْلِ ؟

أَتُنْفِيكَ مِنْ مَهْدٍ بَقِيَّةً أَضْلَعِي ؟ وَيُنْفِيكَ مِنْ شَدْوٍ نَوَاحٍ تَفْجُئِي ؟
وَهَلْ تَتَغَدَّى مِنْ فُوَادٍ مُقَطَّعٍ ؟ وَتَشْرَبُ مَاءً مِنْ سَوَاكِبِ أَدْمِي ؟
وَهَلْ تَتَرَدَّى الْعَارَ لِلسَّيْرِ يَا تَجْلِي ؟

فَيَا وَلَدِي الْمَسْكِينِ فِلْدَةٌ مُهْجَتِي وَيَا نِعْمَةَ عُرْقِبْتُ فِيهَا بِنِقْمَةٍ
وَمَنْ كُنْتُ أَرْجُوهُ لِسَعْدِي وَبِهْجَتِي وَكَانَ يَنْجِيهِ ضَمِيرِي بِمُنِيَّتِي
وَأَمَلُ أَنْ يَحْيَا وَيَرْجِعَ لِي بَعْلِي

تَمُوتُ وَلَمَّا تَسْتَهْلُ مُبَشِّرًا تَمُوتُ وَلَمْ أَنْظُرْ مُحْيَاكَ مُسْفِرًا

(١) تحوياً : حتواً

تَفَارِقُ قَبْرًا فِيهِ عُدَّتْ أَشْهُرًا إِلَى جَدَثٍ مِنْهُ أَبْرٌ وَأَطْهَرًا
وَمَحْيَا صِغَارُ الطَّيْرِ دُونَكَ وَالنَّخْلِ

تَمُوتُ وَمَا سَلْتِ حَتَّى تُودَعَا وَأُمُّكَ تَسْقِيكَ السُّومَ لِتُضْرَعَا
وَتَنْفِيكَ مِنْ جَوْفٍ بِهِ كُنْتَ مُودَعَا لِتَخْلُصَ مِنْ عَيْشٍ ثَقِيلٍ بِمَا وَعَى
مِنَ الْحُزْنِ وَالْآلَامِ وَالْفَقْرِ وَالذُّلِّ

فَإِنْ تَلَقَّ وَجْهَ اللَّهِ فِي عَالَمِ السَّنَى قَلْبُ رَبِّي اغْفِرْ ذَنْبَ أُمِّي مُحْسِنًا
فَمَا اقْتَرَفْتُ شَيْئًا وَلَكِنْ أَبِي جَنَى عَلَيْنَا فَعَاقِبُهُ بِتَعْدِيهِ لَنَا
وَأَمْطِرُهُ نَارًا تَبْتَلِيهِ وَلَا تُبْلِي

كَفَرْتُ بِحُجِّي فِي اشْتِدَادِ تَغْضِي فَفَفِّوْكَ يَا ابْنِي مَا أَبُوكَ بِمُذْنِبِ
قَلْبُ: رَبُّ أُمِّي أَهْلَكَتَنِي لَا أَبِي وَأُمِّي زَنَتْ حَتَّى جَنَتْ مَا جَنَّتْ بِي
فَزِدْهَا شَقَاءً وَاجْزِهَا الْقَتْلَ بِالْقَتْلِ

رَأَتْ شُهْبُ الظُّلَمَاءِ مَشْهَدَ ظُلْمِهَا وَقَدْ أَسْقَطَتْ مِنْهَا الْجِنِينَ بِسْمِهَا
فَلَمْ تَنْسَاقْطْ مُغْضَبَاتٍ لِحَطْمِهَا وَأُشْرِبَ نَوْرُ الشَّمْسِ مِنْ دَمِ إِثْمِهَا
كَأَنَّ يَلْغُ الضَّارِي الدِّمَاءَ وَيَسْتَعْلِي

— ٤ —

عَلَى أَنْ « لَيْلَى » بَعْدَ عَامٍ تَصْرَمًا سَلَتْ وَسَلَا الْمَغْرِي لَهَا مَا تَقْدَمَا

وَعَاشَ « جَمِيلٌ » نَاعِمَ الْبَالِ مُكْرَمًا كَأَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَبِيحَا مُحْرَمًا
إِذَا التَّقْيَا بِاللَّحْظِ يَوْمًا تَبَسَّمَ لِذِكْرَى شَهِيدَيْنِ : الْبَكَارَةِ وَالطُّفْلِ

غرام طفلين

إهداء

الى حضرة الصديق الوجيه اسكندر خورى

أَنْتَ تَبْنِي السَّيْرَا شَاغِلًا عَمَّا تَرَى
مُوْتِرًا أَنْ تَعْلَمَ السَّجَارَى مِمَّا قَدْ جَرَى
رَاضِيًا مِنْ خَيْرَةٍ أَنْ لَا تَجُوزَ الْخَبْرَا
فَإِذَا مَا كَانَ لِي حُسْنُ حَظِّ قُدْرَا
طَبَّتْ نَفْسًا لِحَدِيثِ سُقْتُهُ مُعْتَذِرَا
عَاطِلٍ يَحْلَى مَتَى تُلْقَى عَلَيْهِ نَظْرَا

الفصحة

طِفْلَانِ كَالْأَخَوَيْنِ مُوْتَلِفَانِ شَبَابًا وَشَبَّ عَلَى الْهَوَى الْقَلْبَانِ
مُتَازَجَيْنِ كَأَنَّمَا نَفْسَاهُمَا نَفْسٌ لَهَا شَبَحَانِ مُنْفَصِلَانِ

يَتَشَاطَرَانِ الْعَيْشَ إِنْ يَحْسُنْ وَإِنْ
لَبِثَا عَلَى هَذَا الْوِصَالِ بُرَيْهَةً
كَانَتْ أَلِيْفَتُهُ وَكَانَ أَلِيْفَهَا
جَزَعًا لِهَذَا الْبَيْنِ حَتَّى كَانَ لَا
مَرَعَانَ مَا أُنْمَى الْجَوَى عَقْلِيهِمَا
فَتَرَسَلَا - لَا يُحْسِنَانِ كِتَابَةً -
وَتَشَاكِيَا : كُلٌّ إِلَى آلَامِهِ
وَاسْتَرَسَلَا : كُلٌّ إِلَى آمَالِهِ
يَحْسُنُ كَمَا تَتَشَاطَرُ الْعَيْنَانِ
ثُمَّ انْقَضَتْ وَتَفَارَقَ الْخِلَانِ
فَسَطَا النَّوَى وَتَشَتَّ الْإِلْفَانِ
يَلَهُو بِشَيْءٍ ذَانِكَ الْمُتَيَّانِ
وَتَعَلَّمَا التَّفْكِيرَ قَبْلَ أَوَانِ
بِالذِّكْرِ وَهُوَ رَسُؤُ كُلِّ جَنَانِ
شَكَوَى أَدْلًا عَلَى وَفَاءِ الْعَانِي
بِالْقُرْبِ بَعْدَ تَطَاوُحِ الْمِجْرَانِ

لَكِنَّهُ طَالَ الْبِعَادُ وَشَوْغِلَا
فَاسْتَوْدِعَا فِي مَعْلَمَيْنِ لِيَنْمُوا
وَلِيَنْسِيَا ذَاكَ الْقَدِيمَ مِنَ الْهَوَى
فَتَعَلَّمَا النُّطْقَ الصَّحِيحَ وَعُودَا
حَتَّى إِذَا رَسَمَا الْكَلَامَ جَرَى كَمَا
خُلُوَانِ مِنْ مَعْنَى وَفِي قَلْبِيهِمَا
جَمَعَا الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا فِي اسْمَيْنِ قَدْ
كَتَبَ الْعَتَى «سَلَمَى» وَخَطَّتْ «يُوسُفُ»
عَنْ مُؤَلِّمِ التَّذْكَارِ بِالْحَدَثَانِ
بِهِمَا عَلَى الْآدَابِ وَالْعِرْفَانِ
فِي عِشْرَةِ الْأُتْرَابِ وَالْأُقْرَانِ
خَطَّ الْحُرُوفِ كِلَاهُمَا فِي آنِ
اتَّفَقَا عَلَى قَلَمَيْهِمَا تَقْظَانِ
لَهُمَا أَحَبُّ مَنِي الْحَيَاةِ مَعَانِي
كُتِبَا بِلَا حُسْنٍ وَلَا إِتْقَانِ
وَإِلَيْكَ مَا عَنِيَا يَبْعُضُ بَيَانِ

قال القتي : « يا من تجلّي لي اسمها
 صَوْرَتُهُ وَكَانَ صُورَتَهَا بَدَتْ
 وَعَبَدْتُ أَحْرَفَهُ كَرَمِزٍ حَاجِبٍ
 لَكِن شَجَانِي الطَّرْسُ قَرَّ بِضَمِّهِ
 وَأَغَارَنِي قَلَمِي بِصِرِّهِ مُقَبَّلًا
 فَحَطَمْتُ شِقِيهَ تَوْحَمٍ أَنْ مَا
 سَلَى . . وَمَا أَخْلَى اسْمَهَا وَحُرُوفَهُ
 مُتَشَابِكَاتٍ يَرْتَضِعْنَ عَلَى الْمَدَى
 وَلَوْ أَنَّهُنَّ فَصِلْنَ بَيْنَ أَوَاسِفًا
 يَا ذِي الْحُرُوفِ أَنْتِ عَالِمَةٌ بِمَا
 لَوْ كُنْتُ مِنْكَ لَمَا فَتِنْتُ مُنَعَمًا
 وَلَمَا غَدَوْتُ عَلَى الْفِرَاقِ كَمَا أُرَى
 طَالَ النَّوَى يَا مُنِيَّتِي « سَلَى » فَهَلْ
 مَا زِلْتِ مِلَّءَ نَوَاطِرِي وَخَوَاطِرِي
 يَا لَيْتَنَا طِفْلَانِ لَمْ نَبْرَحْ كَمَا
 قَالُوا لِمِثْلِكَ فِي الْمَدَارِسِ سَلْوَةٌ
 بِي حُرْفَةٌ أَخْفَيْتَهَا عَنْهُمْ كَمَا
 « سَلَى » الْعُلُومُ جَمِيعُهَا فِي لَفْظَةٍ

فَرَسَمْتُهُ وَيَدَايَ تَرْتَجِفَانِ
 فِيهِ أَرَاهَا دُونَهُ وَتَرَانِي
 صَنَمًا رَأَاهُ عَابِدُ الْأَوْثَانِ
 وَمَشُوقُ صَدْرِي دَائِمُ الْخَلْفَانِ
 تِلْكَ الْحُرُوفَ بِمَلْثَمِ رَنَانِ
 عَاقَبْتُهُ : شَفَتَانِ آمَتَانِ
 مَوْصُولَةٌ كَقَلَائِدِ الْعُقَيَانِ
 مَاءَ الْحَيَاةِ مَعًا وَهَنْ هَوَانِي
 كَالَيْمِ يَنْفِطُمُ مَرْضِعِ الْوَلْدَانِ
 أَوْلِيَّتِيهِ مِنْ طَائِلِ الْإِحْسَانِ ؟
 أَبَدًا بِأَطْيَبِ مُلْتَقَى وَقِرَانِ
 رُوحًا تَهْمُ بِفِرْقَةِ الْجِنَانِ
 زَمَنُ التَّنَائِي آذِنُ بِيَدَايِ ؟
 لِكَا شَفَتَايَ مُوَحَّشَتَانِ
 كَمَا إِلَى مُتَأَخَّرِ الْأَزْمَانِ
 كَذَبُوا ، أَيْسَلُو كَارَهُ السُّلْوَانِ ؟
 يُخْفِي الرَّمَادُ ذَوَاكِي النَّيْرَانِ
 كَالْعِطْرِ قَطْرَتُهُ عَصِيرُ جِنَانِ

« سَلَى » الْحَيَاةَ وَمَا النَّعِيمُ مُخَلَّدًا يُشْرَى لَدَى إِقْبَالِهَا بِشَوَانِي
سَاجِدٌ فِي طَلْبِي فَأَسْتَدْنِي بِهِ زَمَنًا أُصِيرُ فِي يَدَيْ عِنَانِي
فَأَطِيرُ مِنْ شَفَنِي إِلَيْكَ تَشَوُّقًا وَأَبْلُ غَلَّةَ قَلْبِي الظَّمَانِ «

قَالَتْ وَقَدْ رَسَمْتَ عَلَى الطَّرْسِ اسْمَهُ : « يَا مَنْ وَقَفْتُ لِحُبِّهِ وَجَدَانِي
وَحَلَا هَوَانِي فِيهِ لِي وَصَبَابَتِي حَتَّى كَأَنِّي قَدْ هَوَيْتُ هَوَانِي
لِيَكُنْ فِدَى لَكَ يَا أَلِيفَ طِفُولَتِي أَنْ بَتُّ فِيكَ أَلِيفَةَ الْأَشْجَانِ
وَعَدَوْتُ أَسْتَجْلِي بِجَمَالِكَ غَائِبًا مِنْ أَحْرَفٍ تَمَقَّتْهَا بِنَانِي
تَمَقَّتْهَا وَكَأَنِّي صَوَّرْتُهَا عَنْ صُورَةٍ مَرْسُومَةٍ بِجِنَانِي
سَوَّدْتُهَا وَحَرُوفَهَا فِي مُهَجَّتِي نَارِيَّةً كَتَبْتَ بِأَحْمَرَ قَانِي
يَبْنِي الْأَقَارِبُ لِي هَنَاءَ آتِيًا بِالْعِلْمِ وَهُوَ لِي الشَّقَاءُ الثَّانِي
أَيْضَاعُ فِي غَيْرِ الْهَوَى عَهْدُ الصَّبِي وَالْعُمُرُ مِنْ بَعْدِ الشَّبِيبَةِ قَانِي ؟
الِنَسْتَزِيدَ يَقِينًا بِضَلَالِنَا وَبِجَهْلِنَا نَقِضِي أَحَبَّ زَمَانِ ؟
خَلُّوا سَبِيلَ الطَّيْرِ يَمْرُخُ هَانًا فِي جَوْهٍ وَرَرُودُ كُلِّ مَكَانِ
وَلِيَلْحَقَنَّ بِاللَّهِ وَلِيَسْعَدَا حِينًا قُبِيلَ الْعَهْدِ بِالْأُخْرَانِ «

هَذَا يَسِيرٌ مِنْ مَعَانٍ جَاوَزَتْ وَسُحَّ أَمْرِيءُ وَقَدِ احْتَوَاهَا اسْمَانِ
وَلَرُبَّمَا عَجَزَتْ بَلَاغَاتُ الْوَرَى عَمَّا يَخْطُ بِلَا هُدَى مَقْلَانِ

حلوى العيد

يَا لَيْلَةً فَاجَأَتْ سِرْبَ الْعِيدِ فِي تَجْمَعٍ يَصْنَعْنَ حَلْوَى الْعِيدِ
يُخْرِجْنَ مِنْ كَتْلِ الْعَجِينِ بَدَائِعًا أَمْثَالَ كُلِّ مُشَخَّصٍ مَشْهُودِ
وَيُجِدْنَهَا فَلَوِ الشِّفَاءُ تَعَفَّتْ عَنْ أَكْلِهَا لَضَمِنَتْهَا نُحْلُودِ
بِأَنَامِلٍ بَيْضٍ تَكَادُ تَنْظُهَا مَخْضُوبَةً بِدَمٍ مِنَ التَّوْرِيدِ
وَزُنُودِ عَاجٍ عَرَّقَتْ بِزُمُرِدِ آيَاتُ حُسْنٍ فِي سُكُولِ زُنُودِ

رُوِّعْنَ حِينَ قَدِمْتُ ثُمَّ أُنْسِنَ لِي وَرَضِينَ بِي فِي الْمَخْفَلِ الْمَعْقُودِ
فَتَوَيْتُ بَيْنَ مَنَاطِقٍ وَقَرَّاطِقِ وَمَبَاسِمٍ وَمَعَاصِمٍ وَنُهُودِ
مِنْ كُلِّ طَلْوِيَةِ الْحَشَى تَمَشُوقَةٍ رَبَّآ ائْخُدُودِ كَحَبَّةِ الْعُنُقُودِ
سَلَابَةٍ خَلَابَةٍ غَلَابَةٍ بِاللَّفْظِ أَوْ بِاللَّحْظِ أَوْ بِالْجِيدِ

لَوْلَا هَوَى يُضَيِّبِي الْحَلِيمَ لَمَا تَوَى مَثْوَى الْإِنَاثِ أَخُو الرَّجَالِ الصَّيْدِ
شَأْنِي مُكَافَعَةُ الْخَطُوبِ إِذَا دَجَا نَقَعُ الْحَوَادِثِ فِي اللَّيَالِي الشُّودِ
شَأْنِي مُطَارَدَةُ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى وَتَدَارُكُ الْأَخْطَاءِ بِالتَّسْدِيدِ
شَأْنِي مُسَاهَرَةُ النُّجُومِ بِعِزَّتِي أَسْتَنْزِلُ الْإِلْهَامَ غَيْرَ بَعِيدِ
شَأْنِي التَّطَلُّعُ لِلْعَلَاءِ .. وَإِنَّمَا هَدَى السَّمَاءِ وَأَنْتِ شَمْسُ وَجُودِي

*

أَنْتِ الْحَقِيقَةُ فِي الْحَيَاةِ وَكَاذِبٌ غَيْرُ الْهَوَى لِلْمَائِتِ الْمَلْحُودِ
إِنْ أَسْمَعْتِنَا سَاعَةً مِنْهُ فَقَدْ أَرَبْتَ بِنِبْطِهَا عَلَى التَّخْلِيدِ
أَمَّا الْعِظَائِمُ وَالْعُلَى فَمَشَاغِلٌ خُلِقْتَ مِنَ التَّفَكِيرِ وَالنَّسْهِيدِ
لَا تَمَلُّ الْقَلْبَ الْخَلِيَّ وَدَأْبُهَا نَهَكَ الْقَوَى فِي شِقْوَةٍ وَسُعُودِ
أَدَوَاتُ هُوٍ نَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى سَيْرِ عَسِيرٍ فِي الْحَيَاةِ كَوُودِ
أَشْبَاهُ مَا يُعْطَى مِنَ الثَّمَرِ امْرُؤٌ فِي زَادِ تَرْحَالٍ عَلَيْهِ شَدِيدِ
وَلَعَلَّ غَايَةَ كُلِّ طَالِبٍ رِفْعَةٌ إِرْضَاهُ ذَاتِ سَلَاسِلٍ وَعُقُودِ
فَيَكُونُ عِيدُ الْعُمُرِ سَاعَةً مُلْتَقَى وَأَعَزُّ مَا نَرْجُوهُ حَلَوَى الْعِيدِ

قال في السابعة

الشهيرة ليلي

أَسْمَعْتِنَا مَا شَاقَ أَلْبَابَنَا وَعَلَّمَ الْأَحْيَاءَ مَعْنَى الْوُجُودِ
يَا طَائِرًا أَفَلْتَ مِنْ جَنَّةِ فَاسْمَعِ الْفَانِينَ شِدْوَ الْخُلُودِ

مؤاساة

أم بصاحب العطوفة الهمام الأمثل محمد شاكر باشا صهر البيت الخديوي
الكريم كلال خفيف في العينين من أثر البكاء الطويل على كريمة له اختارها
الله لداره في مقبل الصبي . فبعث اليه الناظم بهذه الأبيات تعزية وتسليه ودعاء له
بالشفاء ، وضمنها بعض ما في فؤاده من خالص الولاء وعظيم الاكرام لتلك
الرجل الجليل الذي شرفه بوده وأعلى منزلته بتقريبه منه

سَلِمْتَ مِنْ شَوَائِبِ التَّكْدِيرِ	أَعَيْنُ السَّيِّدِ الهُمَامِ الأَمِيرِ
مَا عَرَاهَا أَدَى وَلَكِنْ تَفَشَى	عَارِضٌ دُونَهَا جَلَاءُ النُّورِ
طَيْفٌ غَادٍ مِنَ السَّحَابِ مُوَلِّ	شَابَ فِي سَيْرِهِ صَفَاءَ غَدِيرِ
ظِلٌّ جِزْمٍ قَدْ مَرَّ فِي سَمْتِ نَجْمِ	فَحَمَى نُورَهُ أَوَانَ المُرُورِ
هَلْ عَلَى سَالِمِ النُّوَاطِرِ بَأْسٌ	مِنْ غِشَاءِ يَكُونُ فِي المَنْظُورِ ؟
حَفِظَ اللهُ مَقَلَّتَيْكَ وَأَقْصَى	عَنْهُمَا كُلَّ طَارِيءٍ مَحْدُورِ
وَلَمَّا أَغْضَتَا فَعَادَةُ صَفْحِ	فِيهَا عَنْ عَفَافِ نَفْسٍ وَخَيْرِ
وَلَمَّا غُضَّتَا فَذَلِكَ مِمَّا	غَضَّتَا عَنْ نَدَى يَدَيْكَ الكَثِيرِ
شَيْعَةٌ جَازَتْ السَّمَاحَةَ فَضْلاً	فَاسْتَمَّتْ عَلَى يَدِ المَقْدُورِ
بِضْمِيرٍ عَلَى البَلَاءِ نَقِي	وَفُؤَادِ عَلَى المَصَابِ شَكُورِ
كُلُّ خُلُقٍ مَا رَاضَهُ الدَّهْرُ يَوْمًا	بِكِبَارِ الصُّرُوفِ غَيْرُ كَبِيرِ
هَكَذَا البَأْسُ إِذَا لَيْسَ يَنْبِي	مِنْ فُؤَادِ الشُّجَاعِ لُظْفِ الشُّعُورِ

لَكَ بَيْنَ الْأَسَى وَبَيْنَ النَّاسِي
سَاعَةً يَغْلِبُ النَّاسِي فَتُلْفَى
وَأَوَانًا تَأْسَى عَلَى الذِّكْرِ حَتَّى
فَلَقَدْ أَلْتَقَيْكَ تُلْهَبُ شَوْقًا
فَإِذَا مِنْكَ فِي غُضُونِ الْحَيَا
وَإِذَا مِنْكَ رَسْمُ ذَاكَ الْمُقْدَى
يَتَرَاءَى مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ فِيهِ
وَأَرَى فِي الْعُيُونِ مِنْكَ لِحَاطًا
لَا حِقَاتٍ بِهِ حِرَاصًا عَلَيْهِ
وَأَرَى أَدْمَعًا تَسِيلُ حِرَارًا
كَيْيَاهِ الْعُيُونِ تَجْرِي بِذَوْبِ
يَسْتَوِي الْجَارِيَانِ بِالصَّفْوِ إِلَّا

حَسْبُ جَفْنِيكَ يَا «مُحَمَّدُ» جُودًا
أَفْتَبِكِي وَأَنْتَ أَوْسَعُ عِلْمًا
أَفْتَبِكِي وَإِنَّ نَجْمَكَ يُغْنِي
أَفْتَبِكِي وَمِنْ بَنِيكَ وَفِيرٌ
أَفْتَبِكِي وَمَنْ جَزَعْتَ عَلَيْهِ

تَعْبًا مِنْ هَذَا الْبُكَاءِ الْغَزِيرِ
بِسَاحِ الْمُعْطَى وَسَلْبِ الْقَدِيرِ؟
مِنْ كِرَامِ الْبَنِينَ عَنْ جُمْهُورِ؟
مَنْ بَنُو ذَلِكَ النَّوَالِ الْوَفِيرِ؟
نَاعِمٌ فِي الْجِنَانِ بَيْنَ الْحُورِ؟

خَلَّدَ لِلذِّكْرِ فِي فُوَادِكَ حَيًّا ثَابِتُ الرَّسْمِ فِي النَّهْيِ وَالضَّمِيرِ
نَائِلٌ مِنْ جَبِيلِ وُدِّكَ أَوْفَى بَرٌّ بَاقٍ بِرَاحِلِ مَبْرُورِ
مَا تُرَى هَذِهِ اللَّدَائِمُ تُغْنِي مِنْ قَضَاءِ مُحْتَمِّ التَّقْدِيرِ؟
لَكِنَّ اللَّهَ شَاءَ لِلْبِرِّ خِضْبًا فَسَقَاهُ مِنْ مَائِنِ الطَّهْرِ

فالزوج البرتقال

مدحت بها إحدى العقائل الخواتين من سيدات
مصر لاجادتها عمل هذا « الضرب من الحلوى »

صَفْرَاءُ مِنْ فَالْوَدَجِ الْبُرْتَقَالِ مَقْدُودَةٌ فِي الْكُوبِ قَدَّ الْهَلَالِ
تَرْتَجُّ فِي مَوْضِعِهَا عَنْ دَلَالِ

ذَلِكَ قَطْرٌ مِنْ نَدَى حُلِيًّا حَبَسَتْ فِيهِ مِنْ عَصِيٍّ الضِّيَّا
مَسْحَةً شَمْسٍ آذَنْتُ بِالزَّوَالِ

الطَّيْبُ مِنَ الْلَطْفِ مَا يُسْتَطَابُ وَالشَّكْلُ زَاهٍ كَالْتَقِيْقِ الْمَذَابِ
وَالطَّعْمُ حُلُوٌّ فِيهِ سِخْرٌ حَلَالِ

فِيَا يَدَا تَصْنَعُ هَذَا الْعَجَبُ سُلَاقَةٌ فِي عَنَبٍ فِي ضَرْبٍ (١)

سَلِمْتُ لِلذُّوقِ مَعَا وَالْكَمَالِ

قَالُوا لَنَا فِي جَنَّةٍ كَوْنٌ لَكِنِّهِمْ فِي وَعْدِهِمْ أَخْرُوا

فَقَدِّمِي فَالْوَدَجَ الْبُرْتُقَالَ

في استئناف حرب جائرة

بين أمة كبيرة وأمة صغيرة

مُقْتَرٍ مَنْ قَالَ إِنَّ الْقَوْمَ مَاتُوا حَدِيثِنَا عَنْهُمْ يَا مُعْجِزَاتُ
حَدِيثِنَا كَيْفَ أَوْدَى بِالْأُولَى مَلَكَوا الْآفَاقَ حَرَاثُ عَفَاةُ
كَيْفَ أَفْنَى كُلَّ ذِي دِرْعٍ وَذِي لِأُمَّةٍ مُدْرِعُو النَّفْعِ حُفَاةُ
نَفَرٌ ظَنُّوا ضِعَافًا فَإِذَا هُمُ لِلْقَرَمِ الْأَشَدِّينَ غُرَاةُ
فِيَّةٌ قَلَّتْ وَأَعْيَا دُونَهَا عَسْكَرٌ ضَاقَتْ بِهِ السِّتُ الْجِهَاتُ
هَاجَمُوهَا فَتَلَقْتَهُمْ كَمَا تَتَلَقَّى هَجْمَةَ الْبَحْرِ الصَّفَاةُ
إِنَّمَا الْأَضْعَفُ فِي الْحَوْمَةِ مَنْ ضَعُفَتْ آرَاؤُهُ وَالْفَتَكَاتُ

(١) ضرب : عمل

وَالْقَلِيلُ النَّزْرُ فِي الْأَزْمَةِ مَنْ
 قِيلَ هَذَا فِيهِمْ فِعْلُ التَّقَى
 صَدَقُوا: رَأْسُ التَّقَى التَّقِيُّ، فَإِنْ
 هَكَذَا الْقَوْمُ وَمَا تَقَوَّمُ
 فَإِذَا صَامَ التَّقَى مِنْهُمْ فَعَنْ
 وَإِذَا زَكَّى فَجَارِي دَمِهِ
 وَإِذَا صَلَّى فِي جَنُوتِهِ
 خَانَهُ الصَّبْرُ وَجَافَاهُ الثَّبَاتُ
 وَالصَّلَاحُ الْحَيُّ لِلْخَوْفِ تَمَاتُ
 كَانَ قَوْلًا فَهُوَ زُورٌ وَافْتِنَاتُ
 فَقَرَّ يَتَلَوْنَهَا أَوْ دَعَوَاتُ
 دَمِ أَسْرَاهُ وَإِنْ لَمْ تُعْفَ شَاةُ
 فِي سَبِيلِ الْوَطَنِ الْحُرِّ زَكَاةُ
 لِلْمُرَامَةِ سُجُودٌ وَصَلَاةُ

مَنْ دَعَا اللَّهَ عَلَى غَاصِبِهِ
 أَوْ حَمَى الْأَوْطَانَ وَالْعِرْضَ مَعًا
 أَيُّهَا السُّوقَةُ كُلُّ مِنْهُمْ
 أَيُّهَا الْجَهْلُ كُلُّ مِنْهُمْ
 يَا مِحْمَاةَ الْخَلْقِ الْحُرِّ وَقَدْ
 صَانِي دَارِهِمِ الْعِذْرَاءِ عَنْ
 شَيْدُوا تَارِيحَكُمْ مِنْ نَقْضِ مَا
 تَابَرُوا فِي وَثْبِكُمْ وَلْتَهِنَا
 تَابِعُوا النَّصْرَ بِنَصْرِ وَلْتَكُنْ
 يَصْنَعُ الْجَبَّارَ مَنْ تَعَدَّمَهُ
 فَالِدُّعَاءُ السَّيْفُ وَالذِّكْرُ الْقِنَاءُ
 فَهُوَ الدِّينُ كَمَا تَرْضَى الْحَيَاةُ
 مَلِكٌ قَدْ تَوَجَّهَتْهُ الْهَيَوَاتُ
 قَائِدٌ تَوَثَّرُ عَنْهُ الْخُدَعَاتُ
 عَافَهُ النَّاسُ وَخَانَتْهُ الْحِمَاةُ
 وَاطْمَأَنَّ إِلَّا وَمَا فِيهَا مَوَاتُ
 شَادَهُ فِي أَزَلِ الدَّهْرِ الطُّغَاةُ
 فِي تَلَاشِينَا الْهِنَاتُ الْهَيِّنَاتُ
 خَجَلَةَ الْأَنْدَالَ هَدَى النَّصْرَاتُ
 مِنْكُمْ لِلضَّرْبِ وَالطُّغْنِ أَدَاةُ

وَفَتَانَا يَلْتَمُّ الْكَفَّ الَّتِي فِي جَبِينِ الْمَلِكِ مِنْهَا صَعَعَاتُ

مَنْ « لَمِينَا » أَنْ يَرَى فِي لَحْدِهِ
فَلَقَدْ أَرْنُو إِلَى « مِضْرَ » الَّتِي
فَأَرَى رُوحًا قَدِيمًا طَائِفًا
كَيْفَ تَحْيَا أُمَّةً هَالَتْهُمْ
كَيْفَ يَقْوَى مَعَشَرٌ عُدَّتْهُمْ
أَبْخَوْفِ الْفَوْلِ يُرْجَى عِنْدَهُمْ
أَمْ بِآدَابِ وَأَلْحَانِ يَهِي
فَارْفَعِ الصَّوْتِ وَأَيِّظْهُمْ قَدْ
مَا « لِمِضْرٍ » شِبْهَ قَبْرِ وَاسِعِ
كَيْفَ أَخْنَتُ بَيْنِيهِ الْمُوْبِقَاتُ
خَلَدَتْهَا الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
بَا كِيَا مَّا جَنَّتُ « مِضْرُ » الْفَتَاةُ
شُقَّةُ الْمَجْدِ فَذَلُّوا وَاسْتَمَاتُوا؟
هَزَلُهُمْ، وَالشَّرَفِيَّاتُ، النَّكَاتُ؟
خُلُقُ الْبَاسِ وَتُرْجَى الْعِظَمَاتُ؟
مَعَهَا الْعِزْمُ وَتَقْوَى الشَّهَوَاتُ؟
طَالَ عَهْدًا بِهِمْ هَذَا السُّبَاتُ
مُنْذُ فِرْعَوْنَ، وَمَنْ فِيهَا رُفَاتُ؟

غريم وغارم

أصبيت حسناء بورم في الجفن تدلى منه شيباً بالقلب فقال الناظم في ذلك :

رَمْتَنِي فَأَدَمْتُ بِالْحَاطِظِهَا وَمَا كُنْتُ بِالْبَادِيِ الْآثِمِ
وَهَذَا فُوَادِي عَلَى جَفْنِهَا غَرِيمٌ تَعَلَّقَ بِالْغَارِمِ

مغيب في البروغ

رثاء للمرحومة ماري كندرجي توفيت في الثانية عشرة من العمر في دار غربة

هَلْ كَانَ هَذَا الْبَيْنُ فِي الْفَجْرِ فَتَلَوْتِ كَوَكْبَهُ عَلَى الْإِثْرِ؟
أَمْ فِي الضُّحَى فَنَفَخْتِ آخِرَ مَا نَفَحْتَهُ ذَابِلَةً مِنَ الزَّهْرِ؟
أَمْ فِي الْهَجِيرَةِ فَانْحَلَّتِ كَمَا شَرِبَ الضَّرَامُ وَحِيدَةَ الْقَطْرِ؟
أَمْ فِي الزَّوَالِ فَمَغْرِبَانِ مَعًا لِلشَّمْسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي خِذْرِ؟
أَمْ فِي الظَّلَامِ فزَادَهُ حَلَاكًَا سِرًّا رَقِيتِ بِهِ إِلَى سِرِّ؟
أَمْ فِي تَجَلَّى الْبَدْرِ مُتَمَزِّجًا مِنْكَ انْسَجَى بِكَآبَةِ الْبَدْرِ؟

إِنِّي جَزَعْتُ عَلَى صِبَاكَ وَهَلْ جَزَعْتُ يُكَافِي فَادِحَ الْأَمْرِ؟
وَجَزَعْتُ أَنْكَ مَا انْتَهَيْتِ إِلَى وَطَرٍ وَلَا قَصْدٍ مِنَ الْعُمْرِ
وَجَزَعْتُ أَنْكَ قَدْ وُكِّتِ بِلَا ذَنْبٍ لِظَالِمَةٍ بِلَا عُذْرِ
فَقَضَيْتِ حِينًا فِي الْعَذَابِ وَلَمْ تَدْرِي عِلَامَ ، وَمِتَّ لَمْ تَدْرِي

لَمْ تُمَهِّلِي حَتَّى نَرَى أَثْرًا لَكَ مِنْ أَشْعَةِ بَاهِرِ الْفِكْرِ
لَمْ تُمَهِّلِي حَتَّى نَرَى عَمَلًا لَكَ مِنْ نِتَاجِ الْفَضْلِ وَالْبِرِّ
لَمْ تُمَهِّلِي حَتَّى نَرَى وَلَدًا لَكَ يُرْتَمِجِي لِلنَّفْعِ وَالضَّرِّ

فَلَايٌ مَعْنَى جِئْتِ مِنْ عَدَمٍ؟ وَلَايٌ مَعْنَى بَيْتٌ فِي الْقَبْرِ؟
 فَلَنْ ذَهَبَتْ وَمَا تَرَكَتِ لَنَا غَيْرَ الْأَسَى وَمَرَارَةِ الذِّكْرِ
 فَلْيُسَلِّ أُمَّكَ أَنْ رُوْحَكَ فِي دَارِ النَّعِيمِ وَجَنَّةِ الْبِشْرِ

أول الجمال

جمال النفس

نصيحة كتبها الناظم لحساء كانت تسيء القول في حسناء مثلها توفاهها الله

لَا تَغَارِي مِنْ حُسْنِهَا الْمَلْحُودِ وَشَبَابٍ فِي شَرِّهِ مَفْقُودِ
 وَارْحَمِيهَا كَرِّحْتِي وَاذْكَرِيهَا بَعْدَ هَذَا الْمَصَابِ ذِكْرٍ وَدُودِ
 وَاحْذَرِي أَنْ تَبُوحَ عَيْنَاكَ يَوْمًا لِلْمُرِيدِينَ عَنْ فُؤَادِ حَسُودِ
 فَمَنْ الْعَيْنِ أَنْ تَشِفَّ اللَّالِي وَهِيَ غَرَاهُ عَنْ نِكَاتِ سُودِ^(١)
 وَمِنْ النَّقْصِ فِي جَلَالَةِ نِدِّ أَنْ يَرَى نِدَّهُ بِعَيْنِ حَقُودِ^(٢)
 وَمُقَالَاةُ غَادَةٍ لِسِوَاهَا كَاعْتِرَافٍ مِنْهَا لَهَا بِمَزِيدِ^(٣)
 خَلَّتِ الْأَرْضَ كُلَّهَا لَكَ إِرْتَا فَأَمْلِكِي مَلِكَ سَيِّدِ لِسُودِ
 وَارْفَعِي فِي الْأَغْرَابِ رَايَةَ بَجْعِ بَيْنَ حُسْنِ بَاقٍ وَنَجْمِ سَعِيدِ

(١) نِكَاتٍ : نَقَطَ (٢) نِدٌّ : النَّدْحَمُ الْكَثُورُ لِحْصِهِ (٣) مُقَالَاةٌ : مِبَاغِضَةٌ

فَلَقَدْ شَتَّتَ الْحَبِيبِينَ عَنْهَا مَا انطوى من لوائها المنكودِ
أضبعت في يدِ البلى فدعيها بِسَلامٍ واستمتعي بالوجودِ
لكِ ملهى من الصبي والتصابي فأغنميه إلى مدى محدودِ

بكاء

على قييدة الصبي والكمال المرحومة هاري سبع

أبكي شبابك والجمالاً أبكي الحصافة والكمالاً
أبكي زماناً لم يطل حتى خبا نجم وزالاً
أعفا مثالك غير ما أبقيت لنا الذكرى مثالاً ؟
وعفا حديث كان في أسماعنا سحراً حللاً ؟
وعفا ذكاءً باهرٌ يجلو الظلام إذا تلالاً ؟
كالنور في بلوذة حسناء يشتعل اشتعالاً
أفناك إحراقاً وأطفأه فؤادك حين سالا

أبكي لطفتك التي حملتها الكرب الثقالاً
أبتمتها كرمها ولم تشفي الحشى منها وصالاً

أَوْدَعْتَهَا الصَّدْرَ الَّذِي رَبَّكَ مِنْ قَبْلِ وَعَالَا
وَلِفَيْرِ خَمْسٍ مَا رَأَيْتِ عَلَى مُحْيَاهَا الْهَلَالَا
يَا وَيْلَهَا تَبْكِي كَمَنْ تَأْسَى وَتَضْحَكُ كَالْجَذَالَى!
فَإِذَا بَكَتْ فَلَفِقْدَهَا رَفِقَ الْأَمِيمَةَ وَالذَّلَالَا
وَإِذَا تَسَّرُ قَدْ تَرَى لَكَ جَنْبَ مَضْجَعِهَا خِيَالَا

أُنْبِكِي لِأُمَّكَ وَهِيَ تُكَلِّي لَا تُقَاسُ إِلَى الثَّكَالَى
فَقَدَّتْ بِكَ الْأَمَالَ وَاسْتَبَقَتْ شُجُونًا وَاعْتِلَالَا
فَقَدَّتْ شَبَابًا ثَانِيًا بِكَ وَانْطَوَتْ حَالًا فَحَالَا

هَذِي الْعُرُوسُ فَوَسَّعُوا لِمُرُورِ مَوَكِبِهَا الْمَجَالَا
هَذِي أَرِيكَتُهَا يَطُوفُ فُ الْعَالَمُونَ بِهَا اخْتِفَالَا
هَذِي صَوَافِينُ عِزِّهَا تَمْشِي وَتَمْتَحِلُ اخْتِيَالَا
إِيهَا إِلَى أَيْنَ الْمَسِيرُ؟ وَمَا الَّذِي يُبْكِي الرَّجَالَ؟
أَلْيَوْمَ قَدْ صَارَتْ إِلَى النَّيْغَمَى وَقَدْ طَابَتْ مَالَا
صُوعُوا لِرَقْدَتِهَا مِنْ أَلْ أَزْهَارٍ مَهْدًا لَا يُغَالَى
وَدَعُوا الْمُحْيَا فِي الضِّيَاءِ وَلَا تُوَارِوهُ الرَّمَالَا
غَبْنُ عَلَى هَذِي الْعِيُورِ نِ تَعَاضُ بِالتُّرْبِ الْكِنْحَالَا

الطفل الطاهر

والحق الظاهر

تزوج فتى أديب عاقل في مصر زواجاً شرعياً على مذهب مسيحي غير المذهب الذي ولد عليه لأسباب لا محل لتفصيلها هنا . فشق ذلك على رئيس المذهب الذي انتقل منه ذلك الشاب وبحث عن وسيلة للانتقام . فوجد تقصاً في الصيغة التي تم عليها ذلك الزواج وشرع يقلق الحكومة ويستثير الجمهور لنقض ذلك العقد . فاستشفع الناظم لدى ذلك الرئيس بمراحم الدين الحقيقي الذي علمه المسيح وبكل ما يلين الجواد من المؤثرات الانسانية ، واستسمحه على الخصوص لجنين برىء يلحق به العار الخالد لو أبطل زواج والديه . فأبى العاتى وأصرَّ على عناده ثم نصر الله العدل ، وثبتت صحة العقد ، ورزق الفتى على أثر تلك المحنة غلاماً ذكراً آية في الجمال . فقال الناظم يهنئه ويشير إلى قصته

لَكَ يَا وَلِيدُ تَحِيَّةُ الْأَخْرَارِ كَتَحِيَّةِ الْجَنَّاتِ وَالْأَطْيَارِ

تُهْدَى إِلَى سَحْرِ مِنَ الْأَشْجَارِ

أَقْبَلْتَ ، وَجْهَكَ بِالطَّهَارَةِ أَبْلَجُ وَالْوَقْتُ طَلَقٌ ، وَالرَّبِيعُ مُدَبِّجُ

وَالشَّمْسُ سَاكِبَةٌ سِيُولَ بُضَارِ

آيَاتُ حُسْنٍ لَمْ يَكُنْ مَظَاهِرًا لِلسَّعْدِ فِيكَ وَلَا ضَرْبِنَ بِشَائِرًا

أَكِنَّهُنَّ عَرَضْنَ فِي التَّسْيَارِ

لَوْ كَانَ بَيْتُ إِمَارَةٍ لَكَ مَنِيْبَتَا : لِأَجَلَّتِ الدُّنْيَا وَلَادَكَ مِنْ فَتَى

وَسَرَى بِشِيرِ الْبَرْقِ فِي الْأَمْصَارِ

وَقَالَ رَاجِ أَنْ يُثَابَ بِمَا افْتَرَى : تِلْكَ الْعَلَامُ فِي السَّمَاءِ وَفِي الثَّرَى
 مِنْ شِدَّةِ الْإِعْظَامِ وَالْإِكْبَارِ
 لَكِنْ وُلِدْتَ كَمَا أُتِيحَ وَمَا دَرَى أَحَدُ الْأَنَامِ لِأَيِّ أَمْرٍ قُدْرًا
 أُعِدَّتْ مِنْذُ بَدَاءَةِ الْأَعْصَارِ
 سِرٌّ . . . وَكُلُّ ابْنِ لِأُنْتَى يُوَلَدُ سِرٌّ لِهَذَا النَّاسِ يَكْشِفُهُ الْفَدُّ
 عَمَّا تَكُنْ مَسِيئَةُ الْقَدَارِ
 عَنْ سَائِمِ بْنِ الرَّعِيَّةِ ضَانِحِ أَوْ كَوْكَبِ مَاجِي الْكَوَاكِبِ سَاطِعِ
 مُتَكَامِلِ فِي السَّيْرِ كَالْأَقْمَارِ
 مَا حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ فِيكَ ؟ أَتَنْجَلِي عَنْ آخِرِ فِي الْقَوْمِ أَمْ عَنْ أَوَّلِ ؟
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَمِّ مُقَدِّمِ مِغْوَارِ ؟
 فَلَمَّا سَمِعَتْ إِلَى مَقَامِ إِمَارَةٍ يَوْمًا ، « فَعَيْسَى » كَانَ طِفْلًا مَغَارَةَ
 وَرَضِيحَ رَائِمَةَ مِنَ الْأَبْقَارِ (١)
 وَأَحَقُّ مَا حَقَّ الْعَلَاءِ لِإِنَائِلِ مَا نِلْتَهُ مِنْ هِمَّةٍ وَفَضَائِلِ
 عَنْ كَابِرِينَ مِنَ الْأُصُولِ كِبَارِ
 مَا لِي وَمَا لِأَبِيكَ أُطْرُئُهُ ؟ فَمَا هِيَ شِيْمَتِي وَأَبُوكَ لَا يَعْنِيهِ مَا (٢)
 يَنْبِيهِ عَنْهُ يُخْبِرُوا الْأَخْبَارِ

(١) رَائِمَةٌ : ذَاتُ حَنُو (٢) أُطْرُئُهُ : أَمْدَحُهُ

وَهُوَ السَّعِيدُ بِأَنَّ أُمَّكَ أَهْلُهُ الْمُرْدِي عَجَبًا بِأَنَّكَ نَجْمُهُ (١)

وَكَفَاهُ مُلْكُ رِضَى وَتَاجِ فَخَارِ

فَسُرُورُ كُلِّ مَهْنَةٍ بِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِذَاتِكَ إِنْ تَعَزَّ وَإِنْ تَهَنُّ

يَا طِفْلُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَذْهَارِ

يَرْجُونَ أَنْ تَحْيَا وَإِنْ لَمْ تَنْبُغْ لَا يَبْتَغُونَ لَكَ الَّذِي قَدْ تَبْتَغِي

فِيمَا بَلِي مِنْ بَاذِخِ الْأَخْطَارِ

أُمْنِيَّةُ الْآبَاءِ لَا يَعْدُونَهَا وَهِيَ الَّتِي لِلطِّفْلِ يَسْتَهْدُونَهَا

مِنْ فَضْلِ خَالِقِهِ بِلَا اسْتِكْثَارِ

وَسِوَى الْحَيَاةِ مِنَ الْمَنَى يَدْعُونَهُ اللَّهُ يَقْضِي فِي الْوَلِيدِ شُرُوتَهُ

نَحْسًا وَإِسْعَادًا قَضَاءِ خِيَارِ

فَهُوَ الَّذِي يُعْلِي الْعَلِيَّ الْقَادِرَا وَهُوَ الَّذِي يَضَعُ الْوَضِيعَ الصَّاعِرَا

لُطْفًا لِمَا يَبْنِي مِنَ الْأَوْطَارِ

إِنْ شَاءَ جَاءَ الطِّفْلُ فِي مِيقَاتِهِ فَشَأَى بَنِي أَوْطَانِهِ وَلِدَاتِهِ (٢)

وَسَمَاهُمْ وَأَضَاءَ كَالسِّيَارِ

(١) أهله : قريته (٢) شأى : سبق . لئله : أقرانه في السن

أَوْشَاءَ خَالَفَ وَقْتَهُ فَذَكَرَ أَوْهُ كَلَطَى الْحَرِيقِ، شُبُوبُهُ وَضِيَاؤُهُ
لِلشَّوْءِ لَا لِقِرَى وَلَا لِنَارٍ^(١)

وَلَقَدْ شَفَى مِنَّا قَدُومَكَ حَسْرَةً وَأَقْرَأَ أَعْيُنَ وَالِدَيْكَ مَسْرَةً
إِنْ كَانَ فِي مُتَفَتِّحِ النُّوَارِ

حَيْثُ الرِّيَاضُ تَطَاهَرَتْ بِهَجَاتِهَا فَتَفَتَّتْ مَسْرُورَةً مُهَجَاتِهَا
عَنْ عُرِّ أَزْهَارٍ وَعُرِّ ثَمَارِ

فَجَبَّيْعُكُمْ مَهَلَّلٌ فِي كِهِّ مُتَنَاوِلِ الْبَانَةِ مِنْ أُمَّه
سُمَحَاءَ بَيْنَ مَرَاضِعِ وَصِفَارِ

أَلَامٌ تَعْدُو طِفْلَهَا مِنْ ضِرْعِهَا وَالْأَرْضُ تَعْدُو أُمَّه مِنْ زَرْعِهَا
وَالكَوْنُ عَيْلَةٌ رَازِقِ غَفَّارِ

فَعَلَامَ مِنْ دُونِ الْأَزَاهِرِ أُتِهَمَا أَبَوَاكَ يَا هَذَا الصَّبِيُّ؟ وَإِنْ هُمَا
إِلَّا كَهَذَا النَّبْتِ فِي الْأَزْهَارِ؟

أَيُّ الْقُسُوسِ أَتَى النَّبَاتَ فَرَوَّجَا بَعْضًا بِبَعْضٍ مِنْهُ كَيْمَا يُنْتِجَا
بِدُعَائِهِ نَسْلًا مِنَ الْأَخْيَارِ؟

(١) لا لقرى ولا لنار : لا لضيافة ولا لإنارة

هَلْ سَاجِعُ الْأَيْكَاتِ حِينَ يُفْرَدُ فِي ذَلِكَ الرَّيشِ الْمَلَوْنِ سَيْدُ

يَشْدُو لِيَجْعَلَهَا مِنَ الْأَبْرَارِ؟

وَهَلِ الرِّيحُ يَعْيبُهَا أَنْ تَحْمِلَا نَسَمَ الْهَوَى الدَّوْرِيَّ مِنْ ذَكَرٍ إِلَى

أَنْتَى تُلَقِّحُهَا مِنَ الْأَشْجَارِ؟

وَمَنْ الَّذِي يَرْمِي السَّوَابِحَ بِنَاحِنَا وَيَرَى مُنَاسَلَةَ السَّبَاعِ مِنَ الزَّنَا

وَمَوْلِدَاتِ الطَّيْرِ فِي الْأَوْكَارِ؟

هُنَّ اسْتَبَخْنَ إِنْثَهُنَّ يَلَا نُهَى وَالْمَرْءُ فَرَّقَ بِاخْتِيَارٍ بَيْنَهَا

لِيَكُونَ صَاحِبَ أُسْرَةٍ وَذَرَارِي

سَنَ الْعَفَافِ كَمَا ارْتَأَاهُ فَضِيلَةٌ وَدَعَا الْخِلَافَ نَقِيصَةً وَرَذِيلَةً

فِيهَا اقْتَضَاهُ خُلُقُ الْإِسْتِثْنَارِ

نَاطَ الزَّوْجَ بِصِيفَةٍ تَتَعَدَّدُ أَشْكَالَهَا عَدَدَ الطَّوَائِفِ ، يُقْصَدُ

حِفْظُ النَّظَامِ بِهَا وَصَوْنُ الدَّارِ

فَإِذَا اضْطَفَى مَا شَاءَ مِنْ أَعْرَاضِهَا وَجَرَى عَلَى الْمَرْعَى مِنْ أَعْرَاضِهَا

أَصْلًا ، فَأَيُّ مَعْرَةٍ وَخَسَارِ؟

قَالُوا أَيْ.. نُكْرًا! وَنُكْرُ قَوْلِهِمْ ، لَوْلَا تَبَجُّحُهُمْ وَلَوْلَا طَوْلُهُمْ

مَا خَيَّمَتْ رَبِّبٌ عَلَى أَطْهَارِ

دَفَعَ ادِّعَاءَهُمْ وَأَبْطَلَ زَعْمَهُمْ زَمَنٌ طَوَى تَحْتَ الْعِبَاوَةِ ظُلْمَهُمْ
وَأَمَّاطَ سِتْرَ الزُّهْدِ عَنِ ثُجَّارِ (١)

يَا طِفْلُ قَلْبُ طَرْفِكَ الْمُرْدِّدَا ، أَوْ مَا تَرَى شَبَحًا عَبُوسًا أَسْوَدَا
مُتَجَسِّسًا لَكَ مِنْ وِرَاءِ سِتَارِ؟

هَذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ قَبْلَ الْمَوْلِدِ وَجَنَى عَلَيْكَ جِنَايَةَ الْمُتَعَمِّدِ
وَمِنَ السَّمَاءِ دَعَاكَ صَوْبُ النَّارِ

زَعَمَ الْإِلَهَ يُرِيدُ مِثْلَكَ مُذْنِبًا مِنْ يَوْمِهِ ، وَمُعَاقِبًا وَمُعَذَّبًا
فِي النَّيْبِ قَبْلَ مَظْنَةِ الْإِسْفَارِ

تَاللَّهِ إِنْ تَنْظُرُهُ نَظْرَةَ مُغْضَبٍ تَرْمُقُهُ إِرْهَاقَ الشَّهَابِ لِغَيْبِ
فَيُولُّ عَنْكَ مُمَزَّقًا بِشَرَارِ

لَكِنْ أَرَاكَ تَبَشُّ بِشَّةٍ سَامِحٍ وَأَرَاكَ تَرْمُقُهُ بِعَيْنِ الصَّافِحِ
مَا لِلْهِلَالِ وَاللِّسَّحَابِ السَّارِي؟!

رُسِلَ الْمَسِيحَ الشَّارِبِينَ دِمَاءَهُ الْآكِلِينَ يَلَا تُقَى أَحْشَاءَهُ
الْمُولِمِينَ عَلَيْهِ كُلَّ نَهَارِ

(١) أماط : كشف

أَفَذَّبُكُمْ ذَاكَ الذَّبِيحَ لِمَدِينَةٍ؟ أَمْ تِلْكَ مَأْسَاةٌ تُعَادُ لِكُدَيْبَةٍ؟

أَمْ ذَاكَ مُضْطَبَّحٌ وَرَشْفٌ عُقَارٍ؟

مَا أَنْجَلَ الصَّلَاحَ مِنْكُمْ خَلَّةً مَا أَبْشَعَ الظُّلَامَ مِنْكُمْ فَعَلَّةً

إِذْ يَنْقِمُونَ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَارٍ

اللَّهُ أَوْحَى فِكْرَةَ هِيَ دِينُهُ فَمَنْ اهْتَدَى هِيَ نُورُهُ وَيَقِينُهُ

أَوْ ضَلَّ فَلْيُبْحِرْ بِغَيْرِ مَنَارٍ

تَزَلَّتْ عَلَى الْقَادِي الْأَمِينِ الشَّافِعِ كَلِمًا ثَلَاثًا تَحْتِ لَفْظِ جَامِعِ

قُدْسِيَّةِ النَّفَحَاتِ وَالْآثَارِ

أَلْحَبُّ فِي الْمَعْنَى الْعَمِيمِ الْكَامِلِ مَعْنَى الْمَرَّاحِمِ وَالْقِدَاءِ الشَّامِلِ

بِالْبِرِّ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَنْصَارِ

وَالْعَدْلُ يَقْضِي بِالْخِرَاجِ لِقَيْصَرًا وَالصَّفْحُ عَنْ كُلِّ يُسِيءٍ مِنَ الْوَرَى

هَذِي دِيَانَتُهُ بِلَا إِنْكَارِ

أَلْقَى مَبَادِيهَا وَكَلَّا خَوْلَا تَعْلِيمَهَا وَنَفَى الرِّئَاسَةَ وَالْعُلَى

مِنْهَا وَزَرَّهَا عَنِ الْأَسْرَارِ

وَأَرَادَكُمْ لِتَعْلَمُوا وَتُبَشِّرُوا وَأَرَادَكُمْ لِتَسَاحُوا وَلِتَغْفِرُوا

وَدَعَا الصِّغَارَ إِلَيْهِ بِاسْتِثْنَاءِ

فَنذَرْتُمْ لِلَّهِ بَطْنًا مُشْبَعًا وَيَدًا إِذَا مُدَّتْ فَكَيْفَا تَجْمَعَا
وَعَقِيرَةً «لِلشَّجْبِ» وَالْإِنذَارِ (١)

وَزَهَدْتُمْ فِي غَيْرِ مَا تَرْضَوْنَهُ وَرَعِبْتُمْ عَنْ كُلِّ مَا تَأْبَوْنَهُ
إِلَّا عَلَى قَدَرٍ مِنْ الْإِظْهَارِ

وَقَسَمْتُمْ دِينَ الْمَسِيحِ مَذَاهِبًا تَسْتَكْبِرُونَ مَرَاتِبًا وَمَنَاصِبًا
فَأُضِيعَ بَيْنَ تَشْتِ الْأَفْكَارِ

وَمَضَيْتُمْ فِي النِّيِّ حَتَّى نَلْتُمْ فِي بَعْضِ وَهْمِكُمُ الْجَنِينِ وَقَلْتُمْ:
هَذَا الْبَرِيُّ رَهِينَةٌ لِلْعَارِ

فَلَنْ يَكُنْ فِي الْخَلْقِ خَلْقٌ طَاهِرٌ فَالطُّفُلُ تَمَثَّلُ الْعَفَافِ الظَّاهِرِ
فِي عَالَمِ الْآثَامِ وَالْأَوْزَارِ

أَمَا كَفَى ذَاكَ الرَّهِينَةَ لِلرَّدَى مَا سَوْفَ يَلْقَاهُ مِنَ الدُّنْيَا غَدًا
حَتَّى يَدَّالَ وَيُبْتَلَى بِشَنَارِ؟

يَا مَنْ عَرَفْتُ وَكَانَ قَسًا صَالِحًا عَدْلًا كَمَا يَرْضَى الْمَسِيحُ مُسَاحِمًا
مُتَبَتَّلًا الْإِعْلَانِ وَالْإِشْرَارِ

(١) عقيرة : لساناً . الشجب : من مصطلحات الكنيسة بمعنى التعزير

مُتَجَرِّدًا عَنِ عِزِّهِ وَشَبَابِهِ وَهَنَاءِ عَيْشَتِهِ وَلَهُوَ صِحَابِهِ
مُتَنَعِّمًا بِالزُّهْدِ وَالْإِعْسَارِ

يَهْدِي الْأَنَامَ بِقَوْلِهِ وَيَفْعَلُهُ مُسْتَرْشِدًا فِي الرَّيْبِ حِكْمَةً عَقْلَهُ
لِيَرَى مُؤَدَّى النَّصِّ بِاسْتِبْصَارِ

مُتَجَنِّبَ التَّحْرِيمِ فِيهِ حَيْثُمَا تَنْبُو قُوَى الْإِدْرَاكِ عَنْهُ فَرُبَّمَا
أَفْضَى إِلَى التَّنْفِيرِ وَالْإِيغَارِ

مُتَوَفِّرًا لِلْخَيْرِ جُهْدَ نَشَاطِهِ يَفْنَى وَلَا يُفْنِي قُوَى اسْتِنْبَاطِهِ
لِبُلُوغِ قَدْرِ فَائِقِ الْأَقْدَارِ

مُتَرَدِّبًا مِسْحًا كَثِيفًا شَائِكًا مُخْشَوْنًا يَجِدُ اللَّذَاذَةَ فَارِكًا^(١)
وَيَرَى الْخِيَانَةَ طَبَعَةَ الدِّينَارِ

قَمٌ مِّنْ ضَرِيحِكَ بِالْبَلِيِّ مُتَلَفًّا وَآخِرِ الطُّغَاةِ الْمُفْسِدِينَ وَقُلْ كَفَى
سَرَفًا بِهَذَا الْبَغْيِ وَالْإِضْرَارِ^(٢)

لَا تَنْقُضُوا بَيْتًا لَدَى تَكْوِينِهِ وَحَذَارٍ مِّنْ يُتَمِّمِ الصَّغِيرِ بِدِينِهِ
وَحَذَارٍ مِّنْ يَأْسِ الْمَظِيمِ، حَذَارٍ^(٣)

(١) شائكا : يشوك لابسه (٢) سرفا : إسرافا (٣) المضميم : المظلوم

هَدَى لِلذَّاهِبِ كُلِّهَا دِينَ الْهَدَى كَأَشِعَّةِ الشَّمْسِ افْتَرَقْنَ إِلَى مَدَى
وَالْمُلْتَقَى فِي مَصْدَرِ الْأَنْوَارِ

يَا طِفْلُ إِنَّكَ لِلْفَضِيلَةِ مَعْبُدُ فَلَدَيْكَ أَرْكَعُ بِالضَّمِيرِ وَأَسْجُدُ
لِلصَّانِعِ التَّكْبِيرِ الْجَبَّارِ

أَجْتُو وَأَرْجُو ضَارِعًا مُتَخَشِعًا مِنْكَ ابْتِسَامًا أُجْتَلِيهِ لِيُقْشِعَا
عَنِّي مَكَائِدَ دَهْرِي الْقَدَّارِ

فَلَقَدْ صَفَحْتَ تَكْرُهَا وَتَطَوَّلَا عَمَّنْ أَبَوَا إِلَّا الْأَذَى لَكَ وَالْقَلَى (١)
حَتَّى أَرَابُوا فِي سَمَاحِ الْبَارِي

(١) العلى : البنفاء

رثاء

للمنفور له

الوزير الفارس الشاعر محمود باشا ساي البارودي

مُصَابِكُ حَيًّا عَرَا جَعْفَرَا وَخَطْبُكَ مَيْتًا عَرَا قَيْصَرَا
رُزْتِنَاكَ لَمْ يُغْنِ مِنْكَ الْبِيَا نٌ وَلَمْ يَنْصِمِ الْجَاهُ أَنْ تُقْبَرَا
وَهَدَى النَّهْيَةَ عُقْبَى النَّهْيِ وَذَاكَ الثَّرَاءُ لِهَذَا الثَّرَى
وَنَايَةَ مُجْدِكَ فِي الْعَالَمِينَ إِذَا عَرَفُوا الْفَضْلَ أَنْ تُشْكِرَا
وَأَخِرُ بِأَيْكَ أَنْ يُعْتَدَى عَلَيْكَ دَفِينًا وَأَنْ يُفْتَرَى (١)
أَيْهَتَكَ عَنْهَا قَيْصَرُ الرُّوْءِ تَحْتِ الْبِلَى مَنَعَ أَنْ تُسْتَرَا؟
وَتَتَوَى الرُّوْءُ فِي دَارِهِمْ وَتَرْضَى الرُّوْءُ أَنْ تُذَكَّرَا؟
كَذَا انْكَشَفَ الدَّهْرُ لِلنَّاسِ فِيكَ عَنْ قَاهِرٍ عَزَّ أَنْ يُقَهَّرَا
حَلِيمٍ تَرَاكَ يَا قِبَالَهُ ضَرْوبٍ دِرَاكَ مَتَى أُدْبَرَا
لِأَمْرِ صَفَا لَكَ حِينَ صَفَا وَكَدَّرَ وَرَدَكَ إِذْ كُدَّرَا
يَقُولُ بِأَحْدَانِهِ الْوَاعِظَا تِلْكَ لَمْ بِالزُّهْمِ: أَطْرُقُ كَرَى (٢)

(١) إشارة إلى أناس طعنوا عليه بعد وفاته
(٢) مثل ضربته العرب للخض من كبرياء المتكبر

حَبَاكَ زَمَانًا بِجَاهِ اللُّو
وَفَخْرِ الغُرَاةِ قُرُومِ السَّرَا
وَعَزْمِ يَكُونُ عَلَى أُمَّةٍ
فَكُنْتَ كَمَا تَبْتَغِي عِزَّةً
وَكُنْتَ مَعًا فَارِسًا شَاعِرًا
بِجَمِيعِ المَزَايَا فَمَا لِلبِيَا
نَظِيرُكَ مُبْتَكِرًا مُبَدِّعًا
نَظَمْتَ المَعَالِي نَظْمَ المَعَالِي
وَطَعْنُ السِّنَانِ كَنَفْتُ البِرَاعِ
وَضَمُّ الجِيُوشِ كَنَسَقِ القَرِيضِ
وَسَهْلُ القِتَالِ كِطْرَسٍ بِهِ
بِنَقْطِ الجَمَاجِمِ إِعْجَامُهُ
وَتَقْوِيْفُهُ بِنِعَالِ الجِيَا
فِيَا غَازِيَا ذَاكَ إِعْجَازُهُ
أَتَلَّكَ مِنَ الكَلِمِ الذَّاكِيَا
شَقَائِقُ آيَاتِكَ النَّادِيَا
أَمْ الصَّافِيَاتِ شَوَافِي الأَوَا
أَمْ الجَالِيَاتِ يُبَيِّنُ لَنَا
كِ وَبَطْشِ الأَسَاطِينِ مُسْتَوَزَرَا
يَا وَفِكْرِ الهُدَاةِ نُجُومِ السَّرَى
قَتَامًا وَفِي أُمَّةٍ نَيْرَا
وَكُنْتَ كَمَا تَرْتَضِي مَظْهَرَا
وَكُنْتَ مَعًا نَدْسًا قَسُورَا
نِ وَمَا لِلغِيَاثِ وَمَا لِلقَرَى؟!
شِهَابًا مَسِينًا نَدَى مُمِطْرَا
فَفَتَحَ الكَلَامِ كَفْتَحَ القَرَى
وَكَلُّهُمَا بِالنَّهَى حُبْرَا
وَتَقْسِيمِهِ أَشْطَرَا أَشْطَرَا
يُسْطَرُّ بِأُسْكَ مَا سَطْرَا
وَإِهْمَالُهُ جَوْبُهُ مُقْفِرَا
دِ وَتَدْبِيجُهُ بِدَمِ أَحْمَرَا
وَيَا نَاظِمًا ذَاكَ مَا صَوْرَا
تِ تَسِيلُ النُّفُوسُ بِهَا أَنهْرَا؟
تِ رَحِيْقًا مِنَ الأَنْسِ أَوْ كَوَثْرَا
مِ بِمَا تَحْتَهَا مِنْ زُلَالِ جَرَى؟
مِنْ الغَيْبِ كُلِّ ضَمِيرِ سَرَى؟

أَمِ لِلطُّرِبَاتِ يُسْتَفْنِنَا بِشِدْوِ الْمَزَارِ وَقَدْ بَكَرَا
 أَمِ الْمُرْسَلَاتِ هُدَى لِلْأَنَا مِ حَقَائِقُ مُودَعَةٌ جَوْهَرَا
 فَهَلْ كَانَ أَفْرَسَ مِنْكَ فَتَى ؟ وَهَلْ كَانَ مِنْكَ فَتَى أَشْعَرَا ؟
 كِلَا الْمَفْخَرَيْنِ يَرَاغَا وَسَيْفَا دَعَا تَاجَهُ لَكَ مُسْتَأْمِرَا
 فَتَاجُ عَصَاكَ وَتَاجُ عَلَا لَكَ وَكَانَ الْأَحَقُّ بِأَنْ يُؤْتِرَا

فَلَمَّا رَقِيتَ إِلَى الْمُنْتَهَى وَكِدْتَ تُجَاوِزُ مَا قُدِّرَا
 رَمَاكَ الزَّمَانُ بِأَحْدَانِهِ مُجِيئَةً فَانْبَرْتَ وَانْبَرَى
 أَبَانَ الْمُحِبِّينَ وَالْآلَ عَنْكَ وَأَقْصَى الْمَوَالِي وَالْعَسْكَرَا
 وَأَسْكَتَ أَفْرَاسَكَ الصَّاهِلَاتِ وَأَصْمَتَ صَمَّصَامَكَ الْأَبْتِرَا
 وَأَخْرَسَ مَنْ قَالَ : لِلَّهِ أَنْتَ ، وَأَبْكُمْ حَوْلَكَ مَنْ كَبَّرَا
 وَسَكَّنَ رَوْعَ الْفَلَا مُجْفَلَاتِ وَأَمَّنَ شَاغِحَهَا أَضْعَرَا
 وَنَفَسَ كَرْبَ الظُّبَا لِافْتَاتِ وَرَوَّحَ أَيْلَهَا أَضْوَرَا
 وَالْوَى عَلَيْكَ فَادَى وَأَصْلَى وَصَالَ وَطَالَ وَمَا أَقْصَرَا

رَمَى بِكَ فِي السَّجْنِ مِنْ حَالِقِ أَلَيْفَ الْجِنَاةِ طَرِيحَ الْعَرَا
 وَأُتْمِنَ جُرْحًا فَأَقْصَاكَ عَنْ تَرَى مِصْرَ مُجْتَنِبًا مُزْدَرَى
 وَزَادَكَ ضَيْمًا فَحَجَّبَ عَنْ عُيُونِكَ ضَوْءَ الضُّحَى مُسْفِرَا
 وَجَارَ النَّكَالَ فَارْدَى ابْنَتَيْكَ كَمَا يُذْبِحُ الذَّبِيحُ أَوْ أَنْكَرَا

وَلَكِنْ أَبِي لَكَ ذَاكَ الْإِبَاءَ ١ إِلَّا الثَّبَاتَ وَأَنْ تَصْبِرَا
 وَهَلْ فِي الْأَسَى غَيْرُ صَدْعِ الْحَشَى؟ وَتَدْمِيَةَ الْجَفْنِ مُسْتَعْبِرَا ؟
 وَتَهْوِينَ نَفْسٍ لَدَى خَضِيمِهَا بَلَا طَائِلٍ غَيْرَ أَنْ تَصْفُرَا ؟
 فَلَمْ تَنْتَقِصْكَ الرَّزَايَا وَلَكِنْ أَعَادَتْكَ مِحْنَتَهَا أَكْبَرَا
 وَرَدَّ بِيَاضُ الشَّيْبِ ثَنَا هَكَ أَجْلَى بَهَاءٍ وَقَدْ طَهَّرَا
 فَمَا كَانَ سِجْنُكَ إِلَّا قَرَارًا وَقَدْ تَعَبَ الْجِدُّ أَنْ يَسْهَرَا
 وَلَا النَّقْيُ إِلَّا خَلَاءُ أَعْدَتَ بِرِ زَمَنِ الْأَدَبِ الْأَزْهَرَا
 وَلَا الشُّكْلُ إِلَّا لِتَأْسَى أَسَا كَ وَتَبْكِي بُكَاءَ لُيُوثِ الشَّرَى
 وَلَا الْغَضُّ عَمَّا تَرَاهُ الْعِيُو نُ إِلَّا وَقَدْ سَاءَ أَنْ يُنْظَرَا
 إِذَا وَسِعَ الْكَوْنُ فِكْرُ امْرِئٍ فَلَا بَأْسَ بِالطَّرْفِ أَنْ يُحْسَرَا
 عَلَى الشَّمْسِ أَنْ تَهْدِي الْمُبْصِرِينَ وَلَيْسَ عَلَى الشَّمْسِ أَنْ تُبْصِرَا

فَيَا جِسْمَ «مَحْمُودَ» بَتِ فِي سُكُونِ وَيَا عَيْنِ «سَامِ» اهْنَيْ بِالْكَرَى
 وَيَا فِكْرَهُ كَمْ نَشَدْتَ الْعُلَى بَلَّغْتَ مَدَاهَا فَمَاذَا تَرَى ؟
 أَطَّلَ عَلَى هَذِهِ الْكَائِنَا تِ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ بِأَسْمَى الذُّرَى
 أَتَنْظُرُ غَيْرَ فِضَاءِ رَحِيبِ تُمَاكِي النُّجُومِ بِهِ الْعِثْرَا ؟
 وَتَسْمَعُ غَيْرَ شَبِيهِ الْخَفِيفِ لِمَا اضْطُكَّ مِنْهَا وَمَا كُورَا ؟
 قَلْبُ صَامِتًا وَأَشْرُ مَائِتًا لِمَنْ تَاهَ فِي الْأَرْضِ وَاسْتَكْبَرَا
 عَلَامَ تَبَادُخُ هَدَى الْجِبَالِ ؟ وَفِيمَ تَسَامُخُ هَذَا الْوَرَى ؟

نفحة الزهر

أنشدت في زفاف السيدة المهذبة الفاضلة اديل كريمة صاحب العزة السرى
حيب زنانيرى بك إلى حضرة الوجيه يوسف طعمه

بِاسْمِ الْمَلِيكَةِ فِي الْأَزَاهِرِ ذَاتِ الْجَلَالَةِ وَالْبَهَاءِ
يُهْدِي إِلَيْكَ بَيَانُ شَاعِرِ أَذْكَى التَّهَانِي وَالذُّعَاءِ

أَنْظُرِيهَا تَجِدِيهَا زَهْرًا وَأَقْرَبِيهَا تَجِدِيهَا فِكْرًا
تِلْكَ أَشْبَاهُ الْمَنَى فِي لُطْفِهَا لَبِستَ حُسْنًا فَجَاءتْ صُورًا
مِنْ عِذَاءِ النُّورِ مِنْ سَقَى النَّدى مِنْ حُنُوِّ اللَّيْلِ مِنْ ضَمِّ الثَّرَى
مِنْ هَزِيذِ الرِّيحِ فِي تَسْيَرِهَا مِنْ مُنَاغَاةِ الدَّرَارِي فِي الشَّرَى
خُرْدُ الرَّوْضِ مِلَاحُ زَانِهَا خَفَرُ الطُّهْرِ وَزِنُّ الْخَفْرَا
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ يَرَى أَشْكَالَهَا وَيَرَى أَلْوَانَهَا وَالْحَبْرَا
أَيَّرِي فِي الْبَعْضِ مِنْهَا شَفَقًا؟ أَمْ يَرَى فِي الْبَعْضِ مِنْهَا سَحْرًا؟
أَمْ يَرَى الْكِمَّ سُرُورًا ثَابِتًا؟ أَمْ يَرَى النُّورَ نُورًا عَطْرًا؟
إِنَّمَا الزَّهْرَةُ خَلْقٌ عَجَبٌ فِطْرَةٌ سَمَّحَاءُ تَسْمُو الْفِطْرَا
خُلِقَتْ لِلْخَيْرِ خَلْقًا صَافِيًا جَاوَزَ الضَّمِيمَ وَفَاقَ الْغِيْرَا
شَأْنَهَا تَضْحِيئُ النَّفْسِ وَلَا شَيْءَ غَيْرُ النَّفْعِ تَبْغِي وَطْرَا

شَيْمَةٌ فَادِيَةٌ شَرَفَهَا شَارِبُ اللُّوتِ فِدَاءً لِلوَرَى
 فَلغَيْرِ الحُبِّ ذَابَتْ ذَهَابًا حِينَ تَأْسَى أَوْ تَدَكَّتْ مَجْمَرًا
 وَلغَيْرِ الفَخْرِ حَلَّاهَا النَّدى وَلغَيْرِ الذِّكْرِ فَاحَتْ عَنبرًا
 وَسَمَتْ أَنْ تَتَبَاهَى وَأَبَتْ أَنْ يُطِيلَ النَّاسُ عَنهَا السَّيْرَا
 مَنْ دَعَاها عَادِلًا أَوْ ظَالِمًا لِلْمَرْوَاتِ دَعَا مُبْتَدِرًا
 فَلَمَنْ جَاوَرَ أَهَدَتْ نَفْحَةً وَلِمَنْ طَالَعَ أَسَدَتْ مَنظَرًا
 وَأَبَاحَتْ جِيدَهَا مَنْ يَبْتَغِي سَلْوَةً أَوْ زِينَةً أَوْ مَظْهَرًا
 هِيَ أُنْسُ الرِّءِ فِي وَحْشَتِهِ وَهِيَ الصَّفْوُ لَهُ إِنْ كُدِّرَا
 وَهِيَ القُبْلَةُ فِي مَرَشَفٍ مَنْ شَافَهُ لَمْ حَبِيبٍ هَجْرًا
 وَهِيَ النَّفْحَةُ يَسْتَنَشِفُ بِهَا مَنْ تَلَطَّى وَجَدُهُ مُسْتَعِرًا
 وَهِيَ التُّحْفَةُ فِي العُرْسِ لِنِ آثَرِ المَهْرِ الأَحَبِّ الأَطْهَرَا

قَالَتْ الوَرْدَةُ ذَاتُ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ

فِي الزَّهْرِ

يَا وَصِيفَائِي بَنَاتِ النُّورِ وَالْقَطْرِ

فِي الفَجْرِ

أُخْتِنَا شَمْسُ البَنَاتِ الخُرْدِ الزُّهْرِ

فِي العَصْرِ

مِنْ غَدِي تَبْرَحُ خِدْرَ الْكَاعِبِ الْبِكْرِ

فِي طَهْرٍ

وَتُوَافِي دَارَ بَعْلِ صَادِقٍ حُرٍّ

فِي فَخْرٍ

أَنَا أَهْوَاهَا وَتَهْوَانِي فِي الْجَهْرِ

وَالسَّرِّ

أَسْعِفِينِي يَا أُخِيَّاتِ الْهَوَى الْعُدْرِيَّ

فِي أَمْرِي

نَنْتَظِمُ فِي شِبْهِ تَاجٍ بَاهِرٍ يُزْرِي

بِالْدُرِّ

وَنَكُنْ أُبْهَى هَدَايَا الْوُدِّ وَالذِّكْرِ

فِي الْمَهْرِ

لِلْمُقَدَّاةِ عَرُوسِ الْحُسْنِ وَالشُّعْرِ

فِي مِصْرٍ

سُرَّتِ الْأَزْهَارُ لَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ النُّطْقَ الذِّكْرِيَّ الْأَذْفَرَا^(١)

وَاسْتَقَرَّتْ لَيْلَهَا هَاجِعَةً فَرَأَتْ حُلْمًا جَمِيلًا فِي الْكَرْمِي

(١) الأذفرا: الطرا

أَبْصَرْتُ عُرْمًا بَهِيجًا حَافِلًا جَامِعًا مِنْ كُلِّ جَيْلٍ مَعْشَرًا
عَقَدَ الْعِطْرُ سَحَابًا نَاصِعًا فَاشِيًا بَيْنَهُمْ مُنْتَشِرًا^(١)
تَلَمَعُ الْأَنْوَارُ فِي أُنْتَانِهِ وَتُبَاهِي الْوَجَنَاتُ الْفُرَا
وَلِحَاطُ الْقَوْمِ فِيهِ تَلْتَقِي مُرْسِلَاتٍ أَسْهَمًا أَوْ شَرَا
فِتْيَةٌ مُرْدٌ وَشَيْبٌ تَرَكْتُ كَرَّةَ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ أَثْرَا
وَحِسَانٌ مِسْنٌ أَغْصَانًا وَلَمْ تَكْدِ الْأُورَاقُ تُخْفِي الثَّمَرَا
فِي جَلَابِيبِ سُرُورٍ وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ نَجْمٌ سَعْدٍ سَفَرَا
تَنْجَلِي فِيهِمْ عَرُوسٌ مَلَكٌ تَحْجُبُ الْعِفَّةُ عَنْهَا النَّظْرَا
بَيْنَ أَتْرَابٍ حَوَالِيهَا كَمَا صَحِبَتْ غُرَّ النُّجُومِ الْقَمَرَا
يَجْمَعُ يَخْفِلُ مُهْتَزًّا لَهَا فَرِحًا فِي عِيدِهَا مُسْتَبْشِرَا

ظَلَّتِ الرُّؤْيَا إِلَى أَنْ لَمَسْتُ رَاحَةَ الْفَجْرِ الدُّجَى فَانْحَسَرَا^(٢)
وَجَلَّتْ عَنْ يَوْمِ صَفْوٍ بِشَانِقٍ ذَلِكَ السُّرَّ الْمَشُوبَ الْأَغْبَرَا
فَتَفَنَّى الطَّيْرُ تَبْشِيرًا بِهِ وَكَسَى الْأَفُقَ الرِّدَاءَ الْأَزْهَرَا
وَبَنَاتُ الرُّوَضِ وَاقِنَ إِلَى تَحْضُرِ الْعُرْسِ فَرْنًا الْمَحْضَرَا
جَنَّ قُرْبَانًا وَكُلُّنَّ وَهَبْتُ رَبَّةَ الدَّارِ صِبَاهَا الْأَنْضَرَا

(١) ناصعاً: أبيض زاهياً (٢) انحسر: انكشف

وَدَعَتْ كُلُّ بَيْعَةٍ دَائِمٍ لِلْعَرُوسَيْنِ دُعَاءَ مُضْمَرًا

قَالَتْ الْوَرْدَةُ يَا شَاعِرَنَا إِنَّا اخْتَرْنَاكَ دُونَ الشُّعْرَا
أَتَلُّ عَنَا مَا أَدْعَنَاهُ شَدًّا وَابْتِسَامًا . . . فَتَلَا مَوْعِزًا (١)

بِاسْمِ الْمَلِيكَةِ فِي الْأَزَاهِرِ ذَاتِ الْجَلَالَةِ وَالْبَهَاءِ
يُهْدِي إِلَيْكَ بَيَانُ شَاعِرِ أَذْكَى التَّهَانِيِّ وَالِدُعَاءِ

الى الاخ العزيز

أحمد شوقي بك

أَطَلْتَ نَائِكَ عَنِّي وَسَمِعْتَنِي الْبُعْدَ شَهْرًا
الشَّهْرُ بَعْضُ اللَّيَالِي وَرُبَّمَا كَانَتْ عُمْرًا
كَمْ فِي تَدَاوُلِ شَهْرِ يُجَدِّدُ اللَّهُ أُمْرًا؟
كَمْ أُمَّةٌ تَتَسَامَى فِي حِينِ تَسْقُطُ أُخْرَى؟
كَمْ لَيْلَةٌ تَتَقَضَى وَلَيْسَ تُعْقِبُ فَجْرًا؟

(١) شَدًّا وَابْتِسَامًا : بَرَاثِمَةُ الْعَطْرِ وَالِابْتِسَامِ

كَمْ حَالَهُ يَتَوَالَى مَا سَاءَ مِنْهَا وَسَرًّا؟
كَمْ أْزَمَةٌ تَتَوَلَّى فَتُنْبِغُ الْعُسْرَ يُسْرًا؟

أَلَسْتَ فِي الشَّهْرِ تَشْدُو صَوْتًا فَتَطْرِبُ دَهْرًا؟
كَمْ فِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا أَكْتَبْتَ مِصْرَكَ فَخْرًا؟
كَمْ صُنْتَ آيَةَ وَحْيٍ يُعِيدُهَا النَّاسُ شِعْرًا؟
وَكَمْ بَعَثَ حَيَاءً فِي قَلْبِ صَخْرٍ فَدْرًا؟
وَكَمْ نَسَفْتَ بِنَاءَ لِلظَّالِمِينَ فَخْرًا؟
وَكَمْ بَكَيْتَ فَأَبْكَيْتَ وَادِيَ النَّيْلِ نَهْرًا؟
وَكَمْ حَنَنْتَ فَأَذْكَيْتَ مُزْبَدَ الْمَاءِ جَحْرًا؟
وَكَمْ رَفَعْتَ لِقَوْمٍ ذِكْرًا وَقَوَّضْتَ ذِكْرًا؟
فِي نَادِيَاتِ ذَوَالِكِ لَا تُعْقِبُ الشَّرْبُ سُكْرًا^(١)
مِنْ الْقَوَافِي اللَّوَاتِي مِلْنِ أَنْسَاءٍ وَسِحْرًا
تَرِقُ فِيهَا فَتَصْفُو نُورًا وَتَخْلُصُ نَشْرًا^(٢)
فِيَا أَخَا الْوُدِّ حَسْبِي أَسَى وَحَسْبُكَ هَجْرًا
إِنْ كُنْتَ تُخْبِرُ صَبْرِي لَمْ يُبْقِ لِي الشَّوْقُ صَبْرًا
أَوْ تَبْتَغِي لِي أَجْرًا كَفَى بِمَا قَاتَ أَجْرًا

(١) القرب : الشارين (٢) نشراً : عطراً

أمس واليوم

رثاء

لفقيد الفضل والعلم المرحوم نقولا توما

وَقَفَ الزَّمَانُ فَمَا لَوْعِدِكَ مَوْعِدُ
هِيَ طَلْعَةٌ لَكَ فِي الْحَيَاةِ وَغَيْبَةٌ
بِالْأَمْسِ كُنْتَ وَأَمْسٍ فِي أَفْقِ الثَّقَى
بِالْأَمْسِ كُنْتَ وَأَنْتَ طِفْلٌ لَاعِبٌ
بِالْأَمْسِ كُنْتَ الْبَانِعَ الْقَطَنِ الَّذِي
بِالْأَمْسِ طَلَّابًا لِغَايَاتِ الْعُلَى
بِالْأَمْسِ مُفْتَتِحَ الصَّخَاةِ حُرَّةً
بِالْأَمْسِ ذَوَادًا عَنِ الضُّعْفَاءِ لَا
بِالْأَمْسِ وَخِيًّا خَاطِبًا أَوْ كَاتِبًا
بِالْأَمْسِ مِقْدَامًا لِقَوْمِكَ حَازِمًا
بِالْأَمْسِ بَدَّالَ الْعَوَارِفِ وَالنَّدَى
بِالْأَمْسِ مَوْفُورَ الْمَنَاءِ مُبَارَكًا
يَرْجُو تَعَدُّدَكَ الْوَرَى بِعَدِيدِهَا
بِالْأَمْسِ كُنْتَ وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ
وَعَقَا الْمَكَانُ فَمَا لِعَهْدِكَ مَعَهْدُ
كَالظَّلِّ إِذْ يَبْدُو وَإِذْ يَنْبَدُّ
شُقَّ الْحِجَابُ فَكَانَ مِنْكَ الْمَوْلِدُ
طَيْرًا يُبَاكِرُ أَيْكَةَ وَيُفَرِّدُ
يَشْدُو الْمَعَارِفَ شَدْوَهْنَ وَيَنْشُدُ
يَدْنُو لِهَيْمَتِكَ الْمَرَامُ الْأَبْعَدُ
طَابَتْ مَرَاشِفُهَا وَرَاقَ الْوَرْدُ
تَأَلَوْ جِهَادًا وَالْحَفَائِظُ تَجَهَّدُ
فَالسَّمْعُ يَطْرَبُ وَالنَّهْيُ تَسْتَرْشِدُ
تَبْنِي لَهُمْ مَعْنَى عَلَى وَتُوَطِّدُ
حَتَّى تَرَى لَكَ عِنْدَ كُلِّ يَدٍ يَدُ
فِي عَيْلَةٍ لِلْمَجْدِ فِيهَا مَقْصِدُ
وَتَقْرَأُ عَيْنُ الْجُودِ أَنْ يَتَعَدَّدُوا
وَالْيَوْمَ .. لَا أَمْسٌ غَدَوْتَ ، وَلَا غَدُ

أَلْيَوْمَ مَنْ شَاءَ : الْحَكِيمُ الْمُفْتَدَى فِينَا، وَمَنْ شَاءَ : الزَّعِيمُ السَّيِّدُ
أَلْيَوْمَ لَا « تُوْمَا » وَلَا كُتْبٌ وَلَا خُطْبٌ وَلَا مِدْحٌ إِلَيْهِ تُرَدُّ
أَلْيَوْمَ لَا جَدْوَى وَلَا نَجْدٌ وَلَا دَارٌ تُؤَمِّمُهَا الْعَفَاةُ فَتَسْعَدُ
أَلْيَوْمَ لَا رَجُلٌ يُقَالُ : هُوَ الْقَتَى، وَحَمِي يُشَارُ إِلَيْهِ : هَذَا الْمُرْفَدُ
أَلْيَوْمَ إِنْ جَارَ الزَّمَانُ فَجَارَتْ ذَهَبَ الَّذِي بِجَنَابِهِ يُسْتَنْجَدُ
أَلْيَوْمَ إِنْ يَدْعُ الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ صَمَّ النَّدَى وَالْبِرُّ أَعشى أَرْمَدُ
قَدَمَاتِ رَحْبِ الصَّدْرِ رَحْبُ الْعَقْلِ رَحْبُ الرَّاحَةِ، الْعَوْثُ، الْمَلَادُ، الْأَيْدُ
مَاتَ النَّقِيُّ خَفَاؤُهُ وَظُهُورُهُ، مَاتَ الْوَفِيُّ مَغِيبُهُ وَالْمَشْهُدُ
فِي غُرْبَةٍ كَالْقَفْرِ لَمْ يُلِمِ بِهِ سَكَنَ هُنَاكَ وَلَمْ يَعُدَّهُ الْعَوْدُ
« إِفْيَانُ » أَلَى خُنْتِ ضَيْفًا لَا نِدَا فَتَرَكْتَهُ تَحْتَ الْمَبَاضِعِ يُقْصَدُ؟ (١)
وَأَفَاكَ يَسْتَشْفِي بِمَاءِ نَافِعٍ فَأَعَدْتِهِ لِحِمَاهُ مَيْتًا يُلْحَدُ
لَكِنَّ جَارَ الْغَرْبِ جَارُ غُرُوبِهِ نَاهِيكَ وَهُوَ مِنَ الْمَشَارِقِ فَرَقَدُ (٢)
فَدَحَ الْمَصَابُ وَلَا اعْتِرَاضَ فَإِنَّهُ حُكْمُ الْقَدِيرِ، وَهَلْ لَنَا فِيهِ يَدٌ؟
يَا رَبِّ سَلِّمْنَا وَإِنْ فُطِرَتْ أَسَى مِنَّا حُشَاشَاتٌ وَشُقَّتْ أَكْبُدُ
صَرَفَ قَضَائِكَ فِي الْعِبَادِ فَإِنَّهُمْ رَكِبُ الْقَنَاءِ وَأَنْتَ أَنْتَ السَّرْمَدُ
أَلشَّمْسُ طَالِعَةٌ بِفَضْلِكَ تَنْجَلِي وَالشَّمْسُ غَارِبَةٌ لِعَدْلِكَ تَسْجُدُ

(١) إفيان : اسم البلدة التي مات فيها مستشفياً في فرنسا (٢) فرقد : أراد أن النجم الذي يطلع في الشرق وينتهي إلى الغرب يغرب فيه

عنتره

أنشدت في حفلة تكريم أقيمت لشكري غانم الشهيد ناظم رواية «عنتره» بالفرنسوية

مَاذَا تَصَبَّأكَ مِنْ حَالٍ تُجَدِّدُهَا
وَأَنْتَ فِي بَلَدِ الْأَنْوَارِ لَا أَثْرُ
هَلْ مُلْتَقَى يَجْمَعُ الرُّوحَ الَّتِي رَجَعَتْ
وَمَا اخْتِيَارُكَ عَبْدًا مُحْرَبًا خَسِنًا
مُهَيَّمًا بِفِتَاةٍ بِنْتِ سَادَتِهِ
يَخْكِي الْحِكَاةُ لَنَا عَنْهُ تَوَغُّلَهُ
وَلِينَهُ فِي تَصَابِيهِ ، وَغِلْظَتَهُ
فَهُوَ الْمُتَيَّمُ ، يَسْتَقْضِي لِبَانَتَهُ
ذَاكَ الَّذِي قَالَهُ عَنْهُ الرُّوَاةُ ، فَهَلْ

عَنْ عَهْدِ «عَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ» فِي الْقِدَمِ؟
فِيهِ يَذْكَرُ عَضْرًا بَاتَ فِي الظُّلْمِ (١)
أَدْرَاجَهَا وَالَّتِي تُرْجَى مِنَ الْعَدَمِ؟
مِنَ الْبِدَاوَةِ فَظَّ اللَّوْنِ وَالْأَدَمِ؟
يَشْكُو هَوَاهُ بِمَنْظُومٍ مِنَ الْكَلِمِ؟
فِي الْفَتْكِ بِالنَّاسِ فَتْكَ الْآكِلِ النَّهْمِ
فِي مَلْعَبِ الْمَوْتِ بَيْنَ الشَّمْرِ وَالْخِذْمِ
وَهُوَ الْمَكَافِحُ حُبَّ الْقَتْلِ وَالنَّقْمِ
بَدَا مَزِيدٌ لِفِكْرِ الْبَاحِثِ الْفَهْمِ؟

حَيَّاكَ رَبُّكَ يَا مَنْ قَامَ يَنْصِفُهُ
مَا كَانَ «عَنْتَرَةُ» فِي الْقَوْمِ غَيْرَ فِتَى
إِنْ أُمَكْنَ الْحَبَّ مِنْهُ حِينَ خَلَوْتِهِ
فَإِنَّ مَا كَانَ يَبْغِيهِ لِأُمَّتِهِ

بِالْعِلْمِ مِنْ جَهْلِ سُمَارٍ وَمِنْ تَهْمِ
يَرَى لَهُمْ مَا يَرَاهُ قَادَةَ الْأُمَمِ
فَأَسْمَعُ النَّاسَ فِيهِ أَشْوَقَ النَّعْمِ
أَسْمَى أَمَانِيَّ حُرِّيَّ غَيْرِ مُتَهْمِ

(١) بلد الأنوار : باريس

سَقَى هَوَى «عَبَلَةَ» مِنْ مَاءِ أَدْمِهِ وَكَأَدَ يُرْوَى الْقَلَا مِنْ أَجْلِهِمْ يَدَمِ
وَالْحَبُّ أَلْزَمُ لِلأَرْوَاحِ مَا عَظُمَتْ وَقَدْ يَكُونُ لَهَا أَدْعَى إِلَى الْعِظَمِ
فَإِنْ ظَفِرَتْ بِعِزْهَاءٍ وَمَنْصِبُهُ فِي الْمَالِكِينَ فَتِلْكَ النَّفْسُ فِي الْخَلْدَمِ (١)

أَرَيْتَنَا مِنْ قَتَى عَبَسِ حَقِيقَتَهُ حَقِيقَةَ الْبَدْوِيِّ الْحُرِّ مُبْتَغِيًا
يُهْدِي «لِعَبَلَةَ» مَا يُوحِي الْفَرَامُ لَهُ لِقَوْمِهِ ، غَيْرَ بَانِعٍ ، أُلْفَةَ الرَّحِمِ
وَإِنَّمَا سُؤْلُهُ إِعْزَازُ مَوْطِنِهِ وَلِلْحَقِيقَةِ وَحَى الْعِزْمِ وَالشَّمَمِ
فَإِنْ رَنَا وَهَلَالُ الشَّهْرِ مُبْتَسِمٌ وَقَوْمِهِ بِاتِّحَادِ الرَّأْيِ وَالْهَمَمِ
مُنْبِيءٌ بِسَنَاهُ عَنْ سَنَى قَمَرٍ حَيَّاهُ مِنْ أَمَلٍ فِي الْأَفْقِ مُبْتَسِمِ
مَاجِي الظَّلَامِ نَبِيَّ حَاطِمِ الصَّمَمِ (٢)

فِيَا مُعِيداً إِلَيْنَا الْيَوْمَ «عَنْتَرَةَ» فِي بَقِظَةٍ شَابَهَا لُطْفٌ مِنَ الْحَلْمِ
بِشِبِهِ مَا جَوَدَتْ نَظْمًا قَرِيحَتُهُ فِي خَيْرِ مَا جَوَدَتْهُ أُلْسُنُ الْعَجَمِ
أَرَيْتَ مَنْ كَانَ يَرْمِينَا بِمَنْقَصَةٍ أَنَا بَنُو بَيْجَدَةِ الْإِفْلَاحِ إِنْ نَرُمِ
وَأَنَّا الْقَوْمُ نَسْتَبِقِي مَقَاحِرَنَا حَتَّى تُوَاتِبِنَا الْأَقْدَارُ مِنْ أَمَمِ
وَأَنَّ مَا بَيْنَ مَاضِينَا وَحَاضِرِنَا مِنَ الْعَلَاقَةِ حَبْلًا غَيْرَ مُنْفَصِمِ

(١) عزهارة : رجل لا يحب (٢) إشارة الى أن عنتره كان يرى تبشير النبوة واتحاد العرب على يد نبيهم الذي أخرجهم من الظلمات وحطم أصنامهم

وَأَنَا أُمَّةٌ تَهْوَى مَوَاطِنَهَا حَتَّى عَلَى الذِّكْرِ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمِ
 وَأَنَّ كُلَّ بَيَانٍ طَوَّعُ خَاطِرِنَا وَنَحْنُ أَهْلُ بَيَانِ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ
 وَأَنَّ كُلَّ فَتَى مِنَّا بِمُفْرَدِهِ شَمَلٌ جَمِيعٌ مِنَ الْآدَابِ وَالشِّمِّ
 وَأَنَا لَوْ تَأَلَّفْنَا لِمَا عَجَزَتْ بِنَا النَّهْيَ عَنْ مَقَامٍ فِي الْعُلَى سَنِمِ
 فَيَا سُرُورًا بِذِكْرِ أَنْتَ بَاعِثُهُ وَيَا أَسَى لِحَيِّ بِالْجَهْلِ مُنْقَسِمِ

فِي سَحَابٍ

شَكَتُ عَارِضًا فِي الْجَفْنِ نَاءً بِحَمَلِهِ يُشَاكِلُ تَحْتَ الْمُدْبِ عَالِقَةَ الْحَبِّ (١)
 فَقَالَتْ : لِمَا اللَّهُ ضَيْفًا مُشَوِّهًا يُسْمُونَهُ الشَّحَاذُ فِي لُغَةِ الطَّبِّ
 فَقُلْتُ لَهَا : عَطْفًا عَلَيْهِ وَإِنْ جَنَى . نَعَمْ ، هُوَ شَحَاذٌ وَلَكِنَّهُ قَائِي
 فَقَالَتْ : وَمَاذَا يَبْتغِي ؟ فَأَجَبْتُهَا : سَمَا يَسْتَجِيرُ الطَّرْفَ مِنَ أَلْمِ الضَّرْبِ

(١) يشبه حبة معلقة بالجفن

تشریف کتاب

مرآة الأيام

باسم الجناب العالی عباس حلمی الثانی

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي دَوْلَةِ الْعِلْمِ حَاجِبٌ أَمِيرَ النَّهْيِ إِذْنَا فَإِنِّي مُخَاطِبٌ
خِطَابَ فَتَى بَرَعَى مَقَامِي جَلَالَةَ أَعَزُّهُمَا مَا لَمْ تُنَلِّكَ الْمُنَاسِبُ
أَحَلَّتْكَ مِنْهُ اللُّوْذِعِيَّةُ مَنْصِبًا عَلَى سَمِّ تَنْحَطُّ عَنْهُ الْمُنَاصِبُ
إِلَيْكَ كِتَابًا فِيهِ أُخِيَّتْ سَاهِرًا لِيَالِي كَانَتْ مِنْ دُجَاهَا النَّوَابِ
وَقَفْتُ عَلَيْهِ سُهْدَ فِكْرِي وَدُونَهُ مَصَائِبُ تَنْبِيئِي ، وَدَهْرٌ يُحَارِبُ
ثَبَاتِي مِنَ الشَّقْمِ الْمُقِيمِ أَفْدَتُهُ وَصَبْرِي مِمَّا أَكْسَبْتَنِي الْمَتَاعِبُ
لَوْ الْكَوْكَبُ الدَّرِيُّ وَهُوَ مُسَاهِرِي رَأَى مَا أَقَاسِي لِأَعْتَدِي وَهُوَ شَاحِبُ
كِتَابٌ أَعَانِي بَجْمَعِهِ حَيْثُ خَاطِرِي شَتِيَّتُ وَبِي شُغْلٌ مِنَ الْمَهْمِ نَاصِبُ
دَعَانِي لَهُ اسْتِكْمَالُ عَهْدِكَ لِلْمُنَى وَنُورِكَ لِي هَادٍ وَأَمْرُكَ غَالِبُ
فَجَاءَ قَلِيلًا مِنْ قَلِيلٍ وَإِنَّمَا تَوَفَّرَ فِيهِ بِمَحْنُهُ ، وَالْمَطَالِبُ
عَتِيقٌ مَعَانِيهِ ، جَدِيدٌ سِيَاقُهُ يُعِيدُ شَبَابَ الدَّهْرِ ، وَالِدَّهْرُ شَائِبُ
يَقْصُ حَدِيثَ الْكَوْنِ مِنْذُ ابْتِدَائِهِ وَمَا أَخْلَقْتَ أَحْدَانَهُ وَالْتَجَارِبُ
وَتَمَثُلُ أَجْيَالُ الْوَرَى فِيهِ بَادِيًا خَفِيَ طَوَايَاهَا لَدَى مَنْ يُرَاقِبُ

هَنَّاكَ أَقْوَامٌ تَجِيءُ وَتَنْقُضِي
مَمَّا لَكَ تُبْنِي بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا
وَتَتَّبِعُهَا أَطْوَارُهَا وَالْمَذَاهِبُ
وَتَهْدِيهَا أَوْزَارُهَا وَالْمَعَايِبُ
وَخَلْقٍ وَأَخْلَاقٍ تَلِيهَا عَرَائِبُ
سِرَاطًا كَمَا مَرَّتْ بِشَمْسٍ سَحَابُ
نَبَتْ عَنْهُ آفَاتُ الْبَلِي وَالْمَعَاظِبُ
فَإِنَّ لَهُ الْمَجْدَ الْمُخَلَّدَ صَاحِبُ
مَنَاقِبَ «عَبَّاسٍ» وَنِعَمَ الْمَنَاقِبُ
تُضِيءُ سَمَاءَ الذِّكْرِ مِنْهَا كَوَاكِبُ
فَوَائِحُهُ غَنَمٌ لَنَا وَالْعَوَاقِبُ
وَكَأَنَّ مِضْيَءَ مَا سِوَى الْحَقِّ كَاذِبُ
مَشَارِقُ مِصْرٍ رَوْضُهُ وَالْمَغَارِبُ
وَمَنْ نَائِرٌ مِنَّا فَمَجْدُكَ كَاتِبُ
وَإِنْ تَسْكَبُ الْأَمْطَارُ فَاَلْبَحْرُ سَاكِبُ
تَمْرٌ وَنُورُ النَّقْدِ يُبْدِي خَفِيَّهَا
وَلَمْ أَرْ شَيْئًا كَالْفَضِيلَةِ ثَابِتًا
وَمَنْ يَضْطَحِبُهَا كَاضْطِحَابِكَ رَاشِدًا
سَيَدْرِي بَنُو الْأَيَّامِ آخِرَ دَهْرِهِمْ
وَتُرَوَّى لَهُمْ عَنْهُ فِعَالٌ جَمِيلَةٌ
أَطَالَ لَكَ الرَّحْمَنُ عَهْدًا مُبَارَكًا ،
فَحُكْمُكَ شَمْسُ الْحَقِّ فِينَا إِضَاءَةٌ
وَفَضْلُكَ فِينَا لِلْفَضَائِلِ مَنبِتٌ
فَمَنْ شَاعِرٌ مِنَّا فَحَمْدُكَ نَاطِقٌ ،
مَتَى تَصْدَحُ الْأَطْيَارُ فَالْفَجْرُ صَادِحٌ

عرس قانا (١)

أنشدت في الليلة الأخيرة وهي الليلة الكبرى لزفاف الصديق السرى
اسكندر خورى إلى الأناة ماري كريمة الوجيه جورج مدور

يَا حُسْنَهَا سَاعَةً مِنْ الْعُمُرِ فَرِيدَةً فِي قِلَادَةِ الدَّهْرِ
لَمْ يُزَهِ يَوْمًا بَجَمَالِ مَالِكَةَ بِمِثْلِهَا مِنْ نَفَائِسِ الدَّرِّ (٢)
سَاعَةً سَعِدِ يَوْمًا شَاهِدَهَا لَوْ وَقَفْتَ زُهْرُهَا فَلَا تَسْرِى
فَاقَتْ شَبِيهَاتِهَا الْحِسَانَ بِمَا خُصَّتْ بِهِ دُونَهَا مِنَ السَّرِّ
فِي يَوْمِ « قَانَا الْجَلِيلِ » شَرَفَهَا فَادَى الْبِرَايَا وَغَافِرُ الْوِزْرِ
أَتَمَّ فِيهَا هِنَاءَ سَامِرِهَا فَأَوْدَعَ الْمَاءَ نَشْوَةَ الْحَمْرِ
لِحِكْمَةٍ شَاءَهَا أَحَلَّ لَهُمْ شُرْبَ الطَّلِيِّ مَنْ نَهَى عَنِ الشُّكْرِ

وَحَبْدًا هَذِهِ الشَّلَاقَةُ مِنْ عَرِيْقَةِ الْأَصْلِ حُرَّةِ النَّشْرِ
أَنْظُرْ إِلَيْهَا فِي كَفِّ كَاهِنِهَا كَانَهَا ذَائِبٌ مِنَ التَّبْرِ
يُنْتَقَى الْعَرُوسَانَ مِنْ مُحَلَّهَا رَمَزَ امْتِزَاجِ الْعَفَافِ وَالْبِرِّ
وَهَذِهِ فِي يَدِي مُشْعَشَعَةٌ بَعَثَهَا مِنْ غِيَابَةِ الْقَبْرِ
مِنْ عَهْدِ « قَانَا » تَسَلَّسَلَتْ قَدَمًا وَرَوَّقَتْ فِي نَحَابِ الدَّهْرِ

(١) هو العرس الذي أشير إليه في الإنجيل وحول السيد المسيح فيه الماء الى خمر

(٢) شبه ساعات تلك الليلة بالدر لنفاستها وبياضها

رُوحُ سُورٍ فِي شِبهِ لَوْلُوءٍ وَدَمْعُ فَجْرِ بِمُحْمَرَةِ الْجَمْرِ
أَشْرَبُهَا فِي هِنَاءٍ مَنْ شَرِبَا كَأْسَ الْغَرَامِ الْمُنَزَّهِ الْحَرِّ
كِلَاهُمَا كَانَ كُفَّءٌ صَاحِبِهِ بِدَبْعَتَيْهِ ، وَرَفَعَةِ الْقَدْرِ

يَا دَارُ تَيْهَا عَلَى الدِّيَارِ بِمَا أَحْرَزْتِهِ مِنْ مَظَاهِرِ الْفَخْرِ
كَمْ رَوْضَةٍ أَتَمَحَفَتِكَ تَكْرِمَةً بِخَيْرٍ مَا أَنْبَتَتْ مِنَ الزَّهْرِ
وَكَمُ كَسَاكِ الْبَهَاءِ ضَافِيَةً مِنْ نُورِ شَمْسٍ لَهُ وَمِنْ بَدْرِ
دُومِي عَلَى الدَّهْرِ دَارَ مَكْرَمَةٍ وَصَرَخَ تَجْدٍ وَمُلْتَقَى بَشْرِ
وَيَا عَرُوسَانَ إِنَّ أَنْبَتَ مَا يُبْنَى بِنَاءِ الْوَفَاءِ بِالطُّهْرِ
فَشِيدًا بَيْتَ رَفْعَةٍ وَعَلَى يَكُونُ بَيْتَ الْقَصِيدِ فِي الْعَصْرِ
وَاسْتَمْتَعًا بِالرِّفَاءِ وَاعْتَدِيَا رَأْسًا لِسِبْطِ أَعِزَّةٍ كَثْرُ
يَرْتَقِبُ الْعَصْرُ أَنْ يُقْلِدَهُ حَيْثُ تُنَاطُ الْحَلَى مِنَ الصَّدْرِ

رثاء

للشيخ إبراهيم اليازجي

رَبِّ الْبَيَانِ وَسَيِّدِ الْقَلَمِ وَفَيْتَ قِسْطَكَ لِلْعُلَى قَمِ
تَمَّ عَنْ مَتَاعِهَا الْجِسَامِ وَذَرَّ آلَمَهَا غُنْمًا لِمُفْتَنِمِ (١)
مَا أَضْفَرَ الدُّنْيَا وَأُخْفَرَهَا فِي جَنْبِ مَا لِلْمَيْتِ مِنْ عِظَمِ
يُنْفِي وَقَدْ آدَتْهُ دَائِبَةٌ عَنْ ذَنْبِهَا إِغْضَاءَةَ الْكَرَمِ
مَا أَعْجَزَ اللِّسْنَ الْفَصِيحَ لَدَى عِيِّ الْفَقِيدِ الْخَالِدِ الْبِكَمِ
مَا أَسْخَفَ الْعَبْرَاتِ سَاكِبَةٌ وَالنَّعْشُ يَتَجَبُّ وَجْهَ مُبْتَسِمِ

يَا مَنْ بَكَتَ لِفِرَاقِهِ أُمُّمٌ كَانَتْ بِهِ مَحْسُودَةً الْأُمُّمِ
أَلَانَ جَزَّتْ الْوَهْمَ مُرْتَقِيًا وَإِلَى الصَّوَابِ خَلَصَتْ مِنْ حُلْمِ
أَكْمَلِ بِلَاغَكَ يَا حَكِيمُ وَقُلْ أَحْيَانَنَا خَيْرٌ مِنْ الْعَدَمِ؟
أُمُّ تِلْكَ أُمُّ غَيْرِ عَاقِلَةٍ أُمُّ بِلَا قَلْبٍ وَلَا رَحِمِ
أُمُّ تُغَدِّي مِنْ وَلَائِدِهَا رُمًّا تُشْبِهَا عَلَى رُمِّ

مَا الْخَلْقُ؟ هَلْ أَدْرَكَتْ غَامِضَهُ؟ وَأَزْحَتْ عَنْهُ غِيَابِ الظُّلْمِ؟

(١) در: دع

أَجْهَدْتَ فِكْرَكَ فِي تَعْقُلِهِ وَصَدَرْتَ عَنْهُ وَارِدًا كَطَمِي
سَاءَلْتَ عَنْهُ النَّجْمَ مُرْتَقِبًا وَبَحَثْتَ بَيْنَ الْحَرْفِ وَالرَّقْمِ
وَهَوَى بِكَ الْوَادِي مَهَاوِيَهُ وَرَنَوْتَ مُنْطَادًا مِنْ الْقِيمِ
تَبْنِي الْحَقِيقَةَ سَاعِيًا كَلِمًا مِنْ كُلِّ مُطَلِّبٍ بِلَا سَامِ
أَمَّا النُّظَامُ فَكُلُّهُ عَجَبٌ فِي الْكَوْنِ لِلْمُتَبَصِّرِ الْفَهْمِ
أَلْتَرَبُّ لِلْأَجْسَامِ مُضْطَنَعٌ وَنَوَاسِمُ الْأَرْوَاحِ لِلنَّسَمِ
وَلِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ دَقَائِقِهَا مَعْنَى كَمَعْنَى الْكُلِّ لَمْ يُرَمِ

لَمْ تَدْرِ سِرًّا لِلْحَيَاةِ وَلَا لِحِصُومَتَيْهَا : الْبُرِّ وَالسَّمِ
وَزَاعِيهَا الْمُخَيِّ الْمَيْتِ مَعًا بَيْنَ الصَّفَاءِ النَّزْرِ وَالْأَلَمِ
سِرٌّ لَوْ أَنَّ الْمَرْءَ يُدْرِكُهُ عَقْلًا لَشِئْتَ سَنَاهُ مِنْ أَمِّ
لَكِنْ رَأَيْتَ الْبِرَّ أَجْمَلَ مَا تُحْدِي إِلَيْهِ سَوَابِقُ الْهَمِّ
وَالْبِرُّ أَشْرَفُهُ وَأَنْفَعُهُ لِلنَّاسِ فِي الْإِزْشَادِ وَالْحَكْمِ
فَازَلْتَ كُرْبَةَ كُلِّ ذِي شَجَنِ بِالرَّائِقِ الشَّافِي مِنَ الْكَلِمِ
وَأَسْوَتَ مَكْلُومَ النُّفُوسِ إِسَا مَنْ يَقْرَنُ التَّضْمِيدَ بِالنَّعْمِ (١)
بِرَوَائِعِ كَالْكَوْنِ بِأَهْرَةِ مَا بَيْنَ مُنْتَهَى وَمُنْتَظِمِ
بَجَمَلِهَا بِجَمَالِهِ فَضَتْ وَهَذَا جَلَالُ الْكَوْنِ مِنْ قَدَمِ

(١) هو مذهب جديد تخفف به آلام من يعمل له عمل جراحی

يَا فخرَ دارِ الأنبياءِ ، ألمَ
يَضِقِ الضَّرِيحُ بِمُحتَوَى عَلمِ؟
شَرَفَتَهَا وَالآنَ صِرْتَ إلى
مَهوَى الجِبَالِ وَمَهَبِطِ الشَّمَمِ
لَكِنَّ ذِكْرَكَ خَالِدٌ أَبداً
فِي النَّاسِ مَحْمُودٌ بِكُلِّ فَمِ
بِبَقَائِهِ وَرَدَاكَ مَوْعِظَةٌ
لِلسَّائِرِ المُفْضِي إلى الرَّجْمِ: (١)
« إِخْلَعِ عَنِ اسْمِكَ فَانِيَا خَلَقَا
وَالْبَسْ جَمِيلَ الذِّكْرِ تَسْتَدِمِ »

حمام عذراء

في السماء

أهُوَى وَمَا الْغَانِيَاتُ مِنْ وَطْرِي
السَّالِبَاتُ الْعُقُولِ وَالْفِكْرِ
أَلصَّائِدَاتُ الْقُلُوبِ فِي شَرِكِ
يَنْسُجْنَهُ مِنْ خَدَائِعِ الْحَوَرِ
أَلْمُشَقِيَّاتُ الْوَرَى لِأَيْسَرِ مَا
يُسْدِينَ مِنْ نِعْمَةٍ إِلَى النَّظَرِ
أَلْحَاكِمَاتُ الْمُحْكَمَاتُ فَمَا
يَبْرَحْنَ أَقْوَى وَسَائِلِ الْقَدْرِ
فَإِنَّ لِي دُونَهُنَّ فَاتِنَةً
فِي الزُّهْرِ مُحْسُودَةً وَفِي الزُّهْرِ
ضَحُوكَةَ الْوَجْهِ لَا يُغَيِّرُهَا
فِي كُلِّ حَالٍ شَيْءٌ مِنَ الْغَيْرِ
صَادِقَةَ الْعَهْدِ فِي مَوَاعِدِهَا
تَبْدُو وَفِيهَا تَغِيْبُ عَنْ بَصْرِي

(١) رداك : وفاتك

شَبَابُهَا دَائِمٌ وَرَوْنَقُهَا إِذَا التَّقِينَا فَلَا يُنْغَصْنَا
وَإِنْ تَوَارَتْ رَقَدَتْ مُغْتَبِطًا
كَأَنَّهَا دُرَّةٌ مُعَلَّقَةٌ
نُظْفَةٌ قَطْرٍ عَلَى شَفَا أَفُقٍ
دَمْعَةٌ سَعْدٍ أَقْرَاهَا مَلَكٌ
أَوْدَعَ فِيهَا ابْتِسَامَهُ فَذَكَتْ
نُقْطَةٌ حَرْفٍ مِنْ اسْمٍ خَالِقِيهَا
وَعَتَّ بَدِيعَ الْبَدِيعِ فَهِيَ تَلِي
غَانِيَةٌ فِي جَمَالِ صُورِيهَا
لَا تَعْرِفُ الْإِئْتِمَ فَهِيَ عَارِيَةٌ
وَإِنَّمَا الْإِئْتِمُ حَيْثُمَا خَبُتْ
حَوَاهِ كَانَتْ كَذَلِكَ ثُمَّ غَدَتْ
لِلَّهِ صُبْحُ رَأْيَتِهَا ابْتَرَدَتْ
يَجْرِي عَلَيْهَا الضِّيَاءُ غَيْرُهُ
فَكُلَّمَا سَالَ عَنْ جَوَانِبِهَا
وَكُلَّمَا زَادَ نُورُهُ لَطْفَتْ
حَتَّى تَوَارَتْ فَلَا عَفَافَ وَلَا
أَكْثَرُ مَا يَزِدُّهَا عَلَى السَّهْرِ
رَبُّ رَقِيبٍ يَدْعُو إِلَى حَذْرِ
يُمْلَتَقَى لِلْفِدَاةِ مُنْتَظَرٍ
وَإِنَّ مِنْهَا فَرِيدَةَ الدَّرْرِ؟
مُقَضَّضِ الْجَانِبَيْنِ مُنْحَدِرِ
فِي فُكِّ لَمْ تَسِلْ وَلَمْ تَثُرِ
مِنْ عُصْرِ يَنْقُضِي إِلَى عُصْرِ
أَبِينُ مِنْ نَقْطِ سَائِرِ الزُّهْرِ
فِي سُورَةِ الْكَوْنِ آيَةَ الْقَمَرِ
مَا تَشْتَبِهُهُ الْمَنَى مِنَ الصُّورِ
تُبْدِي حِلَالَهَا بِغَيْرِ مُسْتَتِرِ
ضَمَائِرُ فَهِيَ صَنْعَةُ الْبَشْرِ
تَحْجُبُ مِنْ وَرْهَانِهَا بِمُؤْتَرَرِ (١)
بِمِثْلِ مَاءِ اللَّجَيْنِ مُهَمِرِ (٢)
مِنْ عَنَبِ اللَّيْلِ عَالِقِ الْأَثْرِ
صَفَا بِهَا مِنْ شَوَائِبِ الْكَدْرِ
فِيهِ وَرَقَتْ عَنْ ذَائِبِ عَطْرِ
حُسْنُ كَغُسْلِ الزَّهْرَاءِ فِي السَّحْرِ

(١) وزرها : لزارها (٢) ابتردت : استحمت . اللجين : الفضة

شعر منشور

كلمات أسف

أنشدت في حفلة تأييد للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي

أَطْلِقْ عِبْرَاتِكَ مِنْ حُكْمِ الْوِزْنِ وَقَيْدِ الْقَافِيَةِ
وَصَعْدُ زَفْرَاتِكَ غَيْرَ مُقَطَّعَةٍ عَرُوضًا وَلَا مَحْبُوسَةٍ فِي نِظَامِ
قُلْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الْمَوْتِ وَهُوَ قَاتِلٌ عَامِدٌ
مَا تُوْحِيهِ إِلَيْكَ النَّفْسُ لَدَى رُؤْيَةِ إِئِمَّةِ الرَّائِعِ
لَا عَتَبَ عَلَى الْجَمَامِ . هُوَ الظُّلْمَةُ وَالْحَيَاةُ النُّورُ
هُوَ الْأَصْلُ الْأَزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ . وَالنُّورُ حَادِثٌ زَائِلٌ
فَإِذَا أَزْهَرَ شَارِقٌ فِي دُجْنَةٍ فَهُوَ يُكَافِحُهَا وَيُنَافِيهَا
إِلَى أَنْ يَنْقُضِيَ سَبَبَهُ فَيَتَضَاعَلُ ثُمَّ يَتَلَاشَى فِيهَا

أَلْمَائِتُ وَرَاءَ الْمَيْتِ . أَتَبْكِي مَيْتًا وَأَنْتَ مَائِتٌ ؟
هَلِ الْقَطْرَاتُ الْمَاطِبَةُ فِي الْعُمُقِ دَمْعَةٌ تَجْرِي إِثْرَ دَمْعَةٍ ؟
لَنْ مَاتَ الْيَازِجِيُّ ، فَقَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهِ النَّبِيُّونَ
وَمَاتَ أُمَّهُ أَهَانَ الرَّدَى أَعْرَاءَهَا وَصَغَرَ كِبَرَاءَهَا

فَلِمَ تَبْكُونَ رَاحِلًا أَيُّهَا الرَّاحِلُونَ؟ أَأَنْتُمْ بَعْدَهُ فِي خُلُودٍ؟
أَمْ هِيَ دُمُوعٌ يَقْرِضُهَا السَّلَفُ، لِيَفِيَهُمْ أَيَّاهَا الْخَلْفُ؟
لَا . . . وَإِنَّمَا نَبْكِي مِنَّا بَعْضَنَا الَّذِي ذَهَبَ مَعَ الذَّاهِبِ
نَبْكِي مَنَامِنَّا مِنْ أَنْسِهِ وَعِلْمِهِ وَأَخْلَاقِهِ
نَبْكِي مَفْقُودَنَا مِنْ مَعَاهِدِهِ فِي الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ
نَبْكِي مَا أَلْفَنَاهُ مِنْ مَشْهُودِهِ وَمَسْمُوعِهِ

فِيَا مَنْ يُكْبِرُ جَزَعَنَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ! إِنْ أَلَيْتَ يُبْكِي بِمِقْدَارِهِ
وَإِنَّ النَّفْسَ بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَلْفِ بِمَصَالِحِهَا
لَا تَأْسَفُ عَلَى الشَّمْسِ الْمُتَوَارِيَةِ بِالْحِجَابِ
أَسْفَهَا عَلَى أَى نَجْمٍ يَتَوَارَى، وَلَوْ كَانَ فِي فُلْكِهِ شَمْسًا

أَكَانَ الْيَازِجِيُّ مِنْ أَرْوَاحِنَا بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ مِنَ الْعِيُونِ؟
فَيَكُونُ حِدَادُنَا عَلَيْهِ حِدَادَ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ؟
نَعَمْ! كَانَ يَعْلَمُهُ كَالشَّمْسِ إِنْارَةً وَإِشْرَاقًا
وَلَكِنَّهُ كَانَ كَالرَّوْضَةِ بِأَفَانِينَ آدَابِهِ وَمَعَارِفِهِ
سِوَى أَنَّهُ كَانَ كَالزَّهْرَةِ بِوَدَاعَتِهِ، وَعُرْفِهِ، وَنَفْعِ مَا يَعْقِرُ قَلْبَهُ
وَلَمْ تَكُنْ أَشْعَبُهُ جَارِحَةً لِلْعِيُونِ بِقِحِّيَّهَا، وَإِنَّمَا كَانَتْ بَلْسَمًا لِلْعِيُونِ

وَلَمْ تَكُنْ مِمَّارُهُ وَأَشْجَارُهُ تَنْسِيقَ تِجَارَةٍ وَلَا زِينَةَ مُفَاخَرَةٍ
وَلَمْ يَكُنْ عَرَفُهُ دَعْوَةً لِلْإِعْجَابِ بِهِ ، بَلْ نَسَمَةَ رُوحٍ مُتَذَكِّرَةٍ

شَبَّحُ نَحِيلٍ ضَمَّ قَلْبًا رَقِيقًا وَعَقْلًا كَبِيرًا
فَقَدْنَاهُ ، فَقَدْنَا لُغَةً فِي يَرَاعِ
فَقَدْنَا زَهْرَةَ ذَابِلَةٍ تُنْذِرُ بِذُبُولِ الْحَدِيقَةِ
فَقَدْنَا حَدِيقَةَ مُتَجَرِّدَةٍ تُنْبِئُ بِزَوَالِ الرَّبِيعِ
فَقَدْنَا رَبِيعًا انْقَضَى بِهِ عَصْرٌ فِي عُمُرِ رَجُلٍ
فَقَدْنَا شَمْسًا أَطْلَمَتْ ذَلِكَ الرَّبِيعَ وَزَانَتْهُ بِأَنْوَارِهَا وَأَنْدَائِهَا
ثُمَّ غَرَبَتْ عَنْهُ بَلَا تَدْرُجُ فِي الْإِنْتِقَالِ وَمَالَتْ إِلَى الشِّتَاءِ

إلى العالم القانوني الأديب

اسكندر عموت بك

وقد ترك منصبه في القضاء وانصرف إلى المحاماة

أخا الحزم نبئني أفرقت عن حزمٍ
وقد كنت ذاك العادل الفاضل الذي
أجدك بعد الفصل في الناس تبتغي
مكانتك الشَّاء من منصب الحكم؟
عفا أو جفا لم يقض إلا على الظلم
مقاماً؟ وماذا بعد منزلة النجم؟

ألا إنها العلياء في النفس كنهها
فإن طهرت نفس فما الفخر ظاهراً
ونيل الأمانى كلها دون هفوة
على أنها الأحداث تعرض للنهي
إذا المرء لم يمنع شهادة ما اختفى
فقد يخطيء الحق الصريح إذا قضى
وما هي في دنت ولا في اشتها اسم
بفخر وليس الجاه خيراً من العدم
يسوء بها قاض مسوءاً بلا جرم
فتخفي ضياء الحق عن ثاقب الحلم
وأمناً من البلوى وتما من العلم
ويأخذ بالإنم البريء من الإنم

برخت سماء للقضاء إذا صفت
وآثرت ميدان « المحاماة » دونها
ففي كل يوم أنت صانع رحمة
فأخيت فقد ترمي بمردية الرجم
مجالاً رحيباً للمرأة والعزم
وفي كل يوم غانم أجر ذي غرم

وَمَسَّهِمْ فِي غَفَلَةِ الْعَدْلِ وَاقِفٍ . مِنْ الْمَوْتِ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْخَشْبِ الْبُكْمِ .
 نَهَضَتْ لِذَفْعِ الْوَيْلِ عَنْهُ بِهِمَّةٍ هِيَ الْوَيْبُ فِي الْأَرْيَاحِ وَالْوَقْرُ فِي الشَّمِّ .
 وَنَاضَلَتْ عَنْهُ مُسْتَجِيرًا مَلَانِيَا شَفِيحًا ضَلِيحًا نَافِي الرِّيبِ بِالْجَزْمِ .
 بِزَارَةِ رِثْبَالٍ وَتَطْرِيْبٍ سَاجِعِ وَعَظْفَةٍ مُهْتَزِّ وَلَهْفَةٍ مُهْتَمِّ .
 وَرِقَّةٍ مُخْتَالٍ وَشِدَّةٍ مُفْجَمِ . يُنَسِّمُ عَنْ رَوْضٍ وَيُعْدِقُ عَنْ يَمِّ .
 وَتَقْلِيْبٍ شَبِهِ الْبَرْقِ وَزِيَا وَرَوْنَقَا مِنْ الرَّأْيِ فِي أَدْجَى مِنَ السُّحْبِ الدُّهْمِ .
 فَلَمْ يَلْبَثِ الْمَنْكُودُ حَتَّى تَحَوَّلَتْ بِهِ حَالَةٌ مِنْ حَرْبٍ دَهْرٍ إِلَى سِلْمِ .

لَوْ النَّاسُ أَرْقَى فِطْنَةً وَسَلِيْقَةً لَمَا كَانَ مِنْ قَاضٍ وَلَا كَانَ مِنْ خَصْمِ .
 غَآمًا وَهُمْ مَا قَدَّ عَهْدَتْ وَلَمْ تَزَلْ بِهِمْ حَآجَةُ الْأَفْرَاسِ لِلْسَّرْجِ وَاللَّجْمِ .
 فَإِنَّ وَلِيَّ الذُّوْدِ عَنْهُمْ لِيَجْهَلِهِمْ أَحَبُّ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ مَوْجِعِ الْحَكْمِ .

رَمَعْنَا وَرَاعَ

يَا مَنْ نَأَتْ وَالرُّوحُ فِي إِثْرِهَا هَائِمَةٌ مِنْ نَزَوَاتِ الْأَلَمِ .
 لَا تَمْنَعِي الْأَرْوَاحَ مِنْ قُبْلَةٍ لَعَلَّ رُوحِي بَعْضُ تِلْكَ النَّسَمِ .

التمثيل

إلى أستاذ الصناعة ومنعشها من العثار

الشيخ سلامه حجازى

يَا مُرْجِعَ الْمَاضِينَ مِنْ أَرْمَاسِهِمْ فِي الْعَصْرِ مَا يَكْفِيهِ لِلِإِمْتِنَاعِ
أَتُعِيدُهُمْ لِيَفِيدَ أَرْبَابُ الْحَجَبَى بِطَرَائِفِ مِنْ رُؤْيَةٍ وَسَمَاعِ ؟
وَإِذَا أَجَدْتَ فَهَلْ مَرَامُكَ فَوْقَ أَنْ يَصِفُوكَ بِالِإِتْقَانِ وَالِإِبْدَاعِ ؟

لِمَ عَوْدُ « أوتللو » وَعُقْبَى حَالِهِ مَوْتُ الْفَشُومِ وَصَرَعَةُ الْخَدَّاعِ ؟
أَوْ عَوْدُ « هَمَلت » وَالْقَضَاءِ رَمَى بِهِ فَأَصَابَ مُهْجَةَ عَمِّهِ الْمِطْمَاعِ ؟
أَوْ « رُومِيُو » وَهُوَ اللَّذَمُ الْمَهْدُورُ فِي ثَأْرِ تَخَلَّفَ عَنْ قَدِيمِ نِزَاعِ ؟
أَوْ « وليم » الْوَافِي بِنَذْرِ اللَّهِ فِي مُتَطَاخِنِ الْأَدْيَانِ وَالْأَشْيَاعِ ؟
أَوْ ذَلِكَ الْفَادِي أَبَاهُ بِحُبِّهِ « لُدْرِيْقُ » خَيْرِ ابْنِ وَخَيْرِ شُجَاعِ ؟

أَضْحَكَ جُمُوعَكَ تَارَةً أَوْ أَبْنِيَهُمْ أَوْ أَرْضِيَهُمْ بِمَحَاسِنِ الْإِقْنَاعِ
وَأَعَدَّ إِلَيْهِمْ مَا مَضَى بِرِجَالِهِ وَأُصُولِهِ وَحِلَاةُ وَالْأَوْضَاعِ
وَإِهْوَالَ الْفَضِيلَةِ عَنْ هَوَى أَوْ أَغْرِيهِمْ بِغَرَامِيهَا وَتَغَالٍ فِي الْإِقْنَاعِ
إِنِّي أَرَى التَّمْثِيلَ بَعَثًا وَعَظْمًا فِي فِتْنَةِ الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ

تهنئة بمولود

في ليلة أنس وصفاء بمنزل سعادة السرى الأمثل عطا
حسنى بك . قلت لساعتها إجابة لاقتراح بعض الأصدقاء

فِيكَ انْجَلَى يَا لَيْلُ طِفْلٌ صَغِيرٌ

فَوْقَ السَّرِيرِ

طِفْلٌ كَجَدِّهِ سَرِيٌّ أَمِيرٌ

لَمَّا بَدَا نَادَى بِشِيرُ الصَّفَاءِ

بُشْرَى الْعَلَاءِ

بُشْرَى الْهُدَى بُشْرَى النَّدَى وَالْوَفَاءِ

مُحَمَّدٌ لَا يَدْعُ أَنْ يُؤْمَلَ

إِذْ أَقْبَلَ

لِلْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ بَيْنَ الْمَلَأِ

هَذَا كَرِيمٌ مِنْ كَرِيمِ آتَى

نِعْمَ الْفَتَى

قَدْ طَابَ غَرْسًا وَزَكَا مَنِبَتَا

إِنِّي أَرَاهُ وَكَأَنَّ الْمَنَى
أَسْمَعُنَا
فِيهِ فَحَقَّقْنَا بِهِ قَالَنَا
أَرَاهُ مِقْدَامًا لُجْنِدِ الْوَطَنِ
ضَنَّ الزَّمَنُ
بِمِثْلِهِ بَيْنَ رِجَالِ الْفِطَنِ
أَرَاهُ يُوحِي وَحْيَهُ شَاعِرًا
أَوْ نَائِرًا
كَالنَّجْمِ مِنْ عَلَيَّانِهِ سَافِرًا
أَرَاهُ فِي الْفَضْلِ رَفِيعَ الْعِلْمِ
ثَبَّتَ الْقَدَمَ
يَخْكِي أَبَاهُ بِمِضَاءِ الْهَمَمِ
فَلْيَحْفَظِ اللهُ الْعَلِيَّ الْقَدِيرَ
هَذَا الصَّغِيرَ
فَهُوَ رَجَاءٌ لِلْمَعَالِي كَبِيرَ

الجوهر المكذوب

جرى صبر تصدى فيه أحد الشعراء لإنشاد شيء من الشعر وكانت في المجتمع
سيدة ذات قرطين جميلين . فقال الناظم يصفها ويمدح الأستاذ المنشد :

أُذُنَانِ أُمُّ أَقْطَانٍ يَبْدُو فِيهِمَا نَجْمٌ لِمُشَبِّهِهِ الْأَعْرَجُ مُحَاذِي
لِلَّهِ جَوْهَرَتَاكَ مَا أَبْنَاهُمَا ! أَتُرَاهُمَا مِنْ مَنْطِقِ الْأُسْتَاذِ؟

فراب السيدة قصد الناظم من مدحه للأستاذ ومدحه لجوهرتها بسببه ، وأرادت أن
تحول عنها الأنظار بنكتة لطيفة تأخذ بها ثأرها . فقالت إن كانت هذه قيمة ما يقول
الأستاذ وهذه فراستك ، فإن الجوهرتين مكذوبتان . فضحك الحاضرون وقال الناظم:

أَبَتِ النَّزَاهَةُ لِلْمَلِيحَةِ أَنَّهَا تَرْضَى بِغَالِي الْمَدْحِ وَهُوَ مُرِيبُ
فَرَمَتْ بِمَا عَمَزَ الْأَدِيبَ وَنَالَني مِنْهُ وَنَالَ الدُّرَّتَيْنِ نَصِيبُ
قَالَتْ أَتَكْذِبُكَ الْفِرَاسَةُ؟ لَيْسَ فِي أُذُنِي إِلَّا جَوْهَرٌ مَكْذُوبُ

حكاية نشر هذا الديوان

الى صديق الحبيب ومرشدى الحكيم

رزق الله هورى

من أعيان القاهرة

نَظَمْتُ هَذِهِ الْفِكْرَ ذَاتَ شُؤْنٍ وَعِيبٍ
وَلَا أَقُولُ إِنِّي قَدْ صُنَّهَا صَوْنِ الدُّرِّ
أَرْسَلْتُهَا كَمَا أَنْتَ بَيْنَ غُيَابٍ وَحَضْرٍ
أَوَّابِدًا لَمْ يَكُ لِي مِنْهَا بِتَأْيِيدٍ وَطَرٍ
وَلَمْ أَخْلِنِي إِنْ أُمْتُ يَسْتَحِينِي هَذَا الْأَثَرُ
كَظَنَّ كُلُّ مَنْ بَدَأَ لَهُ خِيَالٌ فَشَعَرَ
وَوَظَنَّ كُلُّ مَنْ رَأَى مَوْضِعَ نَثْرِ قَذَرٍ
يَجْسَبُ تَيْهَا أَنَّهُ غَزَا الْخُلُودَ فَانْتَصَرَ

وَمَ قَدِيمٌ ، سِيرَتِي فِيهِ عَلَى غَيْرِ السَّيْرِ
مَا أَكَلَفَ الْإِنْسَانَ بِالسَّبْقَاءِ حَتَّى فِي خَبَرٍ
وَمَا أَشَدَّ وَدَّهَ لَوْ يُسْتَدَامُ فِي حَجَرٍ
كَمْ خَاطِرٍ دَوَّنَهُ كَاتِبُهُ حِينَ خَطَرٍ

وَقَالَ : هَذَا مُكْسِي لَا شَكَّ إِعْجَابَ الْبَشَرِ
 إِذْ يَعْلَمُونَ أَنِّي صَاحِبُ هَذَا الْمُبْتَكِرِ
 حَتَّى الْبُكَاءِ وَالشُّرُ رُ حِينَ يَبْكِي أَوْ يَسُرُّ
 يَخْطُهُ كَأَنَّهُ جَوْعَانُ يَسْتَجِدِي النَّظْرُ

لَكِنِّي وَأَنْتَ تَدْرِي أَيُّهَا الْأَخُ الْأَبْرُ
 لَمْ أَتَمَنَّ مَرَّةً هَدَى الْأَمَانِي الْكَبْرُ
 وَلَمْ أَبَالِ مُضْحَقًا لِي انطَوَى أَوْ انْتَشَرَ
 وَلَمْ أَبَالِ اسْمِي إِنْ لَمْ يُشْتَهَرَ أَوْ اشْتَهَرَ
 أَلَا وَقَدْ عَلَّمَتْنِي بِمَشْهَدِي وَمُخْتَبَرِي
 كَيْفَ يَكُونُ أَحْكَمَ السُّفَّارِ ، وَالْعُمُرُ سَفَرُ
 « يَاخُذُ فِي مَسِيرِهِ مَا يُجْتَنِي مِنَ الثَّمَرِ
 وَيَجْتَلِي حُسْنَ الشَّهْيِ إِنْ فَاتَهُ حُسْنُ الْقَمَرِ
 وَيَضْطَنِّي رِفَاقَهُ لِلْإِنْسَانِ وَالسَّمَرِ
 مُجَامِلًا أَمْثَالَهُ عَلَى الرَّخَاءِ وَالْفَيْزِ
 مُجْتَنِبًا زَلَّاتِهِمْ مُفْتَفِرًا مَا يُغْتَفَرُ
 مُنْتَبِذَ السَّبْلِ الَّتِي تَعْلِقُ بِالثَّوْبِ الْوَضْرُ
 مُسْتَنْصِفًا وَمُنْصِفًا فِي الْوُدِّ أَوْ فِي الْمَتَجَرِّ

مُسْتَسِيكًا بِالْحَقِّ لَا
 يَجْرِي عَلَى حُكْمِ النَّهْيِ
 فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا لَهُ
 إِنْ يُوْتَ فَضْلًا بِئْسَ
 يَشْرِكُهُمْ فِيهِ وَلَوْ
 وَلَمْ يَصْنَعْ لَهُمْ
 وَلَمْ يُبَدِّدْهُ سُدَىٰ
 بِغُرَّةٍ وَتَمَّ أَغْرَةٌ
 وَلَا يُغَالِبُ الْقَدَرَ
 حِكْمَةٌ وَرِدٌّ وَصَدْرٌ
 فِي النَّاسِ فَعَلَّ مَنْ شَكَرَ
 إِشْرَاكَ سَمِعَ وَبَصَرَ
 صَوْنٌ بِخَيْلٍ مَا آدَخَرَ
 بِمَا تَبَاهَىٰ وَافْتَخَرَ

ذَلِكَ مَا أَفَدْتَنِي وَهُوَ عِيُونٌَ وَغُرٌّ
 فَلَسَقَهُ خَلْقِيَّةٌ أَلْفَتَهَا مِنَ الصَّغْرِ
 عَنْ فِطْرَةٍ سَامَىٰ بِهَا نَقَاؤُهَا أَسْمَىٰ الْمِطْرُ
 أَخَذْتُ عَنْكَ آيَهَا وَلَمْ تَفْصَلْ فِي سُوْرٍ
 حَضَرْتُهَا كَقَارِيءٍ مَغْرَىٰ النَّهْيِ فِي مُخْتَصَرٍ
 أَرْتَنِي الدُّنْيَا وَبِي عَنْهَا جَلَالٌ وَكِبَرٌ
 وَأَزْهَدْتَنِي فِي الْمَدِيحِ وَالْأَبَاطِيلِ الْآخِرِ
 يَوْمَ أَيْتُ هَامِدًا مِثْوَايَ فِي إِخْدَىٰ الْحَمْرِ
 لَكِنَّ مِنْهَا دَاعِيَا أَجَبْتُهُ وَقَدْ أَمْرٌ
 قَالَ : « دَعِ الْآتِي لِـ لَغِيْبٍ وَخُذْ بِمَا حَضَرَ

صِفْ لِلرَّفَاقِ مَا تَرَى مِنْ زُهْرٍ وَمِنْ زَهْرٍ
أَنْشِدْهُمْ مَا يَجْلِبُ الصَّغَاءُ أَوْ يَنْفِي الكَدْرَ
حَذِّرْهُمْ مَا فِي الطَّرِيقِ مِنْ بَلَاءٍ وَخَطَرٍ
مَكَّنْ حَتَّى مَرُوعِهِمْ وَلَا تُؤَاوِزْ مَنْ وَزَرَ
أَرْشِدْ بِرَفْقٍ تَارَةً وَتَارَةً بِمُزْدَجَرَ

يَا مَنْ دَعَايَ ! أَنَا مَنْ إِنْ يُدْعَ لِلْخَيْرِ ابْتَدَرَ
النَّاسُ بِالنَّاسِ وَكُلٌّ وَاهِبٌ عَلَى قَدَرٍ
وَشَرُّهُمْ مَنْ اسْتَطَاعَ عَ أَنْ يُفِيدَ فَأَعْتَدَرَ
لَوْ لَمْ تَكُنْ مُجَرِّئِي هَذَا الْكِتَابُ مَا ظَهَرَ
وَلَيْسَ إِلَّا قِصَصًا إِلَى شُجُونٍ وَذِكْرٍ
وَنَفَحَاتٍ بَاقِيًا تِ مِنْ شَبَابٍ قَدْ عَبَّرَ
وَسَائِحَاتٍ مَنَحَتْ بَيْنَ غُرُوبٍ وَسَحَرٍ
فِي مُسْتَضَاءِ الْخَمْرِ أَوْ فِي مُتَفَيِّئِ الْخَمْرِ
تَحْتَ مَرَايِ الشُّهْبِ أَوْ بَيْنَ مَلَا حِظِّ الشَّجَرِ
خَوَاطِرُ وَضَاءَةٌ بِهَا مَلَامِحُ السَّهْرِ
أَلْبَسْتُهَا مِنْ أَدْمَعِي وَمِنْ دَمِي هَدَى الْخَبْرُ

قَشِيْبَةٌ غَرِيْبَةٌ عَصْرِيَّةٌ نَسَجَ مُضَرٌّ

ذَلِكَ دِيْوَانِي وَمَا أَزْجِيْدُ إِزْجَاءَ الْفَرَزِ
فَإِنْ أَفَادَ رَاحَةً أَوْ سَلَوَةً مِنَ الضَّجْرِ
أَوْ حِكْمَةً تُرَاخِذُ عَنْ مُتَمَطِّيرٍ وَمُتَعَبِّرٍ
فَهُوَ الَّذِي نَشَرْتُهُ لِأَجْلِهِ بِلَا حَذَرٍ
وَبَعْدَ ذَلِكَ لَا يَكُنْ لِي إِفْتِخَارٌ أَوْ خَطَرٌ

اللعب بالشَّموس

وصف الناظم العوبة كانت في يد سيدة تديرها فنثر نجومًا وشموسًا فقال :

أَرِينَا بِالْعُوبَةِ فِي يَدَيْكَ عَجَائِبَ لَعِبِ الْهَوَى بِالرُّؤُوسِ
تُدَارُ فَتَمَطِّرُنَا أَنْجُمًا وَتَبْهَرُنَا بِصِفَارِ الشُّمُوسِ
وَمَا هِيَ إِلَّا دُمُوعُ الْمَنَى وَمَا هِيَ إِلَّا شِعَاعُ النُّفُوسِ

حق الوطن

وحق الأبناء

هي الرثية التي أنشدها الناظم على ضريح
الغفور له مصطفى كامل باشا في حفلة الأربعين

أَعْلَى مَكَاتِكَ الْإِلَهُ وَشَرَفًا فَانْعَمْ بِطَيْبِ جِوَارِهِ يَا مُصْطَفَى
الْيَوْمَ فُزْتَ بِأَجْرِ مَا أَشَقَقْتَهُ خَيْرًا، وَكُلِّ وَاجِدٌ مَا أَسْلَقَا
وَجُرَيْتَ مِنْ فَاثِي الْوُجُودِ بِخَالِدٍ وَمِنْ الْأَسَى الْمَاضِي بِمُقْتَبَلِ الصَّفَا

أَعْظَمُ بِيَوْمِكَ فِي الزَّمَانِ وَمَنْ لَهُ بِكَ وَاصِفًا ذَاكَ الْجَلَالَ فَيُوصَفَا ؟ !
يَوْمَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ تَنَزَّلُوا حَانِينَ حَوْلَكَ فِي السَّرِيرِ وَعُكْفَا
وَتَحَمَّلُوكَ عَلَى الْأَشِعَّةِ وَارْتَقَوْا سِرْبًا يَجُوزُ بِكَ الدَّرَارِيَّ مُوجِفَا
فَوَرَدْتَ وَرَدَكَ فِي الْخُلُودِ مُنْعَمَا وَالْأَرْضُ مَائِدَةٌ عَلَيْكَ تَأْسُفَا
لَمْ تُلَفْ قَبْلَكَ أُمَّةٌ فِي مَشْهَدٍ يُدْرِي الرَّجَالُ بِهِ الْمَدَامِغَ ذُرْفَا
مُتَشَاقِلِينَ مِنَ الْوَقَارِ وَإِنَّمَا سَارُوا بِطَيْفِ نَاحِلٍ أَوْ أَنْحَفَا
يَخْرُ مِنْ الْأَحْيَاءِ نَفْسُكَ فَوْقَهُ فُكُّ يُظَلِّلُهُ اللَّوَاهُ مَرْفِرَفَا
يَبْكُونَ فِي آثَارِهِ الْعَلَمَ الَّذِي آثَارُهُ مِنْ رِفْعَةٍ لَا تُقْتَنَى
سَعَتِ الْخَوَادِرُ حَاسِرَاتٍ وَالْأَسَى مُلَى عَلَى الْأَبْصَارِ سِتْرًا أُغْدَفَا

وَلَنْ سَفَرْنَ وَلَمْ يَخْلَنْ فَإِنَّهُ
فَرَعَ الشَّبَابُ إِلَى الشُّيُوخِ بِثَأْرِهِمْ
وَمِنَ النَّضَاضَةِ إِنْ دَعَا دَاعِيَ الْعُلَى
جَزَعُ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ لِمُسْلِمٍ
يَكُونُ الْمَرْجَى فِي خِلَافِ عَارِضٍ
وَأَشَدُّ رُزْءَ الْمُسْلِمِينَ وَحُزْنُهُمْ
مَنْ بَعْدَ كَاتِبِهِمْ وَبَعْدَ خَطِيبِهِمْ
خَطْبُ الْآنَ بِرَوْعِهِ صُمَّ الصَّفَا
مِنْ دَمْعِهِمْ إِنْ خَانَهُمْ فَتَكْفِكَفَا
بَعْدَ الْفَقِيدِ قَتَى بِهِمْ فَتَوْقَفَا
هُوَ خَيْرٌ مَنْ وَالَى وَأَوْفَى مَنْ وَفَى
لِيُزِيلَ ذَاكَ الْعَارِضَ الْمَتَكَشِّفَا
لَمَّا مَضَيْتَ وَوَلَسْتَ فِيهِمْ مُخْلِفَا
يُعَلِّي لَهُمْ صَوْتًا وَيَنْشُرُ مُضْحِكَا

مَنْ يُبْرِئُ الْإِسْلَامَ مِنْ تَهْمِ الْعِدَى
يُبْدِي لِأَعْيُنِ جَاهِلِيهِ فَضْلَهُ
وَيُبِيرُ مِنْ غَضَبِ الْغِضَابِ لِجَدِّهِ
لَكِنَّ مِنْ أَقْلَامِ صَحْبِكَ حَوْلَهُ
وَلَعَلَّ حُرًّا لَا يَدِينُ بِهِ أَنْبَرَى
قِفْ أَيُّهَا النَّاعِي عَلَيْهِ جُمُودَهُ
إِنْ يَفْتَرِ الشَّمْسَ الْكُفُوفَ هُنَيْهَةً
وَهَلِ الْكُفُوفُ سِوَى تَعْرِضِ حَائِلٍ
لَمْ تَنْزِلِ الْأَدْيَانُ إِلَّا هَادِيَا
بِشِعَارٍ حَتَّى عَلَى الْقَلَّاحِ وَمَا بِهَا
وَبَرُّدٌ نَقَدَ النَّاقِدِينَ مُزَيِّفَا؟
وَيُزِيلُ مَا يَلِدُ التَّنَاكُرُ مِنْ جَفَا
هِمَا تَعِيدُ لَهُ الْقَامَ الْأَشْرَفَا
سُمْرًا تَهْرُؤُ لِكُلِّ خَطْبٍ مَعْطِفَا
لِيُدُودَ عَنْهُ خَصْمَهُ الْمُتَعَسِّفَا
فَلَقَدْ تَجَاوَزَتْ الْهُدَى مُتَفَلِّسِفَا
أَيَكُونُ مَنْقَصَةً لَهَا أَنْ تُكْسَفَا؟
يَبْنِي أَشْعَثَهَا إِلَى أَنْ يُكْشَفَا؟
لِلْعَالَمِينَ وَرَادِعَا وَمُتَّقِنَا
إِنْ قَصَرَ الْأَقْوَامُ عَنْهُ فَأُخْلِفَا

وَيَكُلُّ أَمْرٍ مُّوجِبٍ إِصْلَاحَهُمْ إِنَّ خَالِقُوهُ فَمَا اسْتَحَالَ وَلَا انْتَسَى
 قَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ عَهْدٌ بِأَهْرٍ نِلْنَا بِهِ هَذَا الرُّقِيَّ مُسْتَقًا
 مَلَأَ الْبِلَادَ إِنْارَةً وَحَضَارَةً وَمَنَى السَّمَاخَةَ عَوْدَهُ مُسْتَانِفًا
 فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِيهِ مُقْبِلًا وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ أَنْ يَتَخَلَّفَا
 يَدْعُو الْبَقَاءَ إِلَى التَّكَافُوفِ بِالْقَوَى بَيْنَ الْعَنَاصِرِ أَوْ يُهَيِّنَ وَيَضَعِفَا
 وَاتَّخَلَّقُ جِسْمٌ إِنْ أَلَمَ بِبَعْضِهِ سَقَمٌ وَلَمْ يُتَلَفَ عَمٌّ وَأَتَلَفَا

«مِصْرُ» الْمَرْزُوقَةُ قَدْ ذَكَرْتُ لَكَ اسْمَهَا وَأَرَى تُرَابَكَ مِنْ حَنِينٍ قَدْ هَمَا
 وَكَأَنِّي بِالقَبْرِ أَصْبَحُ مِنْبَرًا وَكَأَنِّي بِكَ مُوشِكٌ أَنْ تَهْتِفَا
 «مِصْرُ» الَّتِي لَمْ تَحْطَ مِنْ نُجْبَاتِهَا بِأَعَزِّ مِنْكَ ، وَلَمْ تَعْرِ بِأَحْصَا
 «مِصْرُ» الَّتِي لَمْ تَبْنِ إِلَّا نَفْعَهَا فِي الْحَالَتَيْنِ مُلَانِيًا وَمَعْنَفَا
 «مِصْرُ» الَّتِي غَسَلَتْ يَدَاكَ جِرَاحَهَا بِصَبِيبِ دَمْعِكَ جَارِيًا مُسْتَنْزَفَا
 «مِصْرُ» الَّتِي كَافَحْتَ لُدَّ عُدَاتِهَا مُتَصَدِّرًا لِرُمَاتِهَا مُسْتَهْدِفَا
 «مِصْرُ» الَّتِي سَقَتَ الْجِيُوشَ مَنَاقِبَا وَمَنَى لِتَكْفِيهَا الْغَيْرَ الْمُجْحِفَا
 «مِصْرُ» الَّتِي أَحْبَبْتَهَا الْحُبَّ الَّذِي بَلَغَ الْقِدَاءَ تَزَاهَةً وَتَمَقَّفَا
 حَتَّى مَضَيْتَ كَمَا ابْتَغَيْتَ مَوْلَانَا مِنْ شَمْلِهَا مَا لَمْ يَكُنْ لِيُؤَلَّفَا
 أُمْنِيَّةٌ أَعَيْتَ خِصَالِكَ دُونَهَا لَوْ لَمْ يُضَافِرْهَا رَدَاكَ فَيُسْنِفَا

وَهِيَ الَّتِي لَوْ قُسِّتْ لَنَا بِهَا شَعْبٌ يَغْرُ بِنَفْسِهِ مُسْتَنْصِفًا

مَنْ كَانَ أَجْرًا مِنْكَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ
مَنْ كَانَ أَقْدَرَ مِنْكَ تَضْرِيْفًا لِمَا
مَنْ كَانَ أَطْهَرَ مِنْكَ خُلُقًا جَامِعًا
مَنْ كَانَ أَسْمَحَ مِنْكَ مَنَاقِمًا لِمَا
مَنْ كَانَ أَصْدَقَ مِنْكَ لَا مُتَنَصِّلًا
بِالْحَقِّ، لَا شَكِيًّا وَلَا مُتَصَلِّفًا؟
يُنْسِي الْحَكِيمَ مَدْبِرًا وَمُصْرَفًا؟
فِيهِ مَهِيْبَ الطَّبَعِ وَالْمُسْتَظْرَفَا؟
تَهْوَى وَمِعْطَاءَ لِفَيْرِكَ مُسْرِفًا؟
بِمَا تَقُولُ وَلَا تَعَاهِدُ مُخْلَفًا؟

يَا مَنْ نَعَى تِلْكَ الْفَضَائِلَ وَالْعُلَى
لَا لَا وَحَقِّكَ يَا شَهِيدَ وَفَائِهِ
مَا أَنْتَ بِالرَّجُلِ الَّذِي يُمَسِي وَقَدْ
إِنِّي أَرَاكَ وَلَا تَزَالُ كَعَهْدِنَا
ثَابِرًا عَلَى تِلْكَ الْعَزَائِمِ ذَائِدًا
أَصْدِرُ صَحَائِقَكَ الَّتِي تُخْسِي بِهَا
تَجْرِي بِهَا الْأَنْهَارُ وَهِيَ دَوَاقِقُ
وَتَكَادُ أَنْطَرُهَا تَهْبٌ نَوَاطِقًا
فَإِذَا حَنَوْتَ عَلَى الْجَمَى مُتَحَبِّبًا
وَكَاثِمًا الْأَلْفَاظُ بِمَا خَفَّتْ
أَغَدَّتْ مَعَالِمُهُنَّ قَالًا صَمْتًا؟
وَرَجَائِهِ كَذَبَ النَّعْيِ وَأَرْجَفَا
مُلَى الْوُجُودُ بِهِ وَيُضْبِحُ قَدْ عَفَا
بِكَ فِي جِهَادِكَ أَوْ أَشَدَّ وَأَشْعَفَا
عَنْ «مِصْرَةَ» تَضْرِبُ فِي الْبِلَادِ مُطَوِّفَا
نِضْوِ الطَّرِيقِ وَتَدْفَعُ الْمُتَخَلِّفَا
هِمَا وَتُوشِكُ أَنْ تَطْمُ فَتَجْرِفَا
وَيَكَادُ يَعْرِفُ كُلُّ حَرْفٍ مَعْرِفَا
فَهُوَ النَّسِيمُ وَقَدْ ذَكَرَا وَتَلَطَّفَا
نَقَشَ الْمِدَادُ رُسُومَهَا وَتَحَقَّفَا

تَسْتَأْمِنُ مِنْ أَهْوَابِهَا أَرْوَاحُهَا
قُمْ لِلخَطَابَةِ فِي اللِّجَامِجِ وَامْتَلِكْ
أَعْدِ القَدِيمَ مِنَ المَمَالِكِ وَالقُرَى
شَدِّدْ عَزَائِمَنَا وَقَاتِلْ ضَعْفَنَا
مَا هَذِهِ الآيَاتُ يَرْمِي لَفْظَهَا
مَا ذَلِكَ التَّرْضِيعُ لَيْسَ مَرْصَعًا؟
وَحَيُّ بِأَهْجِيَةٍ إِذَا مَا أُطْلِقَتْ
تُخْبِي حَرَارَتَهَا وَيَهْدِي نُورَهَا
تَاللَّهِ مَا أَنْتَ الخَطِيبُ وَإِنَّمَا
عَنْ نَطْقِهِ تَقَعُ الصُّرُوفُ مَوَاعِظًا
وَتَعَاوُفُ تَحْلِيَةٍ لَيْسَ تَكْتِفَا
تِلْكَ النُّفُوسَ مَرُوعًا وَمُسْتَفَا
ذِكْرِي وَعَرَّفْنَا الحَيَاةَ لِنَعْرِفَا
حَتَّى نَبِيَّتَ وَلَا نَرَى مُتَخَوِّفَا
شَرًّا، وَمَهْوَى الشُّهْبِ فِيهَا أَخْرُفَا؟
مَا ذَلِكَ التَّفْوِيفُ لَيْسَ مُفَوِّفَا؟
هَبَطَتْ رَوَاسِبَ عَنْهُ، وَالْمَغْزَى ظَفَا
مَتَاهِلَ الإِشْرَاقِ أَوْ مُتَخَطِّفَا
وَقَفَ القَضَاءُ مِنَ المِنَصَّةِ مَوْقِفَا
وَكَا مَرِهِ أَمْرُ الزَّمَانِ مُصَرِّفَا

يَا حَبِذَا لَوْ أَكَلْتُ ذَلِكَ لَمْ يَزَلْ
وَالآنَ نَحْنُ لَدَى ثَرَاكَ نَحْجُهُ
نُنِّي، وَهَلْ يُوفَى ثَنَاؤُكَ حَقَّهُ؟
مَاذَا يُعِيضُكَ مِنْ شَبَابِكَ نَظْمَنَا
وَيُعِيضُ مِنْكَ وَكُنْتَ جَوْهَرَةَ الجَمِي
يَا أَخْلَصَ الخُلَصَاءِ أَبْكَى بَعْدَهُ
هَذَا مِثَالُكَ لَاحَ يَرَعَانَا وَقَدْ
لَكِنَّهُ حُلْمٌ مَضَى مُسْتَطَرِّفَا
مُتَلَهِّبِينَ تَشَوُّقًا وَتَشَوُّفَا
وَبِأَيِّ أَلْفَاظِ المَحَامِدِ يُكْتَفَى؟
فِيكَ الرُّثَاءُ مُنْسَقًا وَمُصَفِّفَا؟
صَوْنُ الكَلَامِ مَرْصَعًا وَمُزْخَرِّفَا؟
كَبُكَاءَ «مِصْرَ» تَحْرُقًا وَتَلَهِّفَا!
كَشَفَ الجَوَى عَنْهُ الحِجَابَ فَأَشْرَفَا

جَادَ الْهَيْلَالُ بِرَمِيمِهِ تَأْجِبًا لَهُ وَكَسْتَهُ نَاسِجَةُ الطَّهَارَةِ مُطْرَفًا

يَا مَنْ رَمَاهُ عُدَاتُهُ بِتَطْرَفٍ
كَهَوَاكِ لِلْأَوْطَانِ فَلْيَكُنِ الْهَوَى
يَجْرِي عَلَى قَدْرِ الْمَطَالِبِ نَامِيًا
أَنْشَأَتْ مِنْ «مِصْرَ» الشَّتَاتِ بِفَضْلِهِ
أَخَذْتِ فِيهَا أُمَّةً أَنْدَى يَدًا
عَرَفْتَ أَهْلِهَا حَقِيقَةَ قَدْرِهِمْ
نَفَحَاتُ رُوحِكَ خَامَرَتْ أَرْوَاحَهُمْ
حِصْنُ أَشْمُ تَسَانَدَتْ أَجْزَاؤُهُ
فَارَقْدُ رُقَادِكَ إِنَّ رَبَّكَ قَدْ سَحَا
حَقَّقْتَ آمَالَ الْهَدَى مُتَطْرَفًا
لَا مُفْتَرَى فِيهِ وَلَا مُتَكَلَّفًا
وَيَجِلُّ فِي سَجْرَاهُ عَنْ أَنْ يَصْدِفَا
«مِصْرَ» الْفِتَاةَ حَمَى يُعَزُّ وَمَأَلَمًا
لِلصَّالِحَاتِ وَبِالْعِظَامِ أَكَلَمًا
وَكَفَاهُمْ مِنْ قَدْرِهِمْ أَنْ يُعْرِفَا
فَهُمْ مَرَامُكَ سَاءَ دَهْرٌ أَوْ صَفَا
عِلْمًا ، وَأَمَّنَهُ النَّهْيُ أَنْ يُنْسَفَا
بِكَ ذَنْبَ «مِصْرَ» كَمَا رَجَوْتَ وَقَدْ عَمَا

فهرست القصائد

الصفحة	مطلعها	عنوان القصيدة
١٥	مشت الجبال بهم وسال الوادى	١٨٧٠ — ١٨٠٦
١٨	إذا ما رمى مصرأ بضعف وحطة	إلى الصديق على النزلاوى بك
١٩	ليسم في عيالك الرجاء	نصيحة
٢٠	قربته فما ارتوى	في تشيع جنازة
٢١	عاجت أصيلاً بالرياض تطوفها	المرآة الناظرة
٢٢	أنت بلا وعد ويا حسنها	المهرسة
٢٣	حسنا لكن تقور	بدر وبدر
٢٥	كأنوا ثمانية من الندماء	فاجعة في هزل
٢٦	يا بالغ الستين من عمره	إلى أديب بلغ الستين
٢٧	وافى الكتاب فأحي	جواب
٢٨	في زهرة العمر فتى نابه	ترحم على أحياء
٢٩	أرى مثل سهدى فى الكوكب	مشاكة بينى وبين النجم
٣٠	أدلت من الرأس فلا	قال فى سيدة زانت رأسها بطاقة قل
٣١	عزيز غروب البكر فى بكرة العمر	زفاف أم جنازة
٣٣	أذنت الشمس بالتوارى	الزهر
٣٥	تبارك الله فهو لمّا	الوردتان
٣٨	بين قلبى ومقلتى	قضية بين القلب والعين
٤١	أمات أولئك الجند الكرام	نابوليون الأول وجندى يموت

الصفحة	مطلعها	عنوان القصيدة
٤٤	ألتيل عبدك والمياه جوارى	تهنئة لسمو الحديو عباس على أثر فتح السودان
٤٦	هب أن قلبك عبد رقته	نصيحة للصديق يوسف اقيموس
٤٧	يا عيوننا تسقى العيون الرحيقا	إلى جميلة أديبة
٤٩	خرجت « هند » ذات يوم و « فوز »	يوسف افندى
٥٢	أعرف يا سيدتى عادة	لعز في الضمير أنت وفي اسم « آنت »
٥٣	لعينيك من جارة جأره	تبرئة
٥٥	سر العذارى منى	إن من البيان لسحرا
٥٩	قالوا « لنابوليون » ذات عشية	نابوليون وهو يرقب السماء في أخريات أيامه
٦٠	ما للمليك مؤرقا يتقلب ؟	السور الكبير في الصين
٦٣	داع دعاه إلى الجهاد فأزمعا	الترجسة
٦٤	يا عبرة الدهر جاوزت المدى فينا	شيخ أثينة
٦٦	أنا في الروض ساهر وهو نائم	وفاة عزيزين
٧٠	يعجز الفكر ما يريد القواد	تهنئة بزفاف الأستاذ تقولا توما بك
٧٢	من الملائم الأسمى على ذلك القبر	وثناء للمنفور لها الأميرة كاملة هانم

الصفحة	مطلعها	عنوان القصيدة
٧٣	يا من أضاعوا ودادي	الحمامتان
٧٥	ضمنت لهذا العهد ذكراً غلبها	تكريظ لهيوان شوقي
٧٦	يا من إليهم أهدى مثالي	للكتابة تحت رسم
٧٧	تداول قلبي وجدته فيك والذكر	إلى سمو الحديو عباس حلمي على أثر حادث سياسي ذئ خطر
٧٩	إربأ بنفسك أن تكون «نجيباً»	رثاء للشيخ نجيب الحداد
٨١	وقفت على القبر الذي أتت نازله	رثاء لأمين فكري باشا
٨٢	سيدتي إن تفسحي	شهيد المروءة وشهيدة الغرام
٩٤	فتى خبثت له الدنيا وطابا	رثاء السيد محمد وفاء زغالول
٩٥	وليلة راققة البهاء	وداع وسلام
٩٧	همم فجر الحياة بالادبار	قلعة بعلبك
١٠١	كنا وقد أزف للمساء	الصفور
١٠٤	شاد فأعلى ، وبني فوطدا	الأهرام
١٠٥	أشيري إلى عاصي الهوى يتطوع	وفاء
١١١	لو كان مما شاء ربك عاصم	للعريق ثار
١١٢	سوى الحب لا يشقى القواد للكلمة	العقاب
١١٨	تكتب يومياتها «عادله»	يوميات أدبية
١١٩	هذه تحفة الرياض إلى من	في إهداء باقة أزهار

الصفحة	مطلعها	عنوان القصيدة
١٢٠	سجدوا لكسرى إذا بدا إجلالا	مقتل بزرجمهر
١٢٤	يا حسنها حين تجلت على	الزهرة
١٢٦	جاء الكتاب وأصدق	صفقة خاسرة
١٢٩	لى ابن عم بالغ أربأ	حنا الصغير
١٣٠	دع ما ظفرت به من الأزهار	تهنئة بزفاف السيد أسعد رشيد مطران
١٣١	زرت حمى الحساء والشمس قد	قبلة عفاف
١٣٢	أوقد الصيف في الصعيد لظاه	عود من الصعيد
١٣٣	بنوك فروع للعلى وأصول	وفاة للملكة فكتوريا
١٣٤	ملامتكم عدل نو الحب يعدل	الوردة والزنبقة
١٣٧	وتفاحة أعطيتها تكرمأ	تفاحة ونعيم
١٣٨	كان ليل وآدمه في سبات	الاقتران (زفاف كريمة آل طنبه إلى السرى سليم بسترس بك)
١٤١	سلمت لو أن السهم سهم مقاتل	رثاء بشارة تقلا باشا
١٤٣	حب الفقر إلينا	في إحسان محسنة
١٤٤	داء ألم نخلت فيه شفأى	للساء
١٤٧	لك صدر المقام في كل ناد	باقة مائدة
١٤٨	ألبحر ساج والسكينة مائدة	فنجان قهوة

الصفحة	مطلوبها	عنوان القصيدة
١٥٥	أرأيت صوغ الدر في العقيان؟	العالم الصغير مرآة العالم الكبير
١٥٦	طففت والصبح طالبا في الجنان	الزنبقة
١٥٨	إن تستطع أتقد فتاك	إلى أب ثاكل
١٦٠	فهمت معنى العمر فهم الأرب	رثاء للراهب فلايانوس مطران
١٦٢	« أدماء » فتانة لعوب	الطفلة البورية
١٦٥	مزاج رقيق وجسم نحيف	اشتباه الضياء
١٦٦	عاش هذا الفتي حبا شقيا	إهداء ديوان
١٦٧	تجري على آمالك الأقدار	تهنئة بزفاف إالوجيه عمر سلطان بك
١٦٨	إلى صديق العزيز الحاضر	رسالة مفاكهة
١٧١	فيم احتباسك للقلم	حرب غير عادلة ولا متعادلة
١٧٩	طففت أمة الجبل الأسود	فتاة الجبل الأسود حكاية عاشقين :
١٨٥	أفتدى من لسعتها	سعادة الحب
١٨٥	مرّ لها الحسن على كونه	شكوى الحساء
١٨٦	وددت لو أن منطادا خفيفا	صعدة منطاد
١٨٦	إذا ما تردت الياض لتجلى	جواب سؤال
١٨٧	ضجيع مهد لظى الحمى يساورني	شغف وظما
١٨٧	إلى كم جوبى العمرا؟	شكوى

الصفحة	مطلعها	عنوان القصيدة
١٨٨	قيل غضبي وهل أجازى وغيرى	أعتاب
١٨٩	قوامك لا يعادله قوام	ليلة سعد
١٩٠	حملت مظلات لنا الشجر	آدم وحواء
١٩١	لك الأمر إن أنصفتي فكفى غنا	اعتذار
١٩٣	جلست إلى « هند » ذات مساء	أشعة رتجن
١٩٤	بينى وبينك يا « سلمى » مفاضبة	مفاضبة
١٩٦	أيا دار من أهوى فديتك دارا	تذكار
١٩٩	بالله بارىء حسنك العبود	القسم
٢٠١	يا أيها الطائر المغنى	عتاب
٢٠٥	أليف الصبي إن خانى بارح الصبي	روعة نبأ
٢٠٧	يا فرحاً بالربيع والزهر	تكذيب النبأ
٢٠٩	من بالنون لواله صب	شقاء الحب
٢١٣	عفاءً لهذا العيش مالى وماله	إلى حبيب ميت
٢١٤	إن لى قلباً خفوقاً	نعمة وذكرى
٢١٦	يا قلب مات بك الغرام	الأثر الباقي
٢١٨	أعد أيها المنديل ذكراً محبياً	المنديل
٢٢١	عاد الربيع وحبذا	دمعة على فقيده
٢٢٢	سررت فى العمر مرّة	كان
٢٢٣	أتت مصر تستعطى بأعينها النجل	الجنين الشهيد

الصفحة	مطلعها	عنوان القصيدة
٢٤٥	أنت تبغى السير	غرام طفلين
٢٤٩	يا ليلة فاجأتُ سرب العيد	جلوى العيد
٢٥٠	أسمعتنا ماشاق ألبابنا	قال في الشادية الشهيرة ليلي
٢٥١	سلمت من شوائب التكدير	مؤاساة
٢٥٣	صفراء من فالوذج البرتقال	فالوذج البرتقال
٢٥٤	مفتر من قال ان القوم ماتوا	في استئناف حرب جائرة
٢٥٦	رمتني فأدمت بألحاظها	غريم وغارم
٢٥٧	هل كان هذا البين في الفجر؟	مغيب في البروغ
٢٥٨	لا تغارى من حسننا اللحد	أول الجمال جمال النفس
٢٥٩	ابكى شبابك والجمالا	بكاء على المرحومة ماري سبع
٢٦١	لك يا وليد تحية الأحرار	الطفل الطاهر والحق الظاهر
٢٧١	مصابك حيا عرا جعفرا	رثاء للمغفور له محمود باشا بإبي البارودي
٢٧٥	باسم الملية في الأزاهر	تفحة الزهر
٢٧٩	أطلت نأيك عنى	إلى الأخ العزيز أحمد شوقى بك
٢٨١	وقف الزمان فما لوعدك موعدا	أمس واليوم (رثاء للمرحوم تقولا توما بك)
٢٨٣	ماذا تصبأك من حال تجدها	عنتره

الصفحة	مطلعها	عنوان القصيدة
٢٨٥	شكت عارضاً في الجفن ناء بحمله	في شحاذ
٢٨٦	إذا لم يكن في دولة العلم حاجب	تشریف كتاب مرآة الأيام
٢٨٨	يا حسنها ساعة من العمر	عرس قانا
٢٩٠	رب البيان وسيد القلم	رثاء للشيخ ابراهيم اليازجي
٢٩٢	أهوى وما الغانيات من وطرى	حمام عذراء في السماء
٢٩٤	أطلق عبراتك من حكم الوزن وقيد القافية	شعر مشور
٢٩٧	أخا الحزم نبثى أفاقت عن حزم؟	إلى العالم القانونى الأديب اسكندر عمون بك
٢٩٨	يا من نأت والروح في إثرها	دمعا وداع
٢٩٩	يا مرجع الماضين من أرماسهم	التثيل (إلى الشيخ سلامه حجازى)
٣٠٠	فيك انجلى يا ليل طفل صغير	تهنئة بمولود
٣٠٢	أذنان أم أفتان يبدو فيهما	الجوهر المكذوب
٣٠٣	نظمت هذه الفكرة	حكاية نشر هذا الديوان
٣٠٧	أرينا بالعوبة في يديك	اللعب بالشموس
٣٠٨	أعلى مكاتك الإله وشرقا	حق الوطن وحق الأخاء (رثاء للمفقور له مصطفى كامل باشا)

